

# الإِنْسَانُ

فِي عِلْمِ النَّبَلَاغَةِ

للخطيب الفزويين المتوفى عام ٧٣٩ هـ

شرح وتعليق وتنقية

الدكتور

محمد المنع حفظها

## ابن الأفلان

الطبعة الثالثة

١٤١٣ - ١٩٩٣ م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأزراك خلف الجامع الأزهر الشريف  
٥١٢٠٨٤٧٥



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الكلمة الأولى

أحمده وأسئلته التوفيق والسداد ، وبعد :

فهذا شرح جديد مفصل ، لكتاب الإيضاح ، تأليف العالم الإمام الخطيب القزويني ، أمام البلاغة وشيخ البيان ، المتوفى عام ٧٣٩ هـ .

توخيت فيه عمق البحث ، ودقة التحليل ، والعناية بيسط المسائل ، وحل المشكلات ، وأوسمأت فيه إلى شتى المراجع والمصادر . ليكون جامعاً لمسائل البلاغة ومصدراً للدراسات العالية فيها ، ومرجعاً للطلاب والدارسين والباحثين . والله يعلم مقدار ما أخذ مني من جهد وبحث ومراجعة ، ومع ذلك فقد ثابتت على كتابته والخراجة ، ليسد النقص الذي نلمسه في دراسات البلاغة .

وقد ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب ١٩٤٩ والطبعة الثانية عام ١٩٨٤ ، وها هي ذي الطبعة الثالثة منقحة مهذبة ، والله أسائل أن يجعله خالصاً لوجهه ، وأن ينفع به العلم والثقافة ولغة الكتاب العزيز . فهو ولبي ، نعم المولى ونعم النصير .

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

محمد عبد المنعم خفاجى

## مقدمة

### ● نسأة البلاغة العربية ومراحل التأليف فيها :

١ - كان القرن الثاني الهجري أول عصر شهد نشأة آراء كثيرة أصيلة ومتدرجة حول البلاغة<sup>(١)</sup> وعنصرها ، بعد فساد الملكات ، وقد أخذ العلماء في بحث أصول بلاغات العرب ، وفي قدوتين آرائهم في معنى كلمة البلاغة والفصاحة . وأهم ما يؤثر من ذلك : وصية يشر بن المعتمر - من زعماء المعتزلة وتوفى نحو عام ٢١٠ هـ - في البلاغة<sup>(٢)</sup> ، وتفسير ابن المقفع للبلاغة<sup>(٣)</sup> ، وتعريف العتايي لها<sup>(٤)</sup> ، ووصية<sup>(٥)</sup> أبي تمام للبحترى تدخل في هذا الباب ، ويقول البحترى : خير الكلام ما قل ودل ولم يمل<sup>(٦)</sup> .. وفي البيان للجاحظ تحديد للبلاغة كما يراها حكيم الهند<sup>(٧)</sup> ، ويقسمها الكيندي فيلسوف العرب المتوفى عام ٢٦٠ هـ الى ثلاثة أنواع : فنون لا تعرفه العامة ولا تكلم به ، وقوع بالعكس ،

(١) لا تجد في العصر الجاهلي كلمات عن البلاغة الا ما روى عن عامر ابن الظرب حين سئل من أبلغ الناس ؟ فقال : من حلى المعنى المزین باللفظ الوجيز وطبق المفصل قبل التحرير (٢٠٦ ج ١ العمدة ، ٢٨٠ ج ٢ الامالى ) .. وفي العصر الاموى نجد معاوية كلمات في البلاغة ولسواه ، روى أن معاوية سأله صحارا عنها فأجابه (راجع ٨١ ج ١ البيان ، ١٨ ج ٢ الكامل ) .

(٢) ١٠٤ وما بعدها ج ١ البيان .

(٣) ٩١ ج ١ البيان ، ٢١٤ ج ١ العمدة ، ٧٥ ج ١ البيان ، ٤٤ - ٤٦ الرسالة العذراء ، ٢ و ٣ و ٢٢ و ٢٣ ج ٣ العقد ، ١٤٠ - ١٥٠ ج ١ زهر الأدب .

(٤) ٩٠ و ١٥٧ ج ١ البيان .

(٥) ١٥١ ج ١ زهر الأدب .

(٦) ٣٦ ج ١ المستطرف وتروى عن الشعالي برواية أخرى : « ما قل ودل » (٢١٨ ج ١ العمدة ) .

(٧) ٧٨ و ٧٩ ج ١ البيان ، ٢٠ - ٣٨ الصناعتين ، ١٤٤ ج ١ ذهن ، ٤٤ الرسالة العذراء .

ونوع تعرفه ولا تكلم به وهو أحمدها<sup>(١)</sup> ، وذكر بزر جمهور حكيم الفرس فضائل الكلام ورذائله في كلمة مترجمة رواها صاحب الموازنة<sup>(٢)</sup> .  
الى آخر هذه الكلمات والآراء .

٢ - ثم ألفت بعد ذلك كتب تجمع كثيرا من الآراء والدراسات الموجزة حول البلاغة وبحوثها . ومن هذه الكتب : مجاز القرآن لأبي عبيدة م ٢٠٧ هـ والفصاحة للدينوري م ٢٨٠ هـ<sup>(٣)</sup> والتشبيه والتلميل للفضل بن نوبخت<sup>(٤)</sup> وصناعة الكلام للجاحظ<sup>(٥)</sup> ، ونظم القرآن<sup>(٦)</sup> والتمثيل<sup>(٧)</sup> له أيضا ، والبلاغة وقواعد الشعر للمبرد<sup>(٨)</sup> . وفي الكامل اشارات لمسائل كثيرة في البلاغة ، وكذلك الرسالة العذراء لابن المدبر ، والبلاغة للحرافي<sup>(٩)</sup> ، وقواعد الشعر لشلب ، وقد نشرته عام ١٩٤٨ بشرح كثيرة ، والبلاغة والخطابة للمرزوقي<sup>(١٠)</sup> والمطابق والمجاقس لابن الحروان<sup>(١١)</sup> وتهذيب الفصاحة لأبي سعيد الأصفهاني<sup>(١٢)</sup> واعجاز القرآن في نظمه وتأليفه للواسطي المعتزلي م ٢٠٦ هـ ، وصعة البلاغة للباحث ، وللسيرافي م ٣٦٨ هـ . ونظم القرآن لابن الأخشيد<sup>(١٣)</sup> ، وكذلك لابن أبي داود م ٣١٦ هـ<sup>(١٤)</sup> وكتاب الرد على من نفى المجاز في القرآن للحسن بن جعفر<sup>(١٥)</sup> . ومن هذه الكتب أيضا المفصل في البيان ، والفصاحة للمرزبانى م ٣٧٨ هـ .

على أن أهم الكتب التي تناولت بعض مسائل البلاغة بالبحث ،

- (١) ٢١٩ ج ١ العمدة .
- (٢) ١٨٣ الموازنة .
- (٣) ١١٦ الفهرست لابن النديم .
- (٤) ٣٨٣ المرجع .
- (٥) ٣٨ الجاحظ لمدرم .
- (٦) ٤٠ الرجع .
- (٧) ٧٦ ج ٦ معجم الأدباء .
- (٨) ٨٨ فهرست ، ١٤٤ ج ٧ معجم الأدباء .
- (٩) ١٧٨ فهرست .
- (١٠) ٢١٥ فهرست .
- (١١) ٢١٢ فهرست .
- (١٢) ١٩٧ فهرست .
- (١٣) ٣٢٤ فهرست .
- (١٤) ٥٧ و ٥٨ فهرست .
- (١٥) ٥٢٠ فهرست .

أو التي ألفت فيها خاصة هي : كتاب جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشى ، ففى مقدمته بحوث موجزة طريقة تتصل بالبلاغة . وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وهو أهم ما ألف فى هذا الطور من كتب تتصل ببلاغات العرب ثرا وشرا ، وتتعرض لتحديد البلاغة وما حولها من آراء كانت ذاتية فى عصر الجاحظ ، وفيه كثير من بحوث البلاغة ، فهو يعرف الاستعارة<sup>(١)</sup> ويتكلّم على السجع<sup>(٢)</sup> ويشير إلى التفصيل والتقسيم<sup>(٣)</sup> والاستطراد والكناية<sup>(٤)</sup> والأمثال<sup>(٥)</sup> والاحتراض<sup>(٦)</sup> والقلب<sup>(٧)</sup> والأسلوب الحكيم<sup>(٨)</sup> ، والجاحظ أول من تكلّم على المذهب الكلامي<sup>(٩)</sup> ويرى البلاغة في النظم لا في المعانى<sup>(١٠)</sup> وهو ما ذهب إليه ابن خلدون<sup>(١١)</sup> . والجاحظ يشيد بالإيجاز<sup>(١٢)</sup> ، كما يدعى في البيان ، كثيراً إلى ترك الوحيى والسوقى ، ويبحث على الأفهام والوضوح ، وعلى ترك التعمق والتهذيب في صناعة الكلام ، إلى غير ذلك من شتى ما دوّنه في البيان . ولا يضير الجاحظ أنّه كانت دراساته موجزة مفرقة كما يقول أبو هلال<sup>(١٣)</sup> ، فهي على كل حال ذات أثر كبير في نشأة البيان ، وهي التي أوحّت إلى كثير أن يعدوا الجاحظ الواضع الأول لعلم البيان . ومن الخطأ التهوين بأثر الجاحظ في البيان كما ذهب إليه بعض الباحثين المحدثين .

(١) ١١٦ ج ١ البيان . (٢) ١٩٤ ج ١ البيان .

(٣) ١٧٠ ج ١ و ٩١ ج ٢ البيان .

(٤) ١٨٠ ج ١ و ٨ و ٢٩ و ٣١ و ٨٠ ج ٣ البيان .

(٥) ٨٦ و ٨٨ و ١١٤ و ١٨٣ ج ١ و ٢٢٤ ج ٢ البيان .

(٦) ١٦١ ج ١ البيان . (٧) ١٨٠ ج ١ البيان .

(٨) ٢٠١ و ٢٠٢ ج ٢ البيان .

(٩) ١٠١ البدیع لابن المعتز نشر محمد خفاجی ، ٧٦ ج ٢ العمدۃ .

(١٠) ٤٠ ج ٣ الحیوان .

(١١) ٥٧٧ مقدمة ابن خلدون . ويقول شيلر : في الفن الشكل هو كل شيء والمعنى ليس شيئاً مذكوراً .

(١٢) ٨٣ و ٨٦ ج ١ مواضيع أخرى .

(١٣) ص ٦ و ٧ الصناعتين .

٣ - وقد بدأ التدوين في البلاغة على يد ابن المعتز الذي ألف كتابه القيم «البديع»<sup>(١)</sup> وثعلب الذي ألف كتابه «قواعد الشعر» ، وبعد قليل ظهر نقد النثر كما ظهر نقد الشعر لقدماء بن جعفر المتوفي عام ٣٣٧ هـ . ثم كتاب الصناعتين الأنبي هلال المتوفي عام ٣٩٥ هـ ، ثم كتاب الموازنة للأمدي ، والوساطة للجرجاني ، وأعجاز القرآن للباقلاني ، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، والعمدة لابن رشيف وهما أكثر الكتب اتصالاً بالبلاغة .

٤ - ثم جاء بعد ذلك أبو بكر عبد القاهر الجرجاني شيخ البلاغة العربية والمتوفى عام ٤٧١ هـ . فألف في البلاغة كتابين جليلين هما :

١ - أسرار البلاغة ، وفيه دراسات واسعة تتناول بحوث علم البيان من تشبيه ومجاز واستعارة وفيه شرح للسرقات وبعض ألوان البديع .

٢ - دلائل الاعجاز ، وفيه بحوث كثيرة هي أصول علم المعانى . كما أنه تحدث فيه عن الكلمة وعن التمثيل والمجاز والاستعارة والسرقات أيضاً .

٥ - وبعد عصر الجرجاني بحث الزمخشري في تفسيره ، والرازي في كتابه «نهاية الایجاز» ، وابن الأثير صاحب المثل<sup>(٢)</sup> السائر ، وبدر الدين بن مالك صاحب المصباح ، والتوخى صاحب «الأقصى القريب» ، وكثير من العلماء ، في البلاغة والفصاحة .

ومن أهم هؤلاء العلماء في هذا الطور أبو يعقوب السكاكى المتوفى عام ٦٢٦ هـ قلميد الحاتمى<sup>(٣)</sup> ، الذى ألف كتابه «المفتاح» ، وجعله

(١) على نهجه ألف ابن منقد المتوفى عام ٨٤ هـ كتابه «البديع» .

(٢) شرحه عن الدين بن أبي الحميد م ٦٦٥ هـ في كتابه «الفلك الدائر على المثل السائر» .

(٣) ٧٣ المفتاح .

أقساماً ، وخص البلاغة بالقسم الثالث منه ، وقسمها إلى ثلاثة أقسام المعانى – البيان – البديع . وبذلك تميزت علوم البلاغة ومباحث كل علم منها بالتفصيل .

والفلسفة والمنطق تغلب على السكاكي إلى حد كبير ، من حيث كان يغلب الذوق والطبع على عبد القاهر .

وبذلك تنتهي مراحل التأليف والابتكار في بحوث البلاغة وقد وظفها تدويناً كاملاً .

٦ - وجاء الخطيب القزويني المتوفى عام ٧٣٩ فألف في البلاغة كتابيه : <sup>(١)</sup> تلخيص المفتاح والإيضاح . وقد ألف الإيضاح ليكون كالشرح لتلخيص المفتاح وجمع فيه كثيراً من آراء عبد القاهر والسكاكى في شيء من التنظيم والشرح .

وعلى متن التلخيص كثر الشروح والحواشى والتقارير وفي مقدمتها الأطوال للعصام ، والمطول <sup>(٢)</sup> للمسعد وشرح التلخيص وسواءها . وهذه أهم كتب البلاغة وشروحها في هذا العهد : قوانين البلاغة لعبد الملطي البغدادي م ٦٢٩ هـ ، والبيان لابن الزملکانى م ٦٥١ هـ ، والمعيار للزنجانى م ٦٥٤ هـ ، وبديع القرآن لابن أبي الاصبع م ٦٥٤ هـ ، والفوائد الغياثية للعسدي م ٧٥٦ هـ وشرحها الكرمانى م ٧٨٦ هـ ، والبيان لشرف الدين الطيبى م ٧٤٣ هـ ، والطراز ليحيى ابن حمزة العلوى م ٧٤٩ هـ ، وعروض الأفراح للسبكى م ٧٧٣ هـ ، والسميرقندية للسميرقندى وهي رسالة في الاستعارات ، وتوفي السميرقندى عام ٨٨٠ هـ .

(١) لذكرها الانصارى م ٩٢٦ هـ « مختصر تلخيص المفتاح » :  
للعباسى م ٩٦٣ هـ شرح لشوآهده التلخيص سماه معاهد التنصيص .  
(٢) عليه كتاب في شرح شواهد اسمه عقود الدرر في حل أبيات  
المطول والمختصر ، وهو مطبوع طبعة حجر عام ١٣٠٧ هـ في ١٦٦ صفحة .

## ٧ - شروح المفتاح للسكاكى

### (أ) شرحه بتمامه المولى حسام

(ب) وشرح القسم الثالث منه : الشيرازى م ٧١٠ هـ فى « مفتاح الفتاح » . والترمذى وهو معاصر للشيرازى ، والخلخالى م ٧٤٥ هـ ، والسعدي (٧٩١ - ٧١٢ هـ) ، والسيد م ٨١٦ هـ فى « المصباح » الذى ألقه عام ٨٠٣<sup>(١)</sup> هـ ، وعماد الدين الكاشى . وله رسالة فى حل المتشابهات التى أوردها الخطيب على المفتاح ، والإبرهارى سلطان شاه ، وطاشكجرى زاده م ٩٦٢ هـ ، وشيخ زاده م ٩٥١ هـ ، والشريينى م ٧٦٩ هـ ؛ والخوارزمى ، وقد فرغ منه عام ٦٤٢ هـ ، والفنارى م ٨٣٤ هـ ، وله على شرحى السعد والسيد تعليقات ، واين كمال باشا م ٩٤٠ هـ ، وسواهم .

### (ج) واختصر القسم الثالث منه :

، المانيجى م ٩٩٠ هـ ، والقزوينى ٦٦٦ - ٧٣٩ هـ ، والايجمى م ٧٥٦ هـ فى الفوائد الغياثية ، وبدر الدين ابن مالك م ٦٨٦ هـ فى « المصباح فى اختصار المفتاح » ونظم « المصباح » المراكشى ، ثم شرحه وسماه « ضوء المصباح على تراجم المصباح » ، واختصر هذا المختصر ابن النجوية م ٧١٨ هـ ، وسماه « ضوء الصباح » ، ثم شرحه فى مجلدين فى كتاب اسفار المصباح عن ضوء المصباح ، ولمحمد بن خضر « مصباح الزمان فى شرح المصباح » .

هذا وقد ألف السعد « المطول على تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى » واتهى من تأليفه عام ٧٤٨ هـ ، كما اتى من تأليف مختصر المطول عام ٧٥٦ هـ . وفرغ ابن يعقوب من تأليف شرحه على مختصر

(١) على شرح السيد حواش : للبساطمى م ٨٧١ هـ ، والمولى اللطفى م ٩٠٠ هـ ، ولحميد الدين م ٩٠٨ هـ ، ولأسعد الناجى م ٩٢٢ هـ ، ولحيى الدين الفنرى م ٩٥٤ هـ ، ولشهاب الخفاجى م ١٠٦٩ هـ .

السعد في مكتنase في المحرم ١١٠٨ هـ وانتهى ابن السبكي من تأليف شرحه «عروس الأفراح» على مختصر السعد في جمادى الأولى عام ٧٥٨ هـ وانتهى الدسوقي من كتابة شرحه على مختصر السعد في شوال عام ١٢١٠ هـ

٨ - يمتاز الإيضاح للخطيب القزويني بعدة ميزات ظاهرة : فهو أوفى كتاب في بحوث البلاغة ، وهو أوضح الكتب المؤلفة فيها نظاماً ونأسلاوباً ، وهو كثير البحث والتفعم والاستنباط للأسرار البلاغة العربية ، فوق أنه كتاب تطبيقي جميل في البلاغة ، وينقد القزويني فيه كثيراً من آراء السكاكي ، وإن كان يعتمد الخطيب فيه على عبد القاهر السكاكي كثيراً . ومع ذلك فالخطيب يجمع في كتابه خلاصات لبحوث علماء البلاغة في شتى العصور حتى عصره ، والكتاب بعد ذلك غير الماده ، كبير الفائدة في الأدب والنقد والبلاغة والبيان<sup>(١)</sup> .

وهناك مؤلفات جديدة ظهرت في البلاغة في عصر الحواشي ، ومن بينها عقود الجمان للسيوطى . كما ظهرت في العصر الحديث عدّة مؤلفات في البلاغة فيها لون من التهذيب والتتسق وحسن الأخذ والاختيار .

وبذلك تنتهي مراحل التأليف في البلاغة منذ نشأتها حتى الآن .

\* \* \*

---

(١) شرحه الأقصرائي م ٨٠٠ هـ وحيدرة م ٨٢٠ هـ ، والاستاذ الصعيدي والاستاذ التنوخي .

## • الخطيب وأثره في البلاغة العربية :

والخطيب القزويني<sup>(١)</sup> هو « جمال الدين أبو المعالى محمد بن عبد الرحمن ، ابن خطيب دمشق » كما يقول جورجى زيدان ، وبنفصيل أوسع هو « الشیخ الامام العالم العلامہ خطیب الخطباء ، مفتی المسلمين » جلال الدين ، أبو عبد الله ، محمد ، ابن حفص عمر ، القزوینی الشافعی » كما يقول تلاميذه أو هو نفسه فى مقدمة كتابه الايضاح .

فهو من أسرة علمية ودينية كبيرة ، كان لها ولا شك أثرها في حياته وتفكيره وروجنه .

ولد عام ٦٦٦ هـ ، وتعلم الفقه ، وقوى الفضاء ، وانتقل إلى دمشق ، وتولى الخطابة في مسجدها ، ثم تولى القضاء بمصر ، وتمكن فهو ذه فيها أيام الملك الناصر ، اكتسب ملا طائلا ، ثم جاء إلى دمشق وقوى فيها . وأشهر مؤلفاته تلخيص المفتاح ، والايضاح في المعانى والبيان<sup>(٢)</sup> ، وكانت وفاته عام ٧٣٩ هـ ، كما يقول صاحب الدرر الكامنة .

وتدل مؤلفات الخطيب في البلاغة على ثقافة بلاغية وأدبية واسعة وقراءة مستفيضة لأهم المؤلفات في البلاغة وفي مقدمتها : « أسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » لعبد القاهر ، والمفتاح للسكاكى .

ألف الخطيب مختبرا صغيرا للمفتاح في البلاغة ، أو للقسم

---

(١) شذرات الذهب ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، وسوها .

(٢) وقد حرف جورجى زيدان اسمه فذكره « الفصاح » بدل الايضاح (٤) ج ٣ تاريخ آدب اللغة العربية ) .

الثالث بعبارة أوضح ، وسماه « تلخيص المفتاح »<sup>(١)</sup> . لخص فيه ذلك السفر القيم وقدم فيه وأخر ، وحذف واختصر ، وفيه بعض آراء له لم يرضاها جهابذة هذه الفنون ، » ومن العجيب أن يسمى كتابه بهذا الاسم ، وهو في رأي أحد الباحثين ليس بالتلخيص له وحده ، يل أشبه بأن يكون تلخيصاً لكتابي أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز بعد القاهر وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ٢٠٠ وروح التلخيص من الكتاب الأخير واضح كل الوضوح في مقدمته<sup>(٢)</sup> . وقد يكون في هذا الرأي لون من المبالغة ، فمتن التلخيص ليس قلبيساً للأسرار والدلائل وسر الفصاحة في قليل ولا كثير ، إنما هو تلخيص للقسم الثالث من المفتاح وحده ، وما فيه من روح التأثير بعد القاهر فمرجعه إلى المفتاح نفسه ، الذي اعتمد فيه السكاكى على عبد القاهر إلى حد بعيد . وقد يستساغ ذلك في الإيضاح لا في « تلخيص المفتاح » .

ثم ألف الخطيب كتابه الإيضاح في البلاغة على ترتيب التلخيص ، وبسط القول فيه ليكون كالشرح له ، فأوضح مواضعه المشكلة ، وفصل معانيه المجملة ، واعتمد على المفتاح والأسرار والدلائل وغير هذه المؤلفات في بحوثه ودراساته فيه ، كما يشير إليه الخطيب نفسه في مقدمة الإيضاح . والكتاب « فيه أمهات مسائل هذه الفنون بعبارة واضحة فيها روح من أسلوب عبد القاهر الجامع بين التحقيق العلمي والرصانة الأدبية»<sup>(٣)</sup> .

(١) شرحه الخلالي م ٤٧٥ هـ ، وناظر الجيش م ٧٧٨ هـ والبابرتى م ٨٧٦ هـ ، وشمس الدين القوينى م ٧٨٨ هـ ، والتنيزىتى م ٧٩٣ هـ ، وأالسيد عبد الله م ٨٠٠ هـ ، وعاصم الدين م ٩٥١ هـ ، والسعدى م ٧٩٥ هـ . . . وعلى شرح السعد شروح : ليسن الحمى م ٩٦١ هـ ، ولابن يعقوب م ١١٠٨ هـ وللسوسقى م ١٢٣٠ هـ .

(٢) ٦٢ ، ١٣٧ بحوث وآراء في علوم البلاغة للأستاذ المرحوم أحمد المراغى .

(٣) ٦٣ المرجع . . وفي المكتبة الازهرية حاشية مخطوطة على أبيات =

وعلى « تلخيص المفاصح للخطيب » كثير من الشروح والحواشي والتقارير مما يدل على مدى شهرته العلمية عند الباحثين . ولا يزال منهج الخطيب في البلاغة وفي تلخيصه بالذات هو المنهج العلمي في علوم البلاغة إلى عصرنا الراهن .

وكتاب الإيضاح عمل جليل في البلاغة سواء في ترتيبه وتقسيمه وتنظيم بحوثه ، ألم في استيعابه واستقصائه وتحليله ، ألم فيه جمعه واستسداده من شتى المصادر والمراجع ، ألم في أسلوبه الأدبي وروحه وكثرة تطبيقاته الأدبية ، وهو أهم كتاب دراسي في البلاغة في العصر الحاضر .

\* \* \*

وهذا شرح جديد للإيضاح ، يتناول بالبحث والتحليل والدراسة والتعليق والشرح جميع مسائله وشوواهده ، ويشير إلى مصادره ومراجعه التي ألف منها الخطيب هذا الكتاب . وهو عمل سيكون له أثره في البلاغة العربية ، وفي خدمة الإيضاح وتذليل صعوبات البحث فيه ب توفيق الله .

ويمتاز هذا الشرح بدقة البحث . وطول المراجعة ، وكثرة الشرح والتفصيل ، والالامام بكل رأي ، وتحليل كل مذهب ما عليه وما له ، وبعرض آراء جديدة في شتى بحوث البلاغة وعلومها .. كما يمتاز بمقدمة التي هي تاريخ للبلاغة ونشأتها وأطوار التأليف فيها ، وغير ذلك مما يحتوى عليه من مميزات ، وقد وضعنا لكتاب بعض العناوين المساعدة على فهمه وإيضاحه .

\* \* \*

=

الإيضاح ، وهي نسخة في مجلد بقلم فارسي في ١٢٦ ورقة بنمرة (٤٣) ١٠٩٥ . وفيها نسخة في مجلد بقلم معتمد بخط محمد حسن سنة ١٣٦٥ في ١٥٠ ورقة بنمرة (٢١١٠) ٥٢٨٦ .. شرح مخطوط على الإيضاح ، بدار الكتب المصرية .

## ترجمة الخطيب

عن الدرر الكامنة لابن حجر (١) ، والعقد المذهب

لابن الملقن ، وشذرات الذهب (٢)

هو قاضى القضاة أبو المعالى جلال الدين محمد بن القاضى سعد الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن امام الدين عمر القزوينى الشافعى .

ولد بالموصل سنة ٦٦٦ وسكن بلاد الروم ، مع والده وأخيه واشتغل بالعلم وتفقه على والده وولى قضاء نيسكار من بلاد الزرم ثم قدم دمشق وسمع من العز الفاروئى وطائفة وحدث وتفقه واشتغل فى الفنون وأتقن الأصول والعربية والمعانى والبيان ، وكان فهما ذكيا منوها ذا ذوق سليم حسن الابرار والمحاضرة حلو العبارة فصيحا جميل الهيئة كبير الذقن جواداً أديباً حسن الخط ، وناب عن أخيه الأكبر امام الدين قاضى قضاة الشام الى أن مات أخوه سنة ٦٩٩ ثم ولى خطابة جامع دمشق فأقام بها مدة طويلة ثم طلب الملك الناصر الى القاهرة فى سنة ٧٣٤ وكان قدومه على البريد يوم الجمعة فاتفق أنه اجتمع بالناصر ساعة وصوّله فأمر به أن يخطب بجامع القلعة فخطب مرتجلًا مع ما هو عليه من التعب وأثر السفر فأعجب به السلطان وشكراه وسأله عن حاله وكم عليه من الدين فذكر أن عليه ثلاثين ألفه فأمر بوفائها عنه فشفافهه بقضاء دمشق فبادرها والخطابة جميما إلى أن ولاه قضاء الديبار المصرية فى سنة ٧٣٧ فعم أمره جداً وصرف مال الأوقاف على الفقراء والمحتاجين وحج مع السلطان فاعانه بمال وأحسن إلى المصريين والشاميين وكان لهم ذخراً وملجاً ولم يزل على

---

(١) ص ٦ ج ٤ طبع الهند عام ١٣٥٠ هـ - لابن حجر م ٨٥٢ هـ .

(٢) ١٢٣ / ٦ شذرات الذهب .

حاله الى أن أعيد الى قضاء الشام بسبب أحوال أولاده وفرح به أهل الشام فأقام قليلاً وتعلل وأصابه فالج فمات منه في سنة ٧٣٩ هـ عن ٧٣ سنة فأسفوا عليه كثيراً وشييعه عالم عظيم ، وللشعراء فيه مدائخ كثيرة ومراث عديدة وكان يرغب الناس في الاشتغال بأصول الفقه وفي المعانى والبيان . وتحصينيه المسى تلخيص المفتاح مشهور ونظمه السيوطي وسماه عقود الجمان .. وله أيضاً التلخيص .. وكان يعظم الارجاني الشاعر ويقول انه لم يكن للعجم نظيره واختصر ديوانه فسماه (السور المرجانى من شعر الارجاني) . وقال الذهبي : عظم شأنه لما ولى قضاء الديار المصرية وبلغ من العز ما لا يوصف بحيث لا ترد له شفاعة وربما رمى على يد السلطان نفسه وكان فصيحاً حلو العبارة ، مليح الصورة ، سمحاً حليناً كثيرة التحمل وسيرته تحتمل كراريس ، وذكر البيوسي في سيرة الملك الناصر محمد أن القاضي كان محسناً إلى الناس كثير التصدق والمكارم والبر لأرباب البيوت ، قال : انه لم يوجد لأحد من القضاة منزلة عند سلطان تركى نظير نزلة جلال الدين ، وكان الناصر يتحمل ما ينقل إليه من سيرة ولده حتى كان يقول لوالى البلد : اكتب فلاناً ثم يرسل إليه يقول : لا تفعل ، نبقى في حياة من والده .. فرحمة الله تعالى عليهم وغفرانه ..

وترجم له السيوطي في بغية الوعاء (ص ٦٦) ، فنسبه إلى أبي دلف العجلاني ، وذكر ما لا يخرج عما سبق ، ثم قال : ولا أعلمه نظم شيئاً مع قوة باعه في الأدب ، ومات في منتصف جمادى الأولى عام ٧٣٩ هـ

ويقول صاحب الدرر الكامنة : إن له ابناً اسمه محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني ، وهو ابن القاضي جلال الدين خطيب جامع دمشق .. وقد ترجم له<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

---

(١) ١٨٥ ج ٤ .. ويقول فيه : انه ولد عام ٧٠١ هـ وتفقه ومهر في الخطابة ومات في جمادى الآخر عام ٧٤٢ هـ

## أول كتاب الايضاح للخطيب القزويني

● تمهيد :

قال الشيخ الإمام ، العالم العلامة ، خطيب الخطباء ، مفتى المسلمين ، جلال الدين : أبو عبد الله محمد ، ابن قاضى القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن ، ابن إمام الدين أبي حفص عمر ، القزويني الشافعى . متى الله المسلمين بمحياه ، وأحسن عقباه : الحمد لله رب العالمين ، وصلاته على محمد وعلى آل محمد أجمعين .

أما بعد : فهذا كتاب فى علم البلاغة وتوابعها<sup>(١)</sup> ، ترجمته<sup>(٢)</sup> بـ « الايضاح » وجعلته على ترتيب مختصرى الذى سميته تلخيص المفتاح . وبسطت فيه القول ليكون كالشرح له ، فأوضحت مواضعه المشكلة ، وفصلت معانيه المجملة وعمدت إلى ما خلا عنه المختصر ، مما تضمنه « مفتاح العلوم<sup>(٣)</sup> » ، وإلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجانى<sup>(٤)</sup> رحمة الله – فى كتابيه : دلائل الاعجاز ، وأسرار البلاغة ، وإلى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما<sup>(٥)</sup> ، فاستخرجت زبدة<sup>(٦)</sup> ذلك كله ، وهذبتها ورتبتها ، حتى استقر كل شيء منها فى محله ، وأضفت إلى ذلك ما أدى إليه فكرى ، ولم أجده لغيرى . فجاء بحمد الله جامعاً لأشتات هذا العلم . وإليه أرغب فى أن يجعله نافعاً لمن نظر فيه من أولى الفهم .

وهو حسبي ونعم الوكيل .

\* \* \*

---

(١) علم البلاغة يشتمل على المعانى والبيان وتوابعها هو علم البديع والكلام في السرفات الشعرية .

(٢) المراد : سميتها . (٣) تأليف السكاكي م ٦٢٦ هـ .

(٤) هو شيخ البلاغة العربية وفيلسوفها . توفي عام ٤٧١ هـ . واسمه أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى : وله ترجمة في فوائط الوفيات وفي بغية الوعاة للسيوطى وعرض له ولكتابيه : الأسرار والدلائل صاحب كتاب بحوث وآراء في علوم البلاغة (ص ٥٨ ، ١٢٩ ، ١٣٢) . وقد ألفت فيه كتاباً عنوانه « عبد القاهر والبلاغة العربية » .

(٥) أي غير السكاكي والجرجانى .

(٦) زبدة الشيء : جوهره وخلاصته .

## مقدمة (١)

### في الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة وانحصار علم البلاغة في علمي (٢) المعانى والبيان

للناس فى تفسير الفصاحة والبلاغة أقوال مختلفة ، لم أجده فيما بلغنى منها ٠ ما يصلح لتعريفها به ، ولا ما يشير الى الفرق بين كون الموصوف بهما الكلام وكون الموصوف بهما المتكلم<sup>(٣)</sup> ، فالأولى أن نقتصر على تلخيص القول فيها بالاعتبارين ، فنقول :

---

(١) الأياضاح مقسم الى : مقدمة وثلاثة فنون وخاتمة . فالمقدمة ليست من قبيل مقاصد علم البلاغة وتوابعها ، بل هي تمهد لذلك . والفنون الثلاثة هي من مقاصد البلاغة الا أن موضوع كل فن منها يختلف عن موضوع الآخر ، فمثلاً الفن الأول – وهو علم المعانى – الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، وموضوع الفن الثاني – علم البيان – الاحتراز عن التعقيد المعنوي . وموضوع الفن الثالث – البديع – ليس الاحتراز عن شيء أصلاً . بل مجرد تحسين اللفظ وتزيينه . والخاتمة تشمل السرقات والكلام على حسن الابتداء والتخلص وحسن الخاتمة ؛ وهي من الفن الثالث أو متصلة به بصلة كبيرة .

والمقدمة هنا لبيان معنى شيئاً : الأول معنى الفصاحة والبلاغة ، والثانية انحصر علم البلاغة في علمي المعانى والبيان . وكل ذلك مما يرتبط بالمقصود من الكتاب .. فالمقدمة هنا هي مقدمة كتاب .

. وذكر معنى الفصاحة والبلاغة قبل الشروع في مسائل المعانى والبيان والبديع ضروري ، لتوقف معرفة معانيهما على معرفة معنى البلاغة والفصاحة .

### (٢) في الأصل « في علم »

(٣) في هذا الكلام شيء من المجازفة : فقد سبق أبو هلال ببيان الفرق بين الفصاحة والبلاغة في الصناعتين ، ذكر أن البلاغة هي كل ما يبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة

=

== ومعرض حسن ، ثم قال : وأما الفصاحة فقد اختلفوا فيهما ، فقال قوم : إنها مأخوذة من قولهم : أفصح فلان عما في نفسه إذا أظهره وعلى هذا ترجع الفصاحة والبلاغة إلى معنى واحد وإن اختلف أصلهما في اللغة ، وقال بعضهم : الفصاحة تمام آلة البيان ، وعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين ، وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى الخ ( ٣٩ وما بعدها صناعتين ) .

وذكر ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعانى ، فلا يقال في كلمة واحدة أنها بلية وإن قيل أنها فصيحة إذا فضلت عن مثلها ، وكل كلام بلية فصيحة وليس كل فصيحة بلية كالذى يقع فيه الاستهاب في غير موضعه ، ثم قال : والفصاحة على ذلك تسطر البلاغة واحد جزءها ، ولها شروط إذا تكاملت في الألفاظ فلا مزيد على فصاحتها ، وتلك الشروط : منها ما يتعلق باللغة الواحدة ، ومنها ما يوجد في الألفاظ المنقومة بعضها مع بعض .. وهذا كله هو خلاصة رأى القزوينى اقتبسه من ابن سنان ( راجع ص ٥٥ وما بعدها من سر الفصاحة طبعة الرحمانية ) وذكر ابن رشيق في العمدة : أن البلاغة والفصاحة راجعان إلى اللفظ والمعنى جمیعا الخ ( ص ٨٠ طبعة هندية ) .

وذكر عبد القاهر : أن البلاغة والفصاحة وما يجري مجرياً مما يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة وينسب فيه الفضل والمزية إليه دون المعنى منها حسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة ثم تبرجها في صورة هي أبهى ، ولا جهة لذلك غير أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو أخص به واكشف عنه وأحرى بأن يظهر مزية ( ص ٣٥ من دلائل الأعجاز ) ، وقال في أسرار البلاغة : أما رجوع الاستحسان ( أي الوصف بالبلاغة والفصاحة ) إلى اللفظ من غير شرك من المعنى فيه فلا يعدو نمطاً واحداً ، هو أن تكون اللغة مما يتعارفه الناس في استعمالهم ويتداوونه في زمانهم ، ولا يكون وحشاً غريباً أو عامياً سخيفاً ( ص ٣ أسرار البلاغة ) ، فالبلاغة والفصاحة عنده مترادفات ، وإن اختلف فهم كلامه فيما وفي هل يرجعان عنده إلى اللفظ أو إلى المعنى . ويرى عبد القاهر أن الفصاحة تقال تكون اللفظ جارياً على القوانين المستنبطة من استقراء كلامهم كثير الاستعمال على السنة =

كل واحدة منها<sup>(١)</sup> تقع صفة لمعنىين : أحدهما الكلام كما في قوله فصيحة فصيحة أو بليغة ، ورسالة فصيحة أو بليغة ، والثاني المتكلم كما في قوله شاعر فصيح أو بليغ ، وكاتب فصيح أو بليغ ، والفصاحة خاصة تقع صفة للمفرد فيقال : كلمة فصيحة ، ولا يقال كلمة<sup>(٢)</sup>

---

= العرب المؤتوق بعريتهم / ص ٢٥٢ دلائل الاعجاز ) وهو كلام السكاكي أيضا ( ص ١٧٦ من المفتاح ) .

ويرى السكاكي أن البلاغة بلوغ المتكلم في ثانية المعانى حذله اختصاص بتوفيقية خواص التراكيب حقها وايراد أنواع التشبيه والمجاز والإكتنائية على وجهها ، وأما الفصاحة فهي عنده قسمان : قسم يرجع إلى المعنى وهو خلوص الكلام من التعقيد المعنوى . وقسم يرجع إلى اللون وهو أن تكون الكلمة عربية أصلية جارية على السنة الفصحاء من العرب المؤتوق بعريتهم . لا مما أحدهه المولدون . ولا مما أخطأ فيه العامة ( وأن تكون ) سليمة من التناقض ( راجع ص ١٧٦ من المفتاح ) .

... . ويرى ابن الأثير أنه يحتاج في تأليف الكلمات إلى ثلاثة أشياء : اختيار الألفاظ المفردة . ونظم كل كلمة مع اختها بحيث لا يكون هناك تلقى ولا منافرة ، والفرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه ... والأول والثانى عنده هما المراد بالفصاحة ، والثالثة بحملتها هي المراد بالبلاغة . وتكل في كتابه المثل السائر على الصناعة اللغوية ( وهي عنده قسمان : قسم اللغة المفردة ، وقسم الألفاظ المركبة ) ، وعلى الصناعة المعنوية .

(١) أي من البلاغة والفصاحة .

(٢) هذا هو الفرق بين الفصاحة والبلاغة عند الخطيب ، فالفصاحة عنده صفة للمفرد والكلام والمتكلم ، والبلاغة صفة للكلام والمتكلم فقط ؛ ولا شأن أن من يرى أن البلاغة والفصاحة متراوكان بحizin أن يقال كل منها بليفة كما يقال كلمة فصيحة ، وأن كان عبد القاهر - الذي يرى أن الفصاحة والبلاغة متراوكان - يجعلها وصفاً للكلام لا للفظ المفرد فلا تقول عنده كلمة فصيحة ولا كلمة بليفة .

هذا والمزاد بالكلام ما يقابل الكلمة فيشمل المركب الاستنادي والمركب الناقص جميعا ، فإنه قد يكون بيت من القصيدة غير مشتمل على استناد يضيق السكوت عليه مع أنه متصرف بالفصاحة مثل :

=

\* \* \*

---

اذا ما الفانيات يرزن يوما وزججن الحواجب والعيونا

فيكون المراد بالكلام تماما او ناقصا . وورد على هذا الرأى اعتراضات منها : أن المركب الناقص إنما يصح ادخاله في مدلول الكلام لو كانوا يطلقون على مثل هذا المركب أنه كلام فصيح ولم ينقل عنهم ذلك بل المنقول وصفهم له بأنه فصيح دون كونه كلاما ، على أنه يجوز أن يكون وصفه بالفصاحة باعتبار فصاحة مفرداته .

وقيل أن المركب الناقص خارج عن المفرد وعن المركب التام فلا يتصف بالفصاحة والبلاغة بالنظر لذاته بل قد يوصف بها بالنظر لمفرداته .

والصحيح أن المراد بالكلام ما يقابل المفرد ، حقيقة ( وهو اللفظة الواحدة المفردة ) أو حكما ( وهو المركب الناقص ) ، فالمركب الناقص على هذا داخل في المفرد ، لأن المفرد يطلق على ما يقابل المركب ، وعلى ما يقابل المثنى والمجموع وعلى ما يقابل الكلام ، ومقابلة المفرد ه هنا بالكلام قرينة دالة على أنه أريد به ما ليس بكلام تام الافادة ، فيكون المركب الناقص داخلا فيه - أى في المفرد .

(١) اذا لم يسمع ذلك عن العرب ، وهذا هو التعليل الصحيح . وبعضهم يعلل لهذا بأن البلاغة إنما هي باعتبار المطابقة المقتضي الحال وهي لا تتحقق في المفرد ، وورد على هذا التعليل بأن عدم تحقق المطابقة المقتضي الحال في المفرد إنما هو في بلاغة الكلام والمتكلم ، فلم لا يجوز أن تكون هناك بلاغة أخرى غير المطابقة يصح وجودها في الكلمة ؟

## الفصاحة (١)

أما فصاحة المفرد<sup>(٢)</sup> فهي خلوصه<sup>(٣)</sup> من تنافر الحروف والفرابة ومخالفة القياس اللغوي :

(١) هي في اللغة تنبيء التزاماً عن الظهور والإبانة (راجع ص ٣٥٣ من الدلائل ) يقال : فصح الأعجمي وافق : اذا انطلق لسانه وخلصت لفته من اللكتنة وجادت فلم يلحن ، وأافق به اي صرح ، وافق اللبن اذا أخذت رغوته وذهب لباؤه ، قال أبو محجن التقى أو نضلة السلمى :

رواه ، فازدروه ، وهو خرق وينفع أهلـهـ الرـجـلـ القـبـيـحـ  
فـلـمـ يـخـشـيـواـ مـصـالـتـهـ عـلـيـهـمـ وـتـحـتـ الرـغـوـةـ اللـبـنـ الفـصـيـحـ

(٢) بدأ بذكر أقسام الفصاحة وتعريف كل قسم منها على حدة دون أن يعرفها في نفسها على الاطلاق لتعذر جمع المعانى المختلفة غير المشتركة في أمر يعمها في تعريف واحد .. وقدم الكلام على الفصاحة قبل البلاغة ، لأن معرفة البلاغة سواء كانت بلاغة كلام أم متكلم موقوفة على معرفة الفصاحة في الجملة ( اذا لا دخل لفصاحة المتكلم في بلاغة الكلام أو المتكلم ) ، تكون الفصاحة مأخوذة في تعريف البلاغة ، ولهذا أيضاً قدم فصاحة المفرد على فصاحة الكلام والمتكلم ، أما توقف فصاحة الكلام على فصاحة المفرد ظاهر ، وأما توقف فصاحة المتكلم عليه فهو بواسطة أخذ فصاحة الكلام المتوقف عليها في فصاحة المفرد .. هذا وعيوب المفرد أما في مادته أي حروفه وهو التنافر أو في صورته وهو المخالفة للقياس اللغوى المستنبطة من استقراء اللغة ( فالقياس اللغوى هو الضابط المقرر من استعمالات العرب وهو القياس الصريح ) ، وأما من دلالته على معناه وهو الفرابة .

(٣) تفسير الفصاحة بالخلوص من هذه العيوب لا يخلو عن تسامح ، لأن الفصاحة تحصل عند الخلوص ، لأنها هي كون الكلمة جارية على القوانين الصرفية متناسبة الحروف كثيرة الاستعمال ، ويلزم من ذلك الخلوص ، وبتفصيل أدق أقول : الفصاحة هي كون اللفظ جارياً على القوانين المستنبطة من استقراء كلام العرب كثير الاستعمال على السنة العربية الموثق بعرباتهم .

## • فالتناافر (١) :

منه ما تكون الكلمة بسببيه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها ، كما روى أن أعرابيا سئل عن ناقته فقال : تركتها ترعى **الهخخ**<sup>(٢)</sup> .

(١) هو وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بها ، والحكم في التناافر هو الذوق ، وهو قوة يدرك بها لطائف الكلام ووجوه تحسينه ، فكل ما يعود الذوق الصحيح تقليلاً متعسر النطق به . فهو متناافر سواء كان من قرب المخارج أو بعدها أو غير ذلك ، وقد صرخ بذلك ابن الأثير في « المثل السائر » . وقال الزوزنى : أن قرب المخارج سبب للثقل المخل بالفصاحة ، وإن في قوله تعالى « ألم أهيد إليكم أبني آدم » ثقلاً قريباً من التناهى فيدخل بفصاحة الكلمة ، ولكن الكلام الطويل المشتمل على كلمة غير فصيحة لا يخرج عن الفصاحة ، كما لا يخرج الكلام الطويل المشتمل على كلمة غير عربية عن أن يكون عربياً . ورد رأى الزوزنى بما يأتي :

١ - أن فصاحة الكلمات مأخوذة في تعريف فصاحة الكلام من غير تفرقة بين طويل وقصير .

٢ - وأن الزوزنى يرى أن الكلام ما ليس بكلمة ، وحينئذ فالقول بوجود كلمة غير فصيحة في كلام فصيح أكثر فساداً من ذلك القول على تفسير غيره ، فالفساد لازم لكلام الزوزنى في المركب الشام وفي المركب الناقص إذا استعمل كل منها على كلمة غير فصيحة ، أما على قول غير الزوزنى وهو الشارح (السعد) فالفساد في المركب الشام فقط لأنه يجعل المركب الناقص داخلاً في الكلمة .

٣ - على أن القياس على الكلام العربي ظاهر الفساد ، لأن القرآن عربي باعتبار كله أو جله ، وأيضاً فلم يشترط في عربية الكلام عربية الكلمات .

٤ - ولو سلم عدم خروج السورة عن الفصاحة مع استعمالها على كلمة غير فصيحة ، فإن مجرد اشتمال القرآن على كلام غير فصيح بل على كلمة فصيحة مما يقود إلى نسبة الجهل أو العجز لله .

(٢) هي اسم شجرة من شجر الصحراء ، وتنطق الكلمة بصور كثيرة ، وقيل أنها كلمة معنوية لا أصل لها في اللغة .

ومنه ما هو دون ذلك كلفظ مستثزر في قول امرئ القيس:  
خدايره مستثزرات الى العسلا تضل العقاص في منى ومرسل<sup>(١)</sup>

### • والفراءة :

أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها ، فيحتاج في معرفتها

(١) من معلقة امرئ القيس امام الشعراء الجاهلين التي مطلعها :  
ففانبك من ذكري حبيب ومنزل بسقوط اللوى بين الدخول فحومل  
لو قيل هذا البيت :

وفرع يزبن المتن اسود فاحم آنيث كفنسو النخلة المتعشكل

الفرع : الشعر النام . المتن : ظهر المرأة ، آنيث : كثير . فنو النخلة : عنقودها . المتعشكل : المترافق . الفدائر : الدواين ، جمع غديره ، والضمير فيها عائد الى الفرع في البيت الاول . مستثزرات اي مرفعات ان كان بكسر الزاي على لفظ اسم الفاعل ، او مرفوعات ان روى بالفتح على لفظ اسم المفعول ، استثزره اي رفعه متعديا ، واستثزر اي ارتفع لازما ، تضل : تغيب وتختفي . العقاص : جمع عقيصة وهي الخصلة المجموعة من الشعر . الثنى : المفتول . المرسل : خلاف المثنى .

والمعنى : ان ذوايبه مشدودة على الرأس وأن شعره مقسم الى عقاص ومثنى ومرسل والاول يغيب في الآخرين . والمراد وصف الشعر بالكثافة والكثرة والطول .. والشاهد هنا قوله مستثزرات فهو لفظ متنافر ثقيل على اللسان ، ولكنه أقل ثقلًا من « الهمجع » .. وقال الخلخالي : ان سبب الثقل في مستثزرات راجع الى توسط الشين التي هي من الحروف المهموسة ( وهي عشرة يجمعها قولهم : سكت فحشه شخص . وما عداتها حروف مجحورة ) الرخوة ( وهي ما عددا الحروف الشديدة التي يجمعها قولهم : أجد قط بكت ، ومامعا الحروف المتوسطة التي يجمعها قولهم : لن عمر ) ، بين الناء التي هي من المهموسة الشديدة وبين الزاي التي من المجحورة الرخوة ، ولو قال : مستثرف لزال الثقل . ورد رأى الخلخاني بأن الراء المهملة ايضا هي من الحروف المجحورة ... ومن الالفاظ المتنافرة : اطلخم بمعنى اشتند ، ومتعنجر : للسائل من الماء او الدمع .

الى أن ينقر<sup>(١)</sup> عنها في كتب اللغة المبسوطة ، كما روى عن عيسى ابن عمر<sup>(٢)</sup> النحوى أنه سقط عن حماره ، فاجتمع عليه الناس ، فقال : ما لكم تأكلون على تأكلكم على ذى جنة افترقوا عنى ، أى اجتمعتم تتحموا .

أو يخرج لها وجه بعيد<sup>(٣)</sup> كما في قول العجاج<sup>(٤)</sup> :

ومقلة وحاجبا مزجا وفاحما ومرسنا مسرجا

(١) ينقر : أى ينقش . والكلمة الوحتية هي التي لا تكون مأنيوسة الاستعمال عند العرب الخلص من سكان البادية ، لا بالنسبة للمولدين .

(٢) عالم جليل من نقيف ومن أئمة النحو واللغة ومن المتغرين في كلامهم توفي عام ١٥٠ هـ ، وتروي هذه القصة عن أبي علقمة النحوى حين هاجت به مرة ببعض طرق البصرة فوثب عليه قوم يعضون أبهامه ويؤذنون في أذنه ، وكان أبو علقمة نحوياً مغربياً في الفاظه . قوله : ذى جنة ، أى صاحب جنون .

(٣) سبب هذا التخريج هو عدم ظهور معنى الكلمة ، وسبب التفتيش والتثني عن الكلمة في المعاجم هو وحشيتها .

وما يحتاج إلى تخرير يعده بعض البلاغيين من التعقيد ، والبعض يجعله خطأ ، وكلا الوجهين غير صحيح ، لأن الوارد من هذا الباب إنما ورد من عربي مونوق بعربيته فلا بعد خطأ . كما أن هنا فرقاً بين هذا الباب وبين التعقيد ، لأن التعقيد فيه خطأ ناشئ عن ظهور الدلالة على المراد ، وهنا لا خطأ ولا خفاء في الدلالة فلا تعقيد .

(٤) شاعر راجز مشهور أدرك الدولة الأموية ، والبيت من أرجوزة العجاج « ما هاج أحزاننا وشجوا قد شجا » . وفي أسرار البلاغة ص ٤٨ ذكره عبد القاهر مع الاستعارات القبيحة (في قوله : ومرسنا ...) . المقلة : العين . مزجا : مدققاً مطولاً . فاحما : أى شعراً أسود كالفحم . المرسن : الأنف ... والشاهد في البيت في قوله مزيرجاً فانه غير ظاهر المعنى ، إذ أن العلماء قد اختلفوا في معناه . والحاصل أن مسرجاً اسم مفعول مشتق فلابد له من أصل يرجع إليه فقيل هو :

=

فانه لم يعرف ما أراد بقوله «مسرجا» ، حتى اختلف في تحريرجه:  
 فقيل هو من قولهم للسيوف : سريجية ، أى منسوبة إلى قين<sup>(١)</sup>  
 يقال له «سريج» ، يريد أنه في الاستواء والدقة كالسيف السريجي ،  
 وقيل : من السراج ، يريد أنه في البريق كالسراج<sup>(٢)</sup> . وهذا يقرب من  
 قولهم : سرج وجهه أى حسن ، وسرج الله وجهه أى بهجه وحسن<sup>(٣)</sup> .

---

= ١ - فعل (بالتشديد) للنسبة مثل كرمته أى نسبته للكرم .  
 ولما لم يوجد التسريع الذي حق النسبة أن تكون إليه جعلنا مسرجا  
 منسوباً للسراج أو للسريجي نسبة تشبيهية أى هو منسوب لهما من حيث  
 أنه شبيه بهما . ووجهه بعد هذا التحرير أن مجرد النسبة لا يدل  
 على التشبيه .

٢ - وقيل أنه من فعل بشدید العين بمعنى صيروة فاعله كاصله  
 مثل قوس الرجل أى صار كالقوس ، فمسرج أى صائر كالسراج  
 أو كالسريجي ... وهذا مردود بأن سرج على هذا لازم فلا يصاغ منه  
 اسم مفعول .

٣ - وقيل انه من فعل بمعنى صيروة فاعله أصله أو صيروته  
 ذا أصله مثل عجزت المرأة أى صارت عجوزاً وورق الشجر صار  
 ذا ورق ، فمسرج أى صار سراجاً أو سريجاً أى مثل أحدهما أو صار  
 ذا سراج وهذا مردود بما يرد به الوجه السابق .

٤ - وقيل هو اسم مفعول من سرج الله وجهه أى نوره وبهجه ،  
 فمعنى مسرج : منور ، فليس فيه نسبة تشبيهية ، وهذا وإن لم يكن غريباً  
 من حيث عدم احتياجه لتحرير بعيد ، لكنه بعيد من حيث أنه يحتاج إلى  
 تفتيش عليه في كتب اللغة المبسوطة .

(١) القين : الحداد .

(٢) هذان التحريرجان هما حاصل الوجه الأول الذي سبق ذكره  
 والذي سبق بيان ما عليه من رد .

(٣) أى أن الوجه المذكور قريب من هذا الوجه الثاني في أن كلاً منهما  
 غريب والكلمة عليها غير ظاهرة المعنى ، وهذا التحرير الثاني هو الوجه  
 الرابع الذي سبق ذكره ، ورد بأنه يحتاج إلى تفتيش على معناه فهو  
 غريب . وقال الإمام المرزوقي : إن مسرجا لفظ مستحدث من السراج أى

=

● ومخالفة القياس (١) :

كما في قول الشاعر<sup>(٢)</sup> :

الحمد لله العلى الأجل (أنت مليك الناس ربا فاقبل)

فإن القياس الأجل بالادغام \*

وقيل هي :<sup>(٣)</sup> خلوصه مما ذكر<sup>(٤)</sup> ، ومن الكراهة في السبع<sup>(٥)</sup>

=  
أنه لفظ أحده المولدون وأخذوه من السراج واستعملوه بمعنى حسن ولم يكن ذلك اللفظ واقعاً في لغة العرب أصلاً ، ويرد عليه أن العجاج قبل عصر التوليد والاستحداث .

ووجه القرب بين الوجهين المذكورين أن سرجاً عليهما مشتق من سرج ، لكن على الوجه الأول مشتق منه للنسبة التشبيهية ، وعلى الوجه الثاني مشتق منه اشتقاداً لغويَا لا على آفاقه النسبة التشبيهية .

(١) هو أن تكون الكلمة على خلاف قانون مفردات الألفاظ الموضوعة ، اعني على خلاف ما ثبت عن الواضع ، فالمواقة للقياس أن تكون الكلمة على وفق ما ثبت عن الواضع سواء وافقت القانون التصريفي أم خالفته ولكن ثبتت عن الواضع كذلك ، والمغالطة أن تكون الكلمة على خلاف ما ثبت عن الواوضع سواء خالفت القانون الصرف أيضاً أم لا ، فنحو آل وماء وأبى يأبى وعور يعور فصريح . لأنه ثبت عن الواوضع كذلك .

(٢) هو أبو النجم الراجز المشهور . وهذا الشاهد في الكتاب لسيبويه صحيفية ٣٠، من الجزء الثاني وروايته فيه هكذا : الحمد لله الوهوب المجزل .

ومثل البيت قول الشاعر :

مهلاً أعادل قد جريت من خلقى أنى أجود لاقوام وان ضسناوا  
(٣) أى فصاحة المفرد .

(٤) أى من التناقض والغرابة ومخالفة القياس .

(٥) وهذا القول لابن الأنباري في « المثل السائر » . قال : الألفاظ داخلة في حيز الأصوات ، فما استلده السمع منها فهو الحسن ، وما

=

بأنه تمج الكلمة ويثيراً من سماعها كما يتبرأ من سماع الأصوات المنكرة،  
فإن اللفظ من قبيل الأصوات، والأصوات منها ما تستلذ النفس سماعه  
ومنها ما تكره سماعه، كلفظ الجرشي في قول أبي الطيب :

( مبارك الاسم أغفر اللقب ) كريم الجرشي شريف النسب <sup>(١)</sup>

أى كريم النفس ، وفيه <sup>(٢)</sup> نظر .

ثم عالمة كوان الكلمة فصيحة ، إن يكون استعمال العرب الموثوق  
بعريتهم لها كثيراً ، أو أكثر من استعمالهم ما بمعناها <sup>(٣)</sup> .

استكره فهو القبيح ( راجع ص ٥٨ المثل السائر ) . وهو رأى أشار إليه  
ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة ص ٦١ .

(١) من قصيدة يمدح بها المتبنى سيف الدولة .. الأغر من الخيل :  
الأبيض الجبهة ، ثم استغير لكل واضح ، الجرشي : النفس . والمعنى  
أن اسم سيف الدولة على وهو اسم جميل ميمون ولقبه لقب واضح  
مشهور . وهو كريم النفس عظيم الحسب . شريف السب .. والشاهد  
الجرشي فإنها لفظ غير فصيح ، لكراهته في السمع كما يقول هذا القائل ،  
أو لغراحته على رأى من عداته من البلاغيين والبيت في ص ٦٢ من سر  
الفصاحة .

(٢) أى في هذا الفول وهو أن تكون كراهة الكلمة في السمع سبباً  
لعدم فصاحتها ... ووجه النظر كما قالوا هو ما يأتي :  
١ - أن الكراهة في السمع إنما هي من جهة الغرابة المفسرة  
بالوحشية مثل تكاكئم ، وأفرنقعوا ، ونحو ذلك .

٢ - وأن الكراهة في السمع وعدمها يرجعان إلى عدم طيب النغم  
أو إلى طيبة لا إلى نفس اللفظ . ويمكن رد هذا الوجه الثاني بالقطع  
باستكره الجرشي دون « النفس » مع قطع النظر عن النغم .

(٣) هذا منقول عن السكاكي ( ص ١٧٦ من المفتاح ) . وخلاصته :  
أن فصاحة الكلمة تعرف بأحد أمرين :

١ - أن تكون هذه الكلمة كثيرة الاستعمال عند العرب الموثوق  
بعريتهم : إذا لم يكن لها مرادف .

## • وأما فصاحة الكلام :

فهي خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعييد ، مع  
فصاحتها .

## • فالضعف (١) :

كما في قولنا ضرب غلامه زيدا ، فان رجوع الضمير الى المفعول  
المتأخر لفظا ممتنع عند الجمهور ، لثلا يلزم رجوعه الى ما هو متأخر  
لفظا ورتبة .

---

٢ - أو أن تكون هذه الكلمة أكثر استعمالا عندهم من الكلمات  
الآخرى المرادفة لها المشتركة معها فى المعنى وهذا فيما اذا كان للكلمة  
مرادف .

فعلامة فصاحة الكلمة التي ليس لها مرادف كثرة استعمالها ، والتى  
لها مرادف أن تكون استعمالا من مرادفها .

(١) هو أن يكون تأليف الكلام على خلاف القانون النحوى المشهور  
بين الجمهور كالأضمار قبل الذكر لفظا ومعنى وحكمـا ، نحو ضرب غلامه  
زيدا ، فلو تقدم المرجع على الضمير لفظا ( بأن يتقدم عليه لفظا ورتبة مثل  
ضرب زيد غلامه أو لفظا فقط مثل ضرب زيدا غلامه ) ، أو تقدم معنى  
بأن يتقدم المرجع على الضمير لفظا لكن هناك ما يدل على تقدمه معنى ،  
كال فعل المقدم الدال على المرجع بضمـنا نحو اعدـوا هو أقرب للتفوى ،  
وكسبـاق الكلام المستلزم له استلزمـاما قربـا نحو ولاـبوـيه اي المورـث  
أو بعيدـا نحو توارـت بالـحـجـاب اي الشـمـس ، وكونـ المرـجـعـ فاعـلاـ المـقـتضـىـ  
لتـقدمـهـ عـلـىـ المـفـعـولـ نحوـ خـافـ رـبـهـ عمرـ ، اوـ مـبـتـداـ المـقـتضـىـ لتـقدمـهـ عـلـىـ الخبرـ  
مـثـلـ فـيـ دـارـهـ زـيدـ ، اوـ مـفـعـولـاـ اـولـ فـيـ بـابـ اـعـطـيـ مـثـلـ اـعـطـهـ زـيدـ ،  
اوـ تـقـدـمـ حـكـمـ بـأـنـ يـتأـخـرـ المـرـجـعـ عـنـ اـشـمـيرـ لـفـظـاـ وـلـيـسـ هـنـاكـ مـاـ يـقـضـىـ  
ذـكـرـ قـبـلـ الاـ حـكـمـ الـواـضـعـ بـأـنـ المـرـجـعـ يـجـبـ تـقـدـمـهـ ، لـكـنـ خـوـلـفـ حـكـمـ  
الـواـضـعـ لـأـغـرـاضـ تـأـتـيـ فـيـ بـحـثـ وـضـعـ المـشـمـرـ مـوـضـعـ المـظـهـرـ . فـالـمـرـجـعـ المـتأـخـرـ  
لـفـرـضـ مـتـقـدـمـ حـكـمـ مـثـلـ : رـبـهـ رـجـلاـ ، وـنـعـ رـجـلاـ زـيدـ ، وـقـلـ هـوـ اللهـ اـحـدـ ،  
وـفـيـ بـابـ التـنـازـعـ مـثـلـ ضـرـبـنـيـ وـضـرـبـتـهـ مـحـمـدـ وـبـابـ الـبـدـلـ وـالـمـبـتـداـ المـفـسـرـ  
بـالـخـبـرـ . نـعـمـ لـوـ تـقـدـمـ المـرـجـعـ فـيـ كـلـ ذـلـكـ جـازـ وـلـاـ يـكـونـ هـنـاكـ ضـعـفـ وـلـاـ يـضـرـ  
ذـلـكـ بـفـصـاحـةـ الـكـلـامـ .. وـقـدـ اـشـارـ السـكـاكـىـ اـلـىـ ضـعـفـ التـأـلـيفـ فـيـ المـفـتـاحـ

ص ٩٤ .

وقيل يجوز<sup>(١)</sup> ، كقول الشاعر<sup>(٢)</sup> :

جزى ربہ عنہ عدی بن حاتم  
جزاء الكلاب العاويات ، وقد فعل<sup>(٣)</sup>

وأجيب عنه بأن الضمير لمصدر جزى ، أى (جزى) رب الجزاء<sup>(٤)</sup>  
كما في قوله تعالى : اعدلوا هو أقرب للتقوى ، أى العدل .

(١) أى يجوز رجوع الضمير إلى المفعول المتأخر لفظا .

(٢) هو النابغة الذهبياني الشاعر الجاهلي المشهور ، كما في  
الخصائص لابن جنی .

(٣) يدعو الشاعر على عدى بأن يجزيه شرًا كجزاء الكلاب العاويات  
التي تضرب وترمي بالحجارة ، ثم يقول الشاعر . بل قد حصل هذا الجرائم  
فعلا وأصبح حقيقة لا دعاء . والشاهد في البيت قوله : « جزى ربہ عنی  
عدی بن حاتم » ، فقد رجع الضمير إلى المفعول المتأخر في اللفظ كما هو  
متأخر في الرتبة .

ومثل هذا البيت قول سليمان بن سعد :  
جزى بنوه أبا الفيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزى سنمأن  
ومثله :

الا ليت شعرى هل يلومن قومه زهرا على ما جرى من كل جانب

وفي معنى البيت قول النابغة :

جزى الله عبسا عبس آل بغيض جزاء الكلاب العاويات وقد فعل  
ومن ضعف التأليف :

فلو ان مجدًا أخلد الدهر واحدًا من الناس أبقى مجده الدهر (مطعمها)

(٤) في هذا تكلف وحمل للأسلوب على مالا يفيده وان كان أخف من  
حمل البيت على ضعف التأليف .

## ● والتنافر (١) :

منه ما تكون الكلمات بسببيه متناهية في الشقل على لسان وعسر النطق بها متابعة ، كما في البيت الذي أنسده الجاحظ<sup>(٢)</sup> :

و قبر حرب بسكان قصر وليس قرب قبر حرب قبر<sup>(٣)</sup>  
ومنه ما هو دون ذلك كما في قول أبي تمام :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى  
(ـ) و اذا ما لته لته وحدى<sup>(٤)</sup>)

(١) هو أن تكون الكلمات ثقيلة على اللسان وإن كان كل منها فصيحة.

(٢) البيت في دلائل الاعجاز ص ٤٦ مع تعليق لعبد القاهر عليه ..  
وهو لا يعرف قائله .

(٣) حرب : اسم رجل . الفقر : الخالي من الماء والكلأ .. ويقول الفرويني الرحالة في « عجائب المخلوقات » : إن هاتفا من الجن صاح بحرب ابن أمية فمات فرثاه ذلك الجنى بهذا البيت .. قوله « قفر » بالرفع نعت مقطوع . والبيت خير مراد منه التأسف والتخزن .

(٤) الواو في « والورى » للحال ، وهو مبنياً ، وخبره « معى » ..  
يقول أبو تمام في ممدوحه : هو كريم في خلقه ومعروفه ، إذا ما مدحته كان الورى كلهم معى يمدحون ويشيدون أو يسمعون و يؤيدون ، وإذا ما أردت لومه على تأخير معروف أو على شبهه ذلك وقفت وحدى لا يشاركتي في ذلك أحد ولا يؤيدنني فيه انسان .. والبيت في ص ٤٦ من دلائل الاعجاز ، وذكر الصاحب اسماعيل بن عباد الكاتب أنه أنسد القصيدة التي منها هذا البيت بحضور الاستاذ ابن العميد الوزير ، فلما بلغ هذا البيت قال له الاستاذ : هل تعرف فيه شيئاً من الهجنة ؟ قال : نعم مقابلة المدح باللوم وإنما يقابل بالذم أو الهجاء ، فقال الاستاذ : هذا التكرير في أمدحه أمدحه مع الجمع بين الحاء والهاء وهما من حروف الحلق خارج عن حد الاعتدال نافر كل النفار ، فأشاد الصاحب بذوقه ونقده .

فإن في قوله «أمدحه (أمدحه)» ثقلاً لما بين الحاء والهاء من  
التنافر<sup>(١)</sup>.

### ● والتعقيده (٢) :

أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به وله<sup>(٣)</sup> سببان :  
أحدهما ما يرجع إلى اللفظ وهو أن يختل نظم<sup>(٤)</sup> الكلام . ولا يدرى

---

(١) وهناك فرق آخر بين البيت والبيت الذي قبله ، وهو أن  
منشأ الشقل في الأول نفس اجتماع الكلمات وفي البيت الثاني اجتماع  
حرروف منها . ومجموع الحروف التي في الكلمتين والتي حصل الشقل  
باجتماعها أربعة وهي : الحاءان والهاءان ، فيما ذكر من مجموع الحروف  
التي حصل الشقل باجتماعها حاصل مع تكرير أمدحه ، ولو قال وفي  
الناني تكرير حرروف منها لكان أوضح وأحضر . أما نقل مجرد الجمع  
بين الحاء والهاء فلا يخل بالفصاحة لوفوعه في التنزيل كما في قوله  
«فسبحة» .

(٢) أي كون الكلام معقداً فهو مصدر المبني المفعول لا للفاعل ،  
والمراد بأنه مصدر المبني الحاصل بالمصدر أي الهيئة المترتبة عليه .  
وتجد الكلام في التعقيد في (أسرار البلاغة ص ١١٨ ، وفي دلائل الاعجاز  
ص ٦٥ ، وفي المفتاح ص ١٧٦) .

(٣) أي عدم ظهور المعنى المراد منه للمتكلم ، أما الفرابة فهي كون  
اللفظ غير ظاهر الدلالة على المعنى الموضوع له ، وأما اللغز والمعنى : فقيل  
هما غير فضيحيين مطلقاً ولا يعдан من البديع لعدم ظهور الدلالة ، وقيل  
أن الدلالة فيهما أن كانت ظاهرة للفطن فهما فضيحان ويعدان من البديع  
والا فلا . واللغز والمعنى بمعنى وهو قول يدل ظاهره على خلاف المراد .

(٤) النظم هو تأليف الكلمات مترتبة المعانى متناسقة الدلالات على  
حسب ما يقتضيه العقل لا تواليه فى النطاق وضم بعضها الى بعض كييفما  
اتفق ، بخلاف نظم الحروف فإنه تواليه فى النطق من غير اعتبار معنى  
يقتضيه (راجع دلائل الاعجاز ص ٤٠ و ٤٥) .

السامع كيف يتوصل الى معناه<sup>(١)</sup> ، كقول الفرزدق<sup>(٢)</sup> :

وما مثله في الناس الا مملكا أبو أمه حى أبوه يقاربه  
الا مملك أبو أمه أبوه ، فانه مدح ابراهيم بن هشام بن اسماعيل  
المخزومي<sup>(٣)</sup> خال هشام بن عبد الملك بن مروان ، فقال وما مثله — يعني  
ابراهيم المدوح — في الناس ، حى يقاربه — أى أحد يشبهه في  
الفضائل — الا مملكا يعني هشاما ، أبو أمه — أى أبو أم هشام — أبوه  
— أى أبو المدوح — فالضمير في أمه للمملك ، وفي أبوه للمدوح ،  
فصل بين أبو أمه — وهو مبتدأ — وأبوه — وهو خبره — بحى —  
وهو أجنبي — وكذا فصل بين حى وقاربه وهو نعت حى — بأبوه —  
وهو أجنبي ، وقدم المستثنى على المستثنى منه<sup>(٤)</sup> . فهو كما تراه في  
غاية التعقيد .

(١) بأن لا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعانى ، بسبب تقديم  
أو تأخير أو حذف أو اضمار أو غير ذلك ، مما يوجب صعوبة فهم المراد ،

وان كان ذلك في الكلام جاريا على قواعد النحو . . . فان سبب التعقيد يجوز  
أن يكون اجتماع أمور كل منها شائع الاستعمال في لغة العرب ، ويجوز أن  
يكون التعقيد حاصلا ببعض منها لكنه مع اعتبار الجميع يكون أشد وأقوى ،  
فذكر ضعف التأليف لا يقى عن ذكر التعقيد اللفظي كما توهمه البعض .

(٢) هو الشاعر الاموى المشهور فرين جرير والاخطل توفى عام  
١١٠ هـ . والبيت في ١٥ و ٦٥ أسرار البلاغة ، ٧٦ مفتاح ، ٦٥ دلائل  
الاعجاز ، ١٥٤ و ١٩٧ الصناعتين ، قال ابن عبد ربه في العقد : معناه  
بما مثل هذا المدوح في الناس الا الخليفة الذى هو خاله ، فقال أبو أمه  
حى أبوه يقاربه ، وبعد المعنى القريب ووعر الطريق السهل ، وليس المعنى  
بتوعر اللفظ وقبح البنية حتى ما يكاد ينفهم (٤/١٣ العقد) .

(٣) من الأمراء الأشراف آل السادة الفرسان توفى عام ١٢٥ هـ وهشام  
احد الخلفاء الامويين المشهورين .

(٤) ما نافية ، « مثله » اسمها ، « في الناس » خبرها . مما :  
مستثنى مقدم منصوب على الاستثناء . أبو أمه : مبتدأ ومضاف اليه ،  
وحي بدل من مثله ، فيه أيضا فصل بين البدل والبدل منه ، أبوه خبر  
=

فالكلام الحالى من التعقيد اللغوى ما سلم نظمه من الخلل ، فلم يكن فيه ما يخالف الأصل من تقديم أو تأخير أو اضمار أو غير ذلك ، الا وقد قامت عليه قرينة ظاهرة ، لفظية أو معنوية ، كما سيأتى تفصيل ذلك كله وأمثاله اللاقنة به<sup>(١)</sup> .

والثانى ما يرجع الى المعنى ، وهو الا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول الى المعنى الثانى – الذى هو لازمه والمراد به – ظاهرا<sup>(٢)</sup> كقول العباس بن الأحنس :

المبتدأ ، يقاربه صفة لمحى . ويصح أن يكون « مملكا » مستثنى من الضمير المستثنى في الجار والجرور الواقع خبر ما ، وأبو أمه مبتدأ خبره ، وأبوه خبر ، وأجملة صفة لمملكا ، وكذلك جملة يقاربه وعلى هذا الوجه فلا تعقيد في البيت ، ولكن في حمله عليه تكليف شديد .

(١) قال الخلخالى: ذكر ضعف التأليف يعنى عن ذكر التعقيد اللغوى : وأجيب بأنه يجوز أن يحصل التعقيد باجتماع عدة أمور موجبة لصعوبة فهم المراد وان كان كل واحد منها جاري على القانون النحوى مثل الا عمرا الناس ضارب زيد . وينفرد ضعف التأليف في مثل جاعنى احمد ، ويجتمع الضعف والتعقيد في بيت الفرزدق ، فبينما عموم وخصوص من وجهه ... هذا ومن التعقيد اللغوى قول أبي تمام :

ثانية في تببد السماء ، ولم يكن كائنين ثان اذ هما في الفار

وقول المتنبي :

انى يكون ابا البرايا آدم وأبوك والثقلان انت محمد وتركيب البيت الصحيح : انى يكون آدم ابا البرايا وأبوك محمد وانت الثقلان ، وكذلك قول الفرزدق :

الى ملك ما امته من ( محارب ) أبوه ولا كانت ( كلب ) تصاهره اى الى ملك أبوه ما امته من محارب ولا كانت تصاهره كلب .

(٢) اى الى ان لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد لخلل واقع في انتقال الذهن – اى بسبب بطء نفس السامع في انتقالها – من المعنى الأول الذى هو المعنى الأصلى الحقيقى للكلام الى المعنى الثانى الملابس له وهو المعنى الكنائى أو المجازى . والحاصل أن من شروط فصاحة الكلام أن يسلم من التعقيد المعنوى بأن لا يكون ما فيه من كناية أو مجاز بعيدا عن

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربيوا

وتسكب عيناي الدموع لتجمدا<sup>(١)</sup>

كتى بتسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن ، وأصاب ، لأن من شأن البكاء أن يكون كناية عنه ، كقولهم : أبكاني وأضحكني أى ساعنى وسرنى ، وكما قال الحماسى<sup>(٢)</sup> :

=  
الفهم والوضوح : فان من شروط فصاحة الكناية والمجاز قرب فهم المعنى النانى من أصله الحقيقى ، والا كانا غير فصيحين بحيث يفتقر في فهمه إلى وسائل مع خفاء القرينة ، فالمدار في صعوبة الفهم على خفاء القرينة كثرة الوسائل أو لا ، وخفاء القرآن أو عدم خفائها بحسب جريان الكلام على أسلوب البلوغ أو عدم جريانه ، وسبب الخفاء ايراد اللوازم البعيدة المفترضة إلى الوسائل الكثيرة مع خفاء القرائن الدالة على المقصود بسبب عدم جريان الكلام على أسلوب آبلوغ ، فلو كانت القرينة ظاهرة فلا خلل تعدد الوسائل أم لا . هذا وتجدد الكلام على التعقيد المنسوى في دلائل الاعجاز صحيفة ٢٠٧ .

(١) العباس شاعر عباسي ، غزل مجيد . والبيت في دلائل الاعجاز ، وتعليق الخطيب على أبيت مأخوذ من عبد القاهر في دلائل الاعجاز . وتسكب في البيت بالرفع وهو الصحيح ، ونصبه على العطف على « بعد » أو على « لتقربيوا » وهم . ومعنى البيت : انى اليوم أطيب نفسا بالفرق والبعد ، وأوطنها على مقاساة الأحزان والأسواق ، واتجرع غصتها وأتحمل لأجلها حزنا يفيض الدموع من عيني ، لاتسبب بذلك إلى وصل يدوم فان الصبر مفتاح الفرج ولكل بداية نهاية ومع كل عسر يسرا ، كما يشير اليه عبد القاهر في دلائل الاعجاز . . . وعلى هذا فالسين في « سأطلب » لمجرد التأكيد على ما ذكره صاحب الكشاف في قوله تعالى « سنكتب ما قالوا » .

(٢) هو حطان بن المعلى ، شاعر اسلامي مشهور . والبيت من السريع ، وهو في الحماسة ، وتجده أيضا في دلائل الاعجاز ( ص ٢٠٨ ) ومثل البيت قول مسلم :  
أبكاني الدهر مما كان أضحكنى والدهر يخلط احلاء باسمرار

وقول الخنساء :

الا يا صاحر ان ابكىيت عينى لقد اضحكتنى زمننا طويلا

أبکانی الدهر ويا ربما أضحكنی الدهر بما يرضي  
ثم طرد ذلك في تقىضه ، فأراد أن يكنى عما يوجبه دوام التلاقى  
من السرور بالجمود ، لظنه أن الجمود خلو العين من البكاء مطلقاً من  
غير اعتبار شيء آخر ، وأخطأ<sup>(١)</sup> :

لأن الجمود خلو العين من البكاء في حال ارادة البكاء منها  
فلا يكون كنایة عن المسرة ، وإنما يكون كنایة عن البخل كما قال  
الشاعر<sup>(٢)</sup> :

ألا ان عينا لم تجد يوم (واسط) عليك بجاري دمعها لجمود  
ولو كان الجمود يصلح أن يراد به عدم البكاء في حال المسرة لجاز  
أن يدعى به للرجل ، فيقال : لا زالت عينك جامدة ، كما يقال : لا أبكي  
الله عينك ، وذلك مما لا يشك في بطلانه .

وعلى ذلك قول أهل اللغة : سنة « جماد » لا مطر فيها ، وناقة  
جماد : لا لبن لها ، فكما لا تجعل السنة والناقة جماما إلا على معنى  
أن السنة بخيلة بالقطر ، والناقة لا تسخو بالدر ، لا تجعل العين جمودا

(١) لعدم فهم ذلك اللازم بسرعة من جمود العين ففيه مخالفة لوارد استعمال البلغاء لأن تعارف البلغاء على خلافه ، فهو مخطئ في نظر البلغاء وإن صح أن يكون لكلامه وجه من التأويل بحمل كلامه على ما يصححه بأن نقول : استعمل جمود العين الذي هو يبيسها في حال خلوها من الدموع مطلقاً مجازاً مرسلاً من باب استعمال المقيد في المطلق ، ثم كنى به عن دوام السرور لكونه لازماً لذلك عادة ، وهذا وإن كان معنى صحيحاً إلا أن فيه بعضاً وتعقيداً .

(٢) هو أبو عطاء يرثى ابن هبيرة وقد قتل في معركة يوم « واسط » والبيت في ص ٢٠٨ من دلائل الأعجاز وهو من أبيات عزاه المرتضى لعن ابن زائدة .

الا وهناك ما يقتضى ارادة البكاء منها ، وما يجعلها اذا بكت محسنة  
موصوفة بأنها قد جادت ، و اذا لم تبك مسبيّة موصوفة بأنها قد  
ضيّنت .

فالكلام التحالى عن التعقيد المعنى ما كان الاتصال من معناه  
الأول الى معناه الثانى — الذى هو المراد به — ظاهرا ، حتى يخيل الى  
السامع أنه فهمه من حلق اللفظ ، كما سيأتي من الأمثلة المختارة  
للاستعارة والكلنائية

وقيل فصاحة الكلام هي خلوصه مما ذكر<sup>(١)</sup> ومن كثرة التكرار<sup>(٢)</sup>  
وتنابع الأضافات . كما في قول أبي الطيب (المتبني) :

( وتسمعني في غمرة بعد غمرة )  
سبوح لها منها عليها شواهد<sup>(٣)</sup>

وكما في قول ابن بابك<sup>(٤)</sup> :

(١) أي من الضعف والتناقض والتعقيد .

(٢) أي للغرض الواحد أسماء كان أو فعل أو حرفا .

(٣) سبوح : أي فرس حسن الجري لا تتعب راكبها كأنها تجري  
في الماء « لها » صفة لسبوح ، و « منها » حال من شواهد ، و « عليها »  
متعلق بشواهد ، و « شواهد » فاعل الظرف — أعني « لها » — ،  
يعنى أن لها من نفسها علامات دالة على نجابتها وأصالتها . والغمرة :  
هي الشدة . قيل التكرار الشيء مرة بعد أخرى ولا يخفى أنه لا تحصل  
كثرة بذكره ثالثا بل لا تحصل الكثرة الا بذكره ست مرات فالتكرار ذكر  
الشيء مرتين وتعدده بالتربيع وكثرة بالتسديس ، واجيب بأن المراد بالكثرة  
ما يقابل الوحدة ولا يخفى حصولها بذكره ثالثا . والشاهد في البيت كثرة  
التكرار فيه .

(٤) من شعراء العصر العباسي . وله ترجمة في الـ *اليتيمة* . مدح عضد  
الدولة والصاحب ، وتوفي عام ٤١٠ هـ .

حِمَامَة جَرْعَا حُوْمَة الْجَنْدَل اسْجُونِي  
( فَأَنْتَ بِمَرْأَى مِنْ سَعَادٍ وَمَسْمَعٍ )<sup>(١)</sup>

وَفِيهِ نَظَرٌ<sup>(٢)</sup> ، لَأَنَّ ذَلِكَ<sup>(٣)</sup> أَفْضَى بِاللُّفْظِ إِلَى التَّقْلِيلِ عَلَى  
الْمُلْسَانِ فَقَدْ حَصَلَ الْإِخْرَازُ عَنْهُ بِمَا تَقْدِيمٌ<sup>(٤)</sup> ، وَالْأَفْلَى يَخْلُ بِالْفَصَاحَةِ ،  
وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ  
ابْنُ الْكَرِيمِ » . يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنُ إِسْحَاقَ بْنُ إِبْرَاهِيمَ »<sup>(٥)</sup> .

---

(١) الشاهد في البيت كثرة الاضافات المتتابعة ، وفيه أضافة حمامنة  
إلى جرعى وجرعى إلى حومة ، وحومة إلى الجندل .

والجرعى : تأثير الأجرع قصرها للضرورة ، وهي أرض ذات رمل  
لا تنبت شيئاً . والحومة : معظم الشيء . الجندل : أرض ذات حجارة .  
في هذا المكان غنى وأصدقى فأنت بحيث ترك سعاد المحبوبة وتسمع  
السجع : هدير الحمام ونحوه . والمعنى أيتها الحمامنة التي تعيش أو تحلق  
صوتك ، يقال : فلان بمرأى مني وسمع ، أى بحيث أراه وأسمع قوله  
كما في الصخاج ، ومن الخطأ أن يقال فأنت بموقع ترين منه سعاد  
وتسمعين كلامها .

ومثل البيت في تتبع الاضافات قول أبي العتاهية :

سَبِّحَنَ ذِي الْمَكْوَتِ أَيْةً لِيْلَةً مَخْضَتْ بِوْجَهِ صَبَاحِ يَوْمِ الْمَوْقَفِ  
وَقَوْلُ مُسْلِمٍ :

ثَارُوا إِلَى صَفَقِ الشَّمْوَلِ فَأَشْعَلُوا نَسْرَانِ حَرْبٍ كَوْسَهَا اشْعَالًا  
(٢) أى في القول السابق الذي يجعل خلو الكلام من كثرة التكرار  
وتتابع الاضافات شرطاً لفصاحتها .

(٣) أى كثرة التكرار وتتابع الاضافات .

(٤) أى بما سبق ذكره من الثنافر .

(٥) يسمى هذا اللون في البديع « الاطراد » . ووردت أيضاً مثل  
لتكرار وتتابع الاضافات غير معيبة ، قال تعالى : وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّا هُنَّا  
فَالْهُمَّ هُنَّا فَجُورُهُمْ وَتَقْوَاهُمْ . وقال : مثل دَأْبِ قَوْمٍ نُوحٍ . وقال : ذَكْرُ رَحْمَةِ  
رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَاً .

قال الشيخ عبد القاهر<sup>(١)</sup> : قال الصاحب<sup>(٢)</sup> ، اياك واصفافات  
المتدخلة ، فانها لا تحسن ، وذكر أنها تستعمل في الهجاء ، كقول القائل :

يا على بن حمزة بن عماره أنت والله ثلجة في خياده

ثم قال الشيخ<sup>(٣)</sup> : ولا شك في تقل ذلك في الأකثر ، لكنه اذا سلم  
من الاستكراره ملح ولطف ، ومسا حسن فيه قول ابن المعتز<sup>(٤)</sup> أيضاً :  
وطلت تدبر الراح أيدى جاذر عناق دنائير الوجوه ، ملامح<sup>(٥)</sup>  
ومما جاء فيه حسنا جميلا قول الخالدي<sup>(٦)</sup> يصف غلاما له :

ويعرف الشعر مثل معرفتي وهو على أذن يزيد مجتهد  
وصير في القريض وزان دينار المعانى الدقيق ، منتقد<sup>(٧)</sup>

(١) راجع هذا القول في ص ٨٢ من دلائل الاعجاز .

(٢) هو الصاحب بن عباد الوزير م ٣٨٥ هـ ، والبيت الآتي يتهمكم  
فيه بعلی بن حمزة البصري الفسوشى المتوفى عام ٣٩٠ هـ .

(٣) أى عبد القاهر أيضاً .

(٤) هو الخليفة العباسى الشاعر الاديب العالم الناقد ، توفي  
عام ٢٩٦ هـ .

(٥) الراح : الخمر . جاذر : جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية .  
عناق جمع عنيق أى كسرى ،

(٦) سعيد بن هشام ، من شعراء اليتيمة ، رقيق الشعر مطبوع  
توفى عام ٣٧٠ هـ .

(٧) الصيرف : المحتال في الامور ، المنتقد : الخبر بالدراريم الجيدة  
والزيوف ثم أطلق فصار بمعنى الخبر بالشيء مطلقاً . والمعنى هو مثل  
ن معرفة الشعر والبصر به ونظمه بل هو لديه القدرة على أن يكون أربع  
مما هو فيه وهو دقائق البصر بالشعر ناقد له يزن المعانى الدقيقة بموازين  
النقد التي لا تصرف في الحكم والتقدير .

=

والشاهد في البيت كثرة الإضافات مع حسنها ، وهو الشاهد في  
البيت السابق .

● شواهد للأخلاق بالفصاحة :

قال تأبط شرآ :

يظل بسموحة ويسى بغیرها  
وقال حسان يرنى :

من الناس أبقي مجده الدهر واحدا  
ولو أن مجدًا أخلد الدهر واحدا  
و قال المتنبي :

رأءها غير جفنها غير راق  
كيف ترى التي ترى كل جفن

وقال الفرزدق :

خضع الرقاب نواكس الإبصار  
واذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم  
وقال أبو تمام :

عشواء تالية غبسا دهاريسا  
قد قلت لما اطلخ الأمر وابعث  
لـ حرمة بك أصحي حق نازلها  
و للمنتبي :

شيم على الحسب الأغر دلائل  
جفخت وهم لا يجفخون بها بهم  
وقال :

زد هشن بشن تفضل سرادن صل  
اقل، ازل، اقطع، احمل سل، اعد  
وقال الشاعر :

كان قفرا رسومها قلما  
و للمنتبي :

ويجهل علمي انه بي جاھل  
ومن جاھل بي وهو يجهل جھله  
فلقل عيس كلهن قلقل =  
فقلقلت بالهم الذى فقلل الحشا

## • وأما فصاحة المتكلم :

فهي ملكرة<sup>(١)</sup> يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح •  
فالمملكة قسم من مقوله الكيف التي هي هيئة قارة لا تقتضي قسمة  
ولا نسبة ، وهو مختص بذوات الأنفس راسخ في موضوعه •

وقيل : ملكرة ، ولم يقل صفة ، ليشعر بأن الفصاحة من الهيئات  
الراسخة ، حتى لا يكون العبر عن مقصوده بلفظ فصيح فصيحا  
الا اذا كانت الصفة التي اقدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ  
فصيح راسخة فيه •

وقيل يقتدر بها ، ولم يقل يعبر بها ، ليشمل حالتى النطق وعدمه :  
وقيل : بلفظ فصيح ، ليعم المفرد والمركب<sup>(٢)</sup> •

\* \* \*

—

وقال الحريري :

فائزور من كان له زائر وعاف عاف العرف عرفانه

ولبشر بن عوانة أو للبديع في وصف الأسد :

فخر مضرجا بسلام كأني هدمت به بناء مشمخرا

المتنبي :

فلا يبرم الامر الذي هو حال لـ ولا بحل الامر الذي هو مبرم

المتنبي :

أنى يكـون أبا البرايا آدم وأبـوك والثقلان أنت محمد

أمرؤ القيس فى وصف الفرس :

واركب في الروع خيفانة كسا وجهها سعف منتشر  
أبو تمام :

جدبت نداء غدوة السبـت جذبة فخر صريعا بين أيدي القصائد

(١) الملكة : كيفية راسخة في النفس .

(٢) أما المركب ظاهر ، وأما المفرد فكما تقول عند التعداد : دار ،  
غلام ، جارية ، ثوب ، الى غير ذلك .

## البلاغة

### ● وأما بلاغة الكلام :

فهي مطابقته لمقتضى الحال<sup>(١)</sup> مع فصاحته .

(١) أي لجميع ما يقتضيه الحال على قدر الطاقة ، فالمراد المطابقة الكاملة وقوله لمقتضى الحال أي لمناسب الحال لا موجبه ، والمراد بمناسب الحال الخصوصيات التي يبحث عنها في علم المعانى دون كيفيات دلالة اللفظ التي يتکفل بها علم البيان اذ قد تتحقق البلاغة في الكلام بدون رعايتها لأن يؤدي الكلام المطابق بدلارات وضعية . نعم اذا أدى المعنى بدلارات عقلية مختلفة في الوضوح والخفاء فلا بد في بلاغة من رعاية كيفية الدلالة أيضا .

والحال هو الداعي للمتكلم الى ايراد الكلام على وجه مخصوص ، اي الى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المعنى خصوصية ما ، وهي مقتضى الحال . مثلا انكار المخاطب للحكم حال يقتضي تأكيد ، والتأكيد مقتضى الحال . ومعنى مطابقته له أن الحال أن اقتضى التأكيد كان الكلام مؤكدا وان اقتضى الاطلاق كان الكلام عاريا عن التأكيد ، وهكذا أن اقتضى حذف المسند اليه حذفه وان اقتضى ذكره ، الى غير ذلك من التفاصيل المشتمل عليها علم المعانى . فالانكار حال ، والتأكيد مقتضى ، وقولك « ان زيدا في الدار » مؤكدا بان كلام مطابق لمقتضى الحال ، يعني أنه مشتمل عليه ، اذ هذا المثال مشتمل على التأكيد . وليس المراد بكونه مطابقا له أنه جزئي من جزئياته اذ لا يصدق عليه اي لا يحمل عليه ، ضرورة أن مقتضى الحال هو التأكيد وهو لا يحمل على قوله ان زيدا في الدار اذ لا يقال « ان زيدا في الدار » تأكيد ، فالمراد بالمطابقة هنا الاشتغال لا مصطلح المناطقة الذي هو الصدق .

والتتحقق أن مقتضى الحال هو الكلام الكلى المستعمل على الخصوصية ، ومطابقة الكلام لذلك المقتضى كون الكلام الجزئي الصادر من المتكلم الملقى للمخاطب المشتمل على الخصوصية من أفراد ذلك الكلى الذي يقتضيه الحال ، فان ذلك المقتضى صادق عليه ، فقولنا « ان زيدا في الدار » مؤكدا جزئي من جزئيات ذلك الكلام الكلى الذي يقتضيه الحال ، الذي هو

ومقتضى الحال مختلف + فان مقامات الكلام متفاوتة<sup>(١)</sup> فمقام التنكير يبأين مقام التعريف<sup>(٢)</sup> ومقام الاطلاق يبأين مقام التقيد<sup>(٣)</sup> ومقام التقديم يبأين مقام التأخير<sup>(٤)</sup> ، ومقام الذكر يبأين مقام الحذف ، ومقام القصر يبأين مقام خلافه ، ومقام الفصل يبأين مقام الوصل ۾

---

=  
الإنكار المقتضى لكلام مؤكّد بمطلق تأكيد لا بتأكيد مخصوص ، فقولنا « ان زيدا في الدار » مطابق له بمعنى انه صادق ومحمول على هذا الجزئي المؤكّد الذي هو مقتضى الحال صادق ومحمول على هذا الجزئي لكونه جزئيا من جزئياته ، فالبلاغة على هذا التحقيق مطابقة هذا الجزئي لذلك الكلّى بمعنى كونه جزئيا من جزئياته بحيث يصح حمل مقتضى الحال عليه ، فالكلام الجزئي مطابق ( بكسر الباء ) والكلام الكلّى مطابق ( بفتحها ) . هذا هو تحقيق السعد في مختصره ، وان كان قد حقق في كبيرة ان التحقيق هو مذهب الجمهور الأول : من أن المقتضى هي الخصوصية والمطابقة هي الاشتتمال . هذا الحال على المذهبين واحد ، وهو الأمر الداعي للمتكلّم الى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤودي به أصل المراد خصوصية ما ، سواء كان ذلك الأمر داعيا له في نفس الأمر أو غير داع في نفس الأمر بل بتنزيل ، فالحال هو الأمر الداعي مطلقا . أما ظاهر الحال فهو الأمر الداعي في نفس الأمر لاعتبار المتكلّم خصوصية ما ، فهو أخص من الحال .

(١) لأن الاعتبار اللائق بهذا المقام يغاير الاعتبار اللائق بذلك ، وهذا عين تفاوت مقتضيات الأحوال ، لأن التفاير بين الحال والمقام إنما هو بحسب الاعتبار ، وهو أنه يتوجه في الحال كونه زمانا لورود الكلام فيه ، وفي المقام كونه محلا له .

(٢) فالمقام الذي يناسبه تنكير المسند اليه أو المسند يبأين المقام الذي يناسبه التعريف .

(٣) أي مقام اطلاق الحكم أو التطبيق أو المسند اليه أو المسند او متعلقه يبأين مقام تقييده بمؤكّد او أداة او تابع او شرط او مفعول او ما يشبه ذلك .

(٤) أي مقام تقديم المسند اليه او متعلقاته يبأين مقام تأخيره .

و مقام الایجاز يبأين مقام الاطناب والمساواة ، وكذا خطاب الذكي يبأين خطاب الغبي<sup>(١)</sup> .

وكذا لكل كلمة مع صاحبها مقام<sup>(٢)</sup> .. الى غير ذلك كما سيأتي  
تفصيل الجميع .

وارتفاع<sup>(٣)</sup> شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للأعتبر  
المناسب<sup>(٤)</sup> ، وانحطاطه بعدم مطابقته له .

فتقتضى الحال هو الأعتبر المناسب<sup>(٥)</sup> .

---

(١) فان مقام الأول يبأين مقام الثاني ، لأن الذكي يناسبه من الاعتبارات اللطيفة والعانى الدقيقة الخفية ما لا يناسب الغبي .

(٢) راجع ص ١٣ من المفتاح . و قوله وكل كلمة أى كال فعل ، مع صاحبها أى كاداة الشرط مثل أن الشرطية ، اذ لها معها مقام ليس بذلك الكلمة مع ما يشارك تلك الصاحبة في أصل المعنى كادا الشرطية ، فالفعل الذى قصد اقتراحه باداة الشرط له مع ان مقام ليس له مع اذا وكذلك من أدوات الشرط مع الماضي مقيم ليس له مع المضارع ، على ان المراد بالكلمة اداة الشرط وبصاحبها الماضي وبمشاركة الصاحبة الفعل المضارع . وهكذا ما يشبه ذلك فللفعل مع هل الاستفهامية مقام ليس له مع الهمزة ؛ والمسند اليه مع المسند الفعلى له مقام معه ليس له مع المسند الاسمى الخ .

(٣) راجع ص ٧٣ من المفتاح تجد ما هنا ماخوذ منه بالنص والمقصود من هذا بيان تعدد مراتب البلاغة ، والحسن المراد منه الحسن الذاتي الداخل في البلاغة لا العرضي الخارج لحصوله بالمحسنات البدوية ، والمراد بالقبول عند السامع . والمراد بالكلام الفصيح .

(٤) أى باشتماله على الأمر المعتبر المناسب لحال المخاطب ، فكلما كان الاشتمال أتم كان الكلام أرفع وأعلى . فالمراد بالأعتبر المناسب الأمر الذى اعتبره المتكلم مناسبا بحسب السليقة للعرب الخاص او بحسب تتبع خواص تراكيب البلغاء لغيرهم .

(٥) يعني اذا علم ان ليس ارتفاع شأن الكلام الفصيح في الحسن الذاتي الا بمطابقته للأعتبر المناسب على ما يفيده اضافة المصدر - لانه =

وهذا - أعني قطبيق الكلام على مقتضى الحال - هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم ، حيث يقول : النظم تأخرى معلنى النحو فيما بين الكلم ، على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام .

فالبلاغة صفة راجعة الى النفظ باعتبار افادته المعنى<sup>(١)</sup> عند التركيب<sup>(٢)</sup> .

وكتيرا ما يسمى ذلك<sup>(٣)</sup> فصاحة أيضا<sup>(٤)</sup> . وهو مراد الشيخ

=

مفرد مضاد لمعرفة فيمع والمعموم في هذا المقام يستلزم الحصر .. فالمعنى كل ارتفاع فهو بالمطابقة ، فالباء في قولنا : بمقاييسه للسيبية القريبة حتى يفيد العموم - وملعون أنه آنما يرتفع بالبلاغة التي هي عبارة عن مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال ، فقد علم أن المراد بالاعتبار المناسب ومقتضى الحال واحد ، فهما متخدان أو متساويان ، فمقتضى الحال هو مناسب الحال لا موجب له .

(١) صرح عبد القاهر بأن وصف النفظ بالفصاحة إنما هو من حيث انه دال على المعنى ( ٥٠ دلائل الاعجاز ) . والحاصل أنه اذا كانت البلاغة هي المطابقة والمطابقة صفة المطابق فتكون المطابقة راجعة للكلام من رجوع الصفة للموصوف ، لكن رجوعها له باعتبار افادته المعنى الحاصل بسبب بالتركيب ، وهو المعنى الثاني الذي يعتبره البلاء ، وهو الخصوصيات التي يقتضيها الحال الرائد على اصل المراد . فالبلاغة اذا وصف بها المعنى كان المراد المعنى الثاني باعتبار أن المقصود من النفظ افادته . واذا وصف بها النفظ فهو باعتبار افادته ذلك المعنى المقصود ونفيه عن النفظ مراد به النفظ مجرد عن المعنى والخصوصيات ، ونفيتها عن المعنى مراد به المعنى الأول للنفظ الذي هو مجرد ثبوت المحكوم للمحكوم عليه .

(٢) لأن البلاغة عبارة عن مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال ، فظاهر أن اعتبار المطابقة وعدمها آنما تكون باعتبار المعاني والأغراض التي يصاغ لها الكلام لا باعتبار الألفاظ المفردة والكلم مجرد .

(٣) أي الوصف المذكور .

(٤) كما يسمى بلاغة ، فهما مترادفان ، عند عبد القاهر حقيقة ، وعلى شيء من التجوز عند الخطيب .

ابن خلدون<sup>(١)</sup> ، ويقول شيلر : في الفن التشكيل هو كل شيء والمعنى ليس شيئاً مذكوراً . وفي البيان نصوص كثيرة استعملها علماء البيان والبدیع في اختيار شواهد أساليب البلاغة منها ، مما لا داعي إلى ذكره هنا خوفاً من كثرة الأسهاب ، والجاحظ يشيد بالإيجاز ويدعو إليه كثيراً في بيانه<sup>(٢)</sup> ، وفي الحديث عن رسول الله : إذا قلت فأوجز وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف<sup>(٣)</sup> ، ويبحث على ترك الوحشى والسوقى وعلى الافهام والوضوح ، وعلى ترك التعمق والتهذيب في صناعة الكلام ، وعلى أي حال فالبيان والتبيين أثر أدبي وعلمي فليس ، والجاحظ يده على البيان العربي لا تتجدد ، ويعده ابن خلدون من السابقين في التأليف فيه<sup>(٤)</sup> .

وبعد فالجاحظ أظهر من خص البيان بالتأليف وهو أعظم السابقين إلى جمع وتدوين آراء رجال البيان والبلاغة ، وله مع ذلك آراء كثيرة وصل إليها بتفكيره وذوقه وملكته البيانية الدقيقة الاحساس بالأساليب البلاغية ودقائقها ، ولا يضرير الجاحظ أن كانت دراساته في كتاب البيان موجزة مفرقة كما يقول أبو هلال<sup>(٥)</sup> ، فهي على كل حال ذات أثر كبير في نشأة البيان .

(ج) وقد كتب بعد الجاحظ كثير من العلماء في مسائل تتصل بالبلاغة والبيان : كالمبرد في كامله ، وابراهيم بن المديري في الرسالة العذراء ، وتعلب في قواعد الشعر ، وابن عبد ربه في العقد ، وسوى هؤلاء مما يطول الحديث لو فصلنا القول فيه .

\* \* \*

---

(١) ٥٧٧ مقدمة ابن خلدون .

(٢) ٨٠ و ٨٦ و ١١٤ و ١٥٢ و ١٨٧ و ٢١٩٨ آليان .

(٣) ١/٥ الكامل للمبرد .

(٤) ٥٥٢ مقدمة ابن خلدون .

(٥) ٦ الصناعتين .

هذا لفظه ، وهو صريح في أن الكلام من حيث هو كلام لا يوصف بالفضيلة باعتبار شرف معناه ، ولا شك أن الفصاحة من صفاته الفاضلة ، فلا تكون راجعة إلى المعنى ، وقد صرخ فيما سبق بأنها راجعة إلى المعنى دون اللفظ .

فالجمع بينهما بما قدمنا يحمل كلامه حيث نفى أنها من صفات اللفظ على نفي أنها من صفات المفردات<sup>(١)</sup> من غير اعتبار التركيب ، وحيث أثبت أنها من صفاتة على أنها من صفاتة باعتبار افادته المعنى عند التركيب .

### ● ولبلاغة طرفلن :

أعلى ، إليه تنتهي ، وهو حد الاعجاز<sup>(٢)</sup> ، وما يقرب منه<sup>(٣)</sup> .

---

(١) أي المفردة عن اعتبار افاده المعنى – وهي الخصوصيات – وليس المراد التي هي غير مركبة .

(٢) الاعجاز أن يرتفق الكلام في بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته .

(٣) عطف على قوله ( وهو ) ، والضمير في منه عائد إلى أعلى ، يعني أن الأعلى مع ما يقرب منه كلاهما حد الاعجاز ، وهذا هو الموقف لما في المفتاح فالبلاغة أمر كل لها ثلاثة مراتب : مرتبة عليا ولها فردان ، وسفلى وهي فرد واحد ، ووسطي ولها أفراد . ويترتب على هذا أن بعض القرآن أبلغ من بعض وإن كان الجميع معجزا .

ويجوز أن يكون « وما يقرب منه » معطوفا على « حد الاعجاز » والضمير في منه عائد إليه ، يعني أن الطرف الأعلى هو حد الاعجاز . وما يقرب من حد الاعجاز . فهذا عكس الأول ، إذ الأول يفيد أن الطرف الأعلى نوع تحته فرداً : حد الاعجاز وما يقرب منه . والمراد بحد الاعجاز البلاغة في أقصر سورة ، وما يقرب منه البلاغة في مقدار آية أو آيتين . وفي التقدير الثاني نظر لأن القريب من حد الاعجاز لا يكون من الطرف الأعلى الذي هو حد الاعجاز .

وأسفل ، منه تبتدئ وهو ما<sup>(١)</sup> اذا غير الكلام عنه الى ما هو دونه التحق عند البلاغة بآصوات الحيوانات<sup>(٢)</sup> وان كان صحيح الاعراب . . . وبين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة<sup>(٣)</sup> :

واذ قد عرفت معنى البلاغة في الكلام وأقسامها ومراتبها ، فاعلم

---

(١) اي هو طرف للبلاغة اذا غير الكلام عنه الى مرتبة هي ادنى منه وأنزل .

(٢) التي تصدر عن محالها بحسب ما يتفق من غير اعتبار اللطائف والخواص الزائدة على اصل المراد .

(٣) اي بعضها أعلى من بعض بحسب تفاوت المقامات ورعاية الاعتبارات والبعد من أسباب الاخلال بالفصاحة بناء على ان البلاغة هي المطابقة لمقتضى الحال في الجملة ، لكن الحق كما في عبد الحكيم أنها مطابقة الكلام لجميع ما يقتضيه الحال لكن بقدر الطاقة .

هذا وبلاعنة الكلام تتفاوت باختلاف الخصوصيات كما او كيما والمقام واحد ، وباختلاف الخصوصيات بعدها لاختلف المقامات ، وبترك خصوصية مراعاة لحال المخاطب .

ولبلاغة طرف أسفل وطرف أعلى وما بينهما : أما الأسفل فهو الكلام الفصيح الذي طابق أدنى مطابقة وليس تحته الا ما يتحقق بآصوات الحيوانات . وأما الأعلى فهو حد الاعججاز الالهي وما يقرب منه ( وهو أبلغ كلام البشر ) . . . وبينهما مراتب لا تحصى . ولنا أن نتساءل . هل في طاقة البلغاء - بالطبع أو بالاكتساب - الوصول الى حد الاعججاز ، ولو بآن يأتوا بمثال اقصر سورة من القرآن ؟ وللجواب على ذلك .

اقول : لا شك أن علوم البلاغة ترسم اصول البيان العربي والسليلة العربية ومناهج الأداء والأسلوب ، وبالوقوف على ذلك يمكن مع سلامية الدوق محاكاة أهل هذه السليلة في بلاغتهم ، فلتتكلم عن علوم البلاغة - لأنها قواعد السليلة العربية ، وهل توصل الى حد الاعججاز ، وهل هي صالحة كادة للوصول الى مرتبة الاعججاز ؟ ولا شك ان علوم البلاغة لا تؤدي الى الوصول لمحد البلاغة لأنها لا تعرفنا المقامات بل الخصوصيات

أنه يتبعها وجوه كثيرة<sup>(١)</sup> غير راجعة إلى مطابقة مقتضى الحال ولا إلى الفصاحة ، تورث الكلام حسناً وقبولاً .

---

وحدها ، ولو فرضنا جدلاً أنها تعرفنا مع الخصوصيات المقامات أيضاً ، فلا تسلم الاحاطة بها لو فرضنا الاحاطة بها فإنها لا تعطيك قدرة على إنشاء كلام بليغ بدليل أن كثيراً من علماء البلاغة لم يستطيعوا الاتيان بكلام بليغ ، ولو فرضنا أنها تعطى الملكة فلا شك في أن الملكة البشرية لا تقدر على مراعاة الخصائص كلها في الكلام البليغ .

هذا ويرى علماء البلاغة أن القرآن يتفاوت في بلاغته لأنه :

أ - قد يقتضي المقام عشر خصوصيات فيأتي الله عز وجل بخمس منها حسب قدرة البشر مراعاة للمقام .

ب - وقد تختلف المقامات فيكون مقام مقتضايا لعشر خصوصيات وآخر مقتضايا لخمس ولا شك أن الكلام الذي روعيت فيه العشرة أبلغ من الآخر ،

ويرى أن القرآن لا تتفاوت بلاغته وإن أسلوبه وسورة وآياته في درجة واحدة من البلاغة . ويمكن الرد على رأي علماء البلاغة بما يأتي :  
١ - أن مراعاة مقام المخاطب والاتيان بكلام يوافق حاله هو البلاغة الكاملة التي ليس فيها تفاوت .

ب - لا نسلم أن الكلام الأول أبلغ من الثاني بل هما في درجة واحدة من البلاغة ، لأن العبرة ليست بالكم بل بالكيف ، ولو سلمنا لهم رأيهما وكانت سورة البقرة أبلغ من « قل هو الله أحد » أو كانت أبلغ من نصفها ، أو لكان القرآن أبلغ من سورة منه .

(١) وهي المحسنات البديعية ، وتحسينها عرضي خارج عن حد البلاغة ، وإنما تعد محسنة بعد رعاية المطابقة والفصاحة . وجعلها تابعة لبلاغة الكلام دون المتكلم لأنها ليست مما يجعل المتكلم متصفاً بصفة .

والمحسنات البديعية إن اتي بها في الأسلوب من حيث أنها محسنة ببحث عنها في علم البديع وكان تحسينها عرضياً ، أما إذا اعتبرت من حيث المطابقة فتحسينها ذاتي يبحث عنه في علم المعانى .  
هذا والبلاغة هي المطابقة والفصاحة واعتبار الخصوصيات ،

واما بلاغة المتكلم :

فهي ملقة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ .  
وقد علم بما ذكرنا<sup>(١)</sup> أمران :  
أحدهما أن كل بلغة - كلاما كان أو متكلما فصيح<sup>(٢)</sup> ، وليس كله  
فصيح بليغا<sup>(٣)</sup> .

الثاني أن البلاغة في الكلام : مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ  
في نادية المعنى المراد<sup>(٤)</sup> ، وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره<sup>(٥)</sup> .

=

فالمطابقة والفصاحة أعم من البلاغة من حيث التحقق ، لأنهما يوجدان  
بدون البلاغة فيما إذا لم تراع الخصوصية ، وحيثند فلا يعلم من كون تلك  
الوجوه تابعة للبلاغة كونها غيرهما لأنهما تابعان لها أيضا باعتبار أنهما من  
جملتها ، فاحتاج إلى افاده أنها غيرهما ، فقال الخطيب في التلخيص :  
ويتبعها وجوه آخر ، فقوله «آخر» يفيد أن تلك الوجوه ليست لازمة  
للبلاغة لكونها سوى الأمرين اللذين تحصل بهما البلاغة وتلك الوجوه في  
الكلام إنما تكون بعد البلاغة . ويقول السكاكي : البلاغة بمرجعها : علم  
المقانى وعلم البيان ، والفصاحة بنوعيها : اللفظية والمعنىوية ، مما يكتسو  
الكلام حلقة التزيين ، وهنها وجوه مخصوصة كثيرة ما يضار إليها لقصد  
تحسين الكلام وهي قسمان : قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى  
اللفظ ص ١٧٦ مفتاح .

(١) أي من تعريف البلاغة والفصاحة .

(٢) لأن الفصاحة مأخوذة في تعريف البلاغة مطلقا ، أي بلاغة كلام  
أو متكلم ، لكن أخذها في بلاغة الكلام صراحة وفي بلاغة المتكلم بواسطة .  
(٣) لجواز أن يكون كلام فصيح غير مطابق لمقتضى الحال . وكذا  
يجوز أن يكون لاحد ملقة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح  
من غير مطابقة لمقتضى الحال .

(٤) والأرجح أدى المعنى المراد بلفظ فصيح غير مطابق لمقتضى الحال  
فلا يكون بليغا .

(٥) الأولى أن يقال : وألى الاحتراز عن أسباب الاتصال بالفصاحة .  
وذلك لئلا يؤدي الكلام المطابق لمقتضى الحال بلفظ غير فصيح ، فلا يكون  
أيضا بليغا لوجوب وجود الفصاحة في البلاغة . ويدخل في تمييز الكلام  
الفصيح من غيره تمييز الكلمات الفصيحة من غيرها لتوقيفه عليها .

والثاني — أعني التمييز<sup>(١)</sup> — منه ما يتبيّن في علم متن<sup>(٢)</sup> اللغة ، أو التصريف<sup>(٣)</sup> ، أو النحو<sup>(٤)</sup> ، أو يدرك بالحس<sup>(٥)</sup> ، وهو<sup>(٦)</sup> ما عدَّ التحديد المعنوي<sup>(٧)</sup> .

- وَمَا يَحْتَرِزُ بِهِ عَنِ الْأَوَّلِ – أَعْنَى الْخَطَا<sup>(٨)</sup> – هُوَ عِلْمُ الْمَعَانِي ٠
- وَمَا يَحْتَرِزُ بِهِ عَنِ الثَّانِي – أَعْنَى التَّعْقِيدِ الْمَعْنَوِيِّ – هُوَ عِلْمُ الْبَيَانِ<sup>(٩)</sup> ٠

وما يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفضحاته، هو علم البداع.

(١) أي تمييز الفصيح من غيره .

(٢) وذلك كالغرابة ، يعني يعرف بعلم متن اللغة تمييز السالم من الغرابة عن غيره بمعنى أن من تتبع الكتب المتدولة واحاطة بمعانى المفردات المأنيسة علم أن ما عدتها مما يفتقر الى تنفيذ أو تخریج فهو غير سالم من الغرابة .

٣) وذلك كمخالفة القياس .

(٤) كضمف التأليف والتعليق اللفظي .

(٥) أى بالذوق وذلك كالشناور فى مستشزر مثلاً أو فى « وقبر حرب : البيت » .

(٦) وهو أي ما يبين في العلوم المذكورة أو ما يدرك بالحس.

(٧) اذ لا يعرف بتلك العلوم تمييز السالم من التعقيب المعنوي من غيره .

(٨) أي في تأدية المعنى المراد .

(٩) يسمون هذين العلمين علم البلاغة لكان مزيد اختصاص لهما  
بـالبلاغة وأقـ. كانت البلاغة تـشوقـ على غيرـهما من العـلوم كالـلغـة والنـحو  
والـصرف .

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُسَمِّيُ الْجَمِيعَ عِلْمَ الْبَيَانِ<sup>(۱)</sup> .

وَبعضُهُمْ يُسَمِّيُ الْأُولَى عِلْمَ الْمَعْنَى ، وَالثَّانِي وَالثَّالِثُ عِلْمَ الْبَيَانِ ،  
وَالثَّالِثَةُ عِلْمُ الْبَدِيعِ .

\* \* \*

---

(۱) وَالْبَيَانُ فِي غَيْرِ الْاَصْطِلَاحِ هُوَ الْمَنْطَقُ الْفَصِيحُ الْمُبَرِّعُ عَمَّا فِي الْضَّمِيرِ .

• ملاحظة :

وَالْمَعْنَى الْأُولَى هُوَ أَصْلُ الْمَرَادِ ، وَهُوَ ثَبَوتُ الْمُحْكُومَ بِهِ لِلْمُحْكُومِ عَلَيْهِ ،  
وَالْمَعْنَى الثَّانِي هُوَ الْخَصْوَصِيَّاتُ ، كَمَا يَرِيُّ ابْنُ قَاسِمَ وَابْنَ يَعْقُوبَ وَالشِّيخَ  
يَسْنَ وَسَوَاهِمَ ، وَقَيْلُ الْمَعْنَى الْأُولَى هُوَ مَا يَفْهَمُ مِنَ الْلَّفْظِ بِحَسْبِ التَّرَاكِيبِ  
وَهُوَ أَصْلُ الْمَعْنَى مَعَ الْخَصْوَصِيَّاتِ مِنْ تَعْرِيفٍ وَتَنْكِيرٍ لِلنَّحْلِ ، وَالْمَعْنَى الثَّانِي  
هُوَ الْأَغْرَاضُ الَّتِي يَقْصِدُهَا الْمُتَكَلِّمُ وَيَصْوِغُ الْكَلَامَ لِأَجْلِ افَادَتِهَا وَهِيَ أَحْوَالُ  
الْمَخَاطِبِ الَّتِي يَوْرِدُ الْمُتَكَلِّمُ بِهَا مِنْ أَجْلِهَا مِنْ أَشَارَةٍ لِمَعْهُودٍ وَتَعْظِيمٍ  
وَتَحْقِيرٍ وَانْكَارٍ وَشَكِّ النَّحْلِ ، وَهَذَا بِالنَّسَبَةِ لِعِلْمِ الْمَعْنَى ، وَأَمَّا بِالنَّسَبَةِ لِعِلْمِ  
الْبَيَانِ ، فَالْمَعْنَى الْأُولَى هُوَ الْمَدْلُولَاتُ الْمَطَابِقِيَّةُ مَعَ رِعَايَةِ مَقْتَضِيِ الْحَالِ ،  
وَالْمَعْنَى الثَّانِي هُنَّ الْمَعْنَى الْمَجَازِيَّةُ أَوِ الْكَنَائِيَّةُ . وَهَذَا هُوَ الْمَأْخُوذُ مِنِ  
الدَّلَائِلِ كَمَا فِي الْمَطْوَلِ ، وَكَلَامِ السَّعْدِ فِي الْمُخْتَصِرِ يَصْبِحُ حَمْلَهُ عَلَى الْوَجَهِينِ .  
فَأَصْلُ الْمَرَادِ أَذَّاً – الَّذِي هُوَ الْمَعْنَى الْأُولَى – افَادَةُ ثَبَوتِ الْمَسْنَدِ لِلْمَسْنَدِ  
إِلَيْهِ بِأَيِّ طَرِيقٍ كَانَ ، وَالْخَصْوَصِيَّةُ هِيَ الْمَزَايَا الْبِلَاغِيَّةُ الَّتِي يَقْصِدُهَا الْبَلِيجُونُ  
كَمَا يَرِيُّ السَّعْدُ وَهِيَ الْمَعْنَى الثَّانِي .. لَكِنَّ عَبْدَ الْحَكِيمَ يَرِيُّ أَنَّ أَصْلَ الْمَرَادِ  
هُوَ أَصْلُ الْمَعْنَى مَعَ الْخَصْوَصِيَّاتِ ، وَالْمَعْنَى الثَّانِي هُوَ الْأَغْرَاضُ ، راجِعٌ  
إِلَى التَّجْرِيدِ عِنْدِ شَرْحِ قَوْلِهِ « وَيُؤْتَى بِاسْمِ الْاِشْارةِ لِافَادَةِ الْقَرْبِ أَوْ الْبَعْدِ  
أَوِ الْمَوْسِطِ » مثلاً . وَمِمَّا فِي التَّجْرِيدِ نَسْتَبِطُ : أَنَّ مِبَاحَثَ عِلْمِ الْبِلَاغَةِ عِنْدَ  
الْسَّعْدِ تَشْمِلُ الْمَعْنَى الْوَضْعِيَّةَ الْأَلْفَاظِيَّةَ وَالتَّرَاكِيبَ ، وَهِيَ عِنْدَ السَّيِّدِ  
خَاصَّةً بِمِسْتَبِعَاتِ التَّرَاكِيبِ ، وَعِنْدَ عَبْدِ الْحَكِيمِ أَنَّ مِبَاحَثَهَا شَامِلَةً لِلْمَعْنَى  
الْوَضْعِيَّةِ وَلِمِسْتَبِعَاتِ التَّرَاكِيبِ .

هَذَا وَالنَّكْتَةُ الْبِلَاغِيَّةُ لَا يُشْتَرِطُ فِيهَا الْاِخْتِصَاصُ بِتِلْكَ الطَّرِيقِ بلْ  
يَكْفِي كَوْنُهَا مُنَاسِبَةً لِلْمَقْتَضِيِّ مَوْجَبَةً كَانَتْ أَوْ مَرْجَحةً أَوْ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ ،  
وَالْتَّرَاجِيعُ مِنْ قَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ ، وَهَذِهِ هِيَ طَرِيقَةُ الْمُفْتَاحِ ، وَمَذَهَبُ الشَّارِحِ  
أَنَّ النَّكْتَةَ لَابْدَ أَنْ تَكُونَ مَوْجَبَةً أَوْ مَرْجَحةً .

## الفن الأول

### علم المعانى (١)

#### ● تعريف الخطيب :

وهو علم<sup>(٢)</sup> يعرف به أحوال اللفظ التى بها يطابق مقتضى الحال<sup>(٣)</sup> .

(١) قدم المعانى على البيان لكونه منه بمنزلة المفرد من المركب ، فاتصال المعانى بالبيان كاتصال المفرد بالمركب ، ونسبته اليه من جهة التوقف ، وإن كان توقف المركب على المفرد من جهة كونه جزءا له ، بخلاف توقف البيان على المعانى فعلم المعانى كالمفرد والبيان بمنزلة المركب ، وذلك لأن رعاية المطابقة لمقتضى الحال التي هي نمرة علم المعانى معتبرة في علم البيان ( من حيث أنها شرط في الاعتداد بثمرته التي هي الإيراد ) ، فليس المراد اعتبارها في البيان على سبيل الجزئية له ، لأنها ليس مركبا من اعتبار المطابقة وإيراد المعنى الواحد بطريق مختلفة ، فإن الرعاية أمر خارج عن البيان ليست جزءا منه ولا فائدة له ، وأنما هي شرط للاعتداد بفائدةه ، فاعتبرت فيه من تلك الحيثية ، وأما الإيراد فهو فائدة علم البيان ومقصود منه ، فاعتبر فيه من تلك الحيثية ) مع زيادة شيء آخر هو إيراد المعنى الواحد بطريق مختلفة .. فثرمة علم المعانى تشبه الجزء من علم البيان لتوقفه عليها من حيث اعتبار ثمرته ، فالرعاية والأيراد يشبهان أجزاء علم البيان لتوقفه عليهما ، فكان علم المعانى بمنزلة الجزء ، تكون ثمرته المقصودة منه كالجزء . وإنما قلنا من حيث اعتبار ثمرته ، لأن تتحقق لا يتوقف على رعاية المطابقة ، ومنه يمكن تتحقق ملكة يقتدر بها على إيراد المعنى بطريق مختلفة وضوحا وخفاء من غير رعاية للمطابقة ، ولا شك أن هذه الملكة تسمى علم البيان .

(٢) أي ملكة يقتدر بها على ادراكات جزئية ، ويجوز أن يراد به الأصول والقواعد المعلومة .

(٣) أي يطابق بها اللفظ مقتضى الحال ، وذلك احتراز من الأحوال التي ليست بهذه الصفة ، مثل الاعلال والادغام والرفع والنصب وما أشبه ذلك مما لابد منه في تأدية أصل المعنى ، وكذا المحسنات البدعية من

قيل : « يعرف » دون « يعلم » ، رعاية لما اعتبره بعض الفضلاء من تخصيص العلم بالكليات والمعرفة بالجزئيات ، كما قال صاحب « القانون »<sup>(١)</sup> في تعريف الطب : الطب علم يعرف به أحوال بدن الإنسان ، وكما قال الشيخ أبو عمرو رحمة الله<sup>(٢)</sup> : التصريف علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكم .

### ● تعريف السكاكي :

وقال السكاكي : « علم المعانى : هو تتبع خواص تراكيب الكلام

<sup>=</sup>  
التتجنيس والترصيع ونحوهما مما يكون بعد رعاية المطابقة . . . والمراد أنه علم تعرف به هذه الأحوال من حيث أنها يطابق بها اللفظ مقتضى الحال ، لظهور أن ليس علم المعانى عبارة عن قصور معانى التعريف والتذكير مثلا ، وبهذا يخرج عن التعريف علم البيان إذ ليس البحث فيه من أحوال اللفظ من هذه الحقيقة . . . والمراد بأحوال اللفظ الأمور العارضة له من التقديم والتأخير والآيات والحدف وغير ذلك .

ومقتضى الحال على التحقيق هو الكلام الكلى للتكييف بكيفية مخصوصة على ما أشير إليه في المفتاح وصرح به الشيرازي في شرحه – وذلك حيث يقول السكاكي في تعريف علم المعانى : هو تتبع خواص تراكيب البلاغة الخ ، فهو يشير إلى أن المقتضى هو الكلام المتكيف بتلك الكيفيات ، لأن الذى يذكر إنما هو الكلام لا الحدف والتقديم الخ . . . وأورد أن الذى يذكر إنما هو الكلام الجزئى لا الكلى فهو كالكيفيات لا يذكر ، إلا أن قلنا أنه شائع وصف الكلى بوصف جزئيات – ، لا نفس الكيفيات من التقديم والتأخير والتعريف والتذكير على ما هو ظاهر عبارة المفتاح وغيره ، ولو أريد بمقتضى الحال الكيفيات لا الكلام ، لما صر القول بأنها أحوال بها يطابق اللفظ مقتضى الحال لأنها عين مقتضى الحال . . . وأحوال الاستناد أيضا من أحوال اللفظ باعتبار أن التأكيد وتركه مثلا من الاعتبارات الراجعة إلى نفس الجملة . وتخصيص اللفظ بالعربى مجرد اصطلاح لأن الصناعة إنما وضعت لذلك .

(١) هو ابن سينا و « القانون » أحد مؤلفاته المشهورة في الطب .

(٢) هو ابن الحاجب عثمان بن عمر الإمام العالم النحوى المشهور ، مؤلف الشافية وسواؤها من الكتب المشهورة .

فِي الْإِفَادَةِ وَمَا يَتَصلُّ بِهَا مِنِ الْإِسْتِحْسَانِ وَغَيْرِهِ ، لِيَحْتَرِزْ بِالْوُقُوفِ عَلَيْهَا  
عَنِ الْخَطَأِ فِي تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى مَا تَقتضِيُ الْحَالُ ذَكْرَهُ<sup>(١)</sup> ٠

● نقد تعريف السكاكي :

« قال الخطيب ) : وفيه<sup>(٢)</sup> نظر :

١ — اذ التتبع ليس بعلم ولا صادق عليه ، فلا يصح تعريف شيء  
من العلوم<sup>(٣)</sup> به ٠

٢ — ثم قال<sup>(٤)</sup> : « وأعني بالتراكيب تراكيب البلاغة » ، ولا شك  
أن معرفة البلاغة من حيث هو بلاغ متوقفة على معرفة البلاغة ، وقد  
عرضها في كتابه بقوله : « البلاغة : هي بلوغ المتكلم في قافية المعنى  
حدا له اختصاص بشوفية خواص التراكيب حقها<sup>(٥)</sup> وايراد أنواع  
التشبيه والمجاز والكتابية على وجهها » ٠

فإن أريده بالتراكيب في حد البلاغة تراكيب البلاغة ، وهو الظاهر ،  
فقد جاء الدور<sup>(٦)</sup> ، وإن أراد غيرها فلم يبينه ٠

(١) أي ايراده في الكلام .

(٢) أي في تعريف السكاكي لعلم المعاني .

(٣) أجيبي عن هذا الاعتراض : بأن المراد من التتبع العلم مجازا  
مرسلا من اطلاق المسبب على السبب .

(٤) أي السكاكي كما في المفتاح ص ٧٠

(٥) بأن يورد كل كلام موافقا لمقتضى الحال ، فالمراد بالتراكيب في  
تعريف البلاغة تراكيب ذلك المتكلم .

(٦) لأن علم البلاغة يتوقف على تراكيب البلاغة وتراكيب البلاغة  
تتوقف على علم البلاغة ، ومتنى عرفنا البلاغة فقد وصلنا إلى حد نعرف به  
توفيه خواص التراكيب حقها .

٣ - على أن قوله « وغيره » مبهم لم يبين مراده به (١) .

● المقصود من علم المعانى :

ثم المقصود من علم المعانى منحصر فى ثمانية أبواب :  
أولها : أحوال الاستاد الخبرى .

وثانيها : أحوال المسند إليه .

وثالثها : أحوال المسند .

ورابعها : أحوال متعلقات الفعل .

وخامسها : القصر .

وسادسها : الائفاء .

وسابعها : الفصل والوصل .

وئامنها : الإيجاز والاطنان والمساواة .

ووجه الحصر أن الكلام اما خبر او اشاء ، لأنه اما أن يكون

---

=  
وقد أجب عن اعتراض الدور هذا بأن بلاغة الكلام غير بلاغة المتكلم ، فلا يتوقف العلم بالبلوغ المتكلم على العلم ببلاغة الكلام التي وقع فيها بالتحديد فلا يمتنع أخذ البلوغ في الحد .

(١) وأجيب عن هذا الاعتراض بأن المراد به الاستهجان بقرينة الاستحسان . هذا وقد بسط الحفيد في « الدر النضيد » شرح تعريف السكاكي وتقده : وقال : المشهور أن المراد بالاستحسان المحسنات البديعية ، فالبديع خارج عن المعانى والبلاغة ، والأوضاع في تعريف علم الكلام العربى لقتضى الحال .

## لنسبته خارج تطابقه ، أو لا تطابقه . أو لا يكون لها خارج<sup>(١)</sup> ،

(١) تفصيل ذلك أن الكلام لا محالة يشتمل على نسبة نامة بين الطرفين قائمة بنفس المتكلم ، وهي تتعلق أحد الشيئين – أي الطرفين : المسند أو المسند إليه – بالآخرة ، بحيث يصبح السكوت على التعلق ، سواء كان ذلك التعلق إيجابياً أو سلبياً ( وهذا لا يكون إلا في الخبر ، بخلاف الانشاء فلا يتتصف بايجاب ولا بسلب ، لأنهما من أنواع الحكم ، والانشاء ليس بحكم ، بل هو آرجاد معنى بلفظ يقارنه في الوجود ) أو غيرهما كما في الانشائيات .

والراد بالتعلق ما يشمل النسبة الحكمية – أعني ثبوت المحمول للموضوع – وما يشمل النسبة الانشائية . والراد بالإيجاب ادراك الثبوت ، أي أنه مطابق للواقع أو غير مطابق ، وبالسلب عكسه فهو ادراك الافتاء أي أنه مطابق للواقع أو غير مطابق .. وتفسير النسبة بايقاع المحكوم به على المحكوم عليه أو سلبه عنه خطأ في هذا المقام ، لأنها لا يشمل النسبة في الكلام الانشائي ، فلا يصح التقسيم .

والتحقق أن الانشاء له نسبة كلامية ونسبة خارجية تارة يتتطابقان وتارة لا ، والفارق بين الخبر والانشاء هو قصد المطابقة أو قصد عدمها في الخبر ، والانشاء ليس فيه قصد للمطابقة ولا لعدمها ، وعبد الحكيم وغيره يقولون : الانشاء لا خارج له أذ لو كان له خارج لكن خبراً يتصور فيه الصدق والكلب اللدان هما من لوازם الخارجية ، واللازم باطل فبطل المزوم .

هذا والخبر له ثلاث نسب : نسبة ذهنية ، ونسبة كلامية ، ونسبة خارجية في أحد الأزمات الثلاثة . فيبين طرفيه – اللذين هما النسبة الكلامية – في الخارج والواقع نسبة ثبوتية أو سلبية بحيث يقصد مطابقة تلك النسبة لذلك الخارج بيان تكونا ثبوتين أو سلبيتين لا يقصد مطابقتهم له ، بأن تكون النسبة المفهومة من الكلام ثبوتية والتى بينهما في الخارج والواقع سلبية أو بالعكس ، وأما الانشاء فله نسبة ذهنية ونسبة كلامية ، والخلاف هل له نسبة خارجية أو لا ؟

قيل ليس له نسبة خارجية وهذا هو الفرق بينه وبين الخبر ..  
وقيل له نسبة خارجية ، والفرق بينهما أن الخبر يقصد فيه مطابقة النسبة للخارج أو عدم مطابقتها له ، والانشاء لا يقصد فيه ذلك .

=

الأول الخبر ، والثاني الانشاء . ثم الخبر لابد له من اسناد ومسند اليه ومسند<sup>(١)</sup> ، وأحوال هذه الثلاثة هي الأبواب الثلاثة الأولى . ثم المسند قد يكون له متعلقات اذا كان فعلاً أو متصلاً به أو في معناه كاسم الفاعل ونحوه<sup>(٢)</sup> ، وهذا هو الباب الرابع . ثم الاسناد والتعلق كل واحد هنئما يكون اما بقصر او بغير قصر ، وهذا هو الباب الخامس . والانشاء هو الباب السادس . ثم الجملة اذا قررت بأخرى فتكون الثانية اما معطوفة على الأولى او غير معطوفة ، وهذا هو الباب السابع . ولفظ الكلام البليغ اما زائد على أصل المراد لفائدة<sup>(٣)</sup> او غير زائد عليه ، وهذا هو الباب الثامن .

\* \* \*

= والخلاصة أن الكلام اما أن تكون نسبته بحيث تحصل من اللفظ ويكون اللفظ موجوداً لها من غير قصد الى كونه دالاً على نسبة حاصلة في الواقع بين الشيئين وهو الانتماء ، او تكون له نسبة بحيث يقصد ان لها نسبة خارجية تطابقه او لا تطابقه وهو الخبر ، لأن النسبة المفهومة من الكلام الحاصلة في الذهن لابد ان تكون بين الشيئين ، ومع قطع النظر عن الذهن لابد ان يكون بين هذين الشيئين في الواقع نسبة ثبوتية بأن يكون هذا ذاك ، او سلبية بأن لا يكون هذا ذاك : الا ترى انك اذا قلت زيد قائم فان القيام حاصل لزيد قطعاً ، وثبتت النسبة في الواقع بين الشيئين المذكورين مع قطع النظر عن الذهن هو معنى وجود النسبة الخارجية فمعنى وجودها تتحققها في الواقع .

- (١) والانشاء كذلك أيضاً ، وانما اقتصر على الخبر لكونه اعظم شأنه من الانشاء ، واكثر اشتتمالاً على المطائف البلاغية المعتبرة .
- (٢) كالمصدر واسم المفعول وما اشبه ذلك ولا داعي لتخصيص هذا الكلام بالخبر .

(٣) احترز بالفائدة عن التطويل فانه الزيادة على اصل المراد لا لفائدة ، على انه لا حاجة الى قيد الفائدة بعد تقييد الكلام بالبليغ .  
هذا وقد آفردت هذه الاحوال المتعلقة بالجملة بأبواب مستقلة دون غيرها من الاحوال - كالتعريف والتنكير مثلاً - لصعوبة امرها وكثرة تشعيتها بكثرة مباحثها .

\* \* \* \* \*

---

=

تطبيق :

١ - ميز الجمل الخبرية من الانتسابية وعين المسند والمسند اليه في كل جملة فيما يلى :

قال بعض البلفاء : لذت بعفوك ، واستنجرت بصفحك ، فاذقني حلاوة الرضا ، وأنسني مرارة السخط فيما مضى . وقال الشاعر : ولا تضطぬ ألا الكرام فانهم يجازون بالنعماء من كان منعما ومن يتخذ عند اللئام صنيعة تجده على آثارها متندما

وقال ابن المعتز :

ليس الكريم الذى يعطى عطيته  
بل الكريم الذى يعطى عطيته  
لا يستثيب ببذل العرف محمده  
ولا بمن اذا ما قلد المتنا

وقال شوقي :

قف دون رأيك في الحياة مجاهدا ان الحياة عقيدة وجihad

وقال المتنبي :

انا الذى نظر الاعمى الى ادبى وأسمعت كلماتي من به صمم

وقال زهير :

ومن يك ذا فضل فيدخل بفضله على قومه يستفن عنده ويذمم

وقال عنترة :

وأنا المنية في المواطن كلهما والطعن مني سابق الآجال

وقال الشاعر :

أيهما الرائد في صمت الرعاة عد الى دنياك واهتف بالحياة

وقال حافظ :

ردوا على بيانى بعد محمود انى عييت وأعيا آللشعر مجهدوى

وقال أبو العلاء :

تحطمنا الأیام حتى كانوا زجاج ولكن لا يعاد له سبك

### نبیس (١)

اختلف الناس في انحصر الخبر في الصادق والكاذب ، فذهب  
الجمهور إلى أنه منحصر فيما ثم اختلفوا :

١ — فقال الأكثر منهم : صدقه مطابقة حكمه للواقع<sup>(٢)</sup> ، هذا  
هو المشهور وعليه التعويل .

٢ — وقال بعض الناس<sup>(٣)</sup> : صدقه مطابقة حكمه لاعتقاد الخبر

(١) هذا بحث عقلى لا صلة له بباحث البلاغة الا من ناحية انه  
كالتفسير والشرح لنعريف الخبر والانشاء ، وقد أشار عبد القاهر إلى شيء  
من ذلك في دلائله — راجع ص ٤٠٧ الى ٤١٠ من دلائل الاعجاز — ،  
كما ذكره السكاكي في مفتاحه ص ٧٢ المفتاح ، وجاري الخطيب شيخه  
السكاكى بالسير على هذا المنوال .

(٢) أى الخارج الذى يكون نسبة الكلام الخبرى ، فصدق الخبر على  
ذلك هو مطابقة نسبة الكلامية للنسبة الخارجية ، سواء طابت الاعتقاد  
أو لا ، وعلى هذا التعريف لا يخرج خبر الشاك عن الصادق والكاذب  
بخلافه على التفسير الثاني .. وتفصيل الأمر أن قولنا محمد قائم له ثلاثة  
نسب : نسبة كلامية وهي ما يبدل عليه الكلام ، ونسبة ذهنية وهي  
ما يحصل في الذهن من النسبة الكلامية ، ونسبة خارجية وهي النسبة  
التي بين الطرفين في الواقع ، فمطابقة النسبة الكلامية للنسبة الخارجية  
بأن يكونا ثبوتين أو سلبين صدق ، وعدم مطابقتها لهما — بأن تكون  
أحداهما ثبوتية والأخرى سلبية — كذب .

(٣) هو النظام الإمام المعترى المتوفى عام ٢٣٥ هـ : وعلى رأى النظام  
يكون قول القائل « السماء تحتنا » صدقًا إذا كان يعتقد ذلك ، ويكون  
قوله « السماء فوقنا » كذبًا إذا لم يعتقد ذلك . والمراد بالاعتقاد الحكم  
الذهنى الجازم أو الراجح فيعم العلم والظن ، أما الشك فواسطة بين الكذب  
والصدق ، أذ لا اعتقاد للشك ، وعلى هذا لا يتحقق انحصر الخبر في  
الصدق والكذب لوجود الواسطة وهي خبر الشاك ، اللهم إلا أن يقال أنه  
كاذب ، لأنه إذا انتفى الاعتقاد صدق عدم مطابقته للاعتقاد . هذا الكلام

=

صواباً كابن أو خطأ ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له . واحتاج له بوجهي :

أحدهما أَنْ مِنْ اعْتَقَدَ أَمْرًا فَأَخْبَرَ بِهِ ثُمَّ ظَهَرَ خَبْرٌ بِخَلْفِ الْوَاقِعِ  
يقال : ما كذب ولكنه أخطأ ، كما روى عن عائشة رضي الله عنها قالت  
فيمن شأنه كذلك : ما كذب ولكنه وهم .

ورد بأن المنفي تعمد الكذب لا الكذب ، بدليل تكذيب الكافر  
كاليهودى اذا قال : « الاسلام باطل » وتصديقه اذا قال : الاسلام  
حق . فقولها<sup>(۱)</sup> : « ما كذب » متأول بما كذب عمدا .

الثاني قوله تعالى : « وَاللَّهُ يَشْهُدُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُوْنَ » ، كذبهم  
في قولهم « إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ » وإن كان مطابقاً للواقع الأهم  
لهم يعتقدون . وأجيب عنه بوجوده .

أحدها أن المعنى نشهد شهادة وأطألت فيها قلوبنا ألسنتنا ،  
كما يترجم عنه ان والسلام وكون الجملة اسمية في قولهم انك لرسول  
الله . فالتكذيب في قولهم « نَشَهَدُ » وادعائهم فيها الموافقة ،  
لا في قولهم « إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ »<sup>(۲)</sup> .

وثانيهما أن التكذيب في تسميتهم اخبارهم شهادة ، لأن الاخبار

---

المشكوك فيه يرى البعض أنه ليس خبراً لأنه لا نسبة له في الاعتقاد فهو  
خارج عن المقسم وهو الخبر .

(۱) أي عائشة رضوان الله عليها .

(۲) وعلى هذا فالتكذيب في الشهادة لا في المشهور به ، بخلاف الوجه  
الثالث فالتكذيب في المشهود به لكن في الواقع نيل في زعمهم الفاسد  
لأنهم يعتقدون أنه غير مطابق للواقع ، فيكون كاذباً باعتقادهم وإن كان  
صادقاً في نفس الأمر ، فكانه قيل لهم يزعمون أنهم كاذبون في هذا الخبر  
الصادق ، وحينئذ لا يكون الكذب إلا بمعنى عدم المطابقة للواقع .

اذا خلا عن المواثقة لم يكن شهادة في الحقيقة .

وثالثها أن المعنى لکاذبون في قولهم : « افأك لرسول الله » عند أنفسهم ، لاعتقادهم أنه خبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه .

وأنكر الجاحظ انحصار الخبر في القسمين<sup>(١)</sup> ، وزعم أنه ثلاثة أقسام : صادق ، وكاذب ، وغير صادق ولا كاذب . لأن الحكم أما مطابق الواقع مع اعتقاد المخبر له أو عدمه ، واما غير مطابق مع الاعتقاد أو عدمه :

فالأول — أي المطابق مع الاعتقاد — هو الصادق<sup>(٢)</sup> .

والثالث — أي غير المطابق مع الاعتقاد — هو الكاذب<sup>(٣)</sup> .

والثاني والرابع — أي المطابق مع عدم الاعتقاد<sup>(٤)</sup> ، وغير المطابق مع عدم الاعتقاد<sup>(٥)</sup> — كل منهما ليس بصادق ولا كاذب .

---

(١) أي الصادق والكاذب .

(٢) وصدق الخبر على هذا هو مطابقة الخبر للواقع مع اعتقاد المخبر أنه مطابق له .

(٣) فكذب الخبر هو عدم مطابقته للواقع مع اعتقاد أنه غير مطابق له .

(٤) أي مع عدم الاعتقاد أصلاً أو مع الاعتقاد بأنه غير مطابق .

(٥) أي أصلاً أو مع اعتقاد المطابقة ، فالذى ليس بصادق ولا كاذب أربعة :

- ١ - المطابقة مع اعتقاد عدم المطابقة .
- ٢ - المطابقة بدون اعتقاد أصلاً .
- ٣ - عدم المطابقة مع اعتقاد المطابقة .
- ٤ - عدم المطابقة بدون الاعتقاد أصلاً .

=

فالصدق عنده مطابقة الحكم الواقع مع اعتقاده – والكذب عنده مطابقته مع اعتقاده .

وغيرهما ضربان : مطابقته مع عدم اعتقاده ، وعدم مطابقته مع عدم اعتقاده .

واحتاج بقوله تعالى « افترى على الله كذباً أَمْ يَهُ جَنَّةً (١) ؟ » فانهما حصروا دعوى النبي صلى الله عليه وسلم الرسالة في الافتراء والأخبار والأخبار حال الجنون ، بمعنى امتناع الخلو ، وليس اخبار حال الجنون كذبا لجعلهم الافتراء في مقابلته ، ولا صدقا لأنهم لم يعتقدوا صدقه ، فثبت ابن من الخبر ما ليس بصادق ولا كاذب (٢) . وأجيب عنه بأن الافتراء هو الكذب عن عمد ، فهو نوع من الكذب فلا يمتنع أن يكون الاخبار حال الجنون كذبا أيضا لجواز أن يكون نوعا آخر من الكذب وهو الكذب لا عن عمد ، فيكون التقسيم للخبر مطلقا ، والمعنى « افترى أَمْ لَمْ يَفْتَرْ ؟ » ، وعبر عن الثنائي بقوله « أَمْ يَهُ جَنَّةً ؟ » لأن الجنون لا افتراء له .

\* \* \*

---

= فكل من الصدق والكذب بتفسير الجاحظ أخص منه بالتفسيرين السابقين ، لأنه اعتبر في الصدق مطابقة الواقع والاعتقاد جميما وفي الكذب عدم مطابقتهم جميما ، وقد اقتصر في التفسيرين السابقين على أحدهما ، فالجمهور اقتصروا في تفسيرهم على اعتبار المطابقة الواقع والنظام على اعتبار المطابقة للاعتقاد .

(١) الافتراء : الكذب . الجنون : الجنون ،

(٢) يلاحظ أن هذا الدليل وإن أثبت الواسطة إلا أنه إنما اثبت قسما واحدا من أقسام الواسطة الأربع ، إلا أن مراد الجاحظ ببطلان مذهب غيره واثبات مذهبة في الجملة .

## تنبيه آخر

وهو مما يجب أن يكون على ذكر الطالب لهذا العلم<sup>(١)</sup> .

قال السكاكي : ليس من الواجب في صناعة وان كان المرجع في أصولها وتقاريعها الى مجرد العقل أن يكون الدخيل فيها كالناشئ عليها ، في استفادة الذوق منها ، فكيف اذا كانت الصناعة مستندة الى تحكيمات وضعية واعتبارات الفنية ؟ فلا على الدخيل في صناعة علم المعانى أن يقلد صاحبه في بعض فتاواه ان فاته الذوق هناك ، الى أن يتتكامل له على مهل موجبات ذلك الذوق .

وكثيرا ما يشير الشيخ عبد القاهر في دلائل الاعجاز الى هذا ، كما ذكر في موضع ما تلخيصه هذا : اعلم أنه لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ، ولا يجد لديه قبولا ، حتى يكون من أهل الذوق والمعونة ، ومن تحملته نفسه بأن لما توميء اليه من الحسن أصلا . فيختلف الحال عليه عند تأمل الكلام ، فيجد الأريحية تارة ، ويعرى منها أخرى ، وإذا عجبته تعجب ، وإذا نبهته لموضوع المزية اقتبه ، فاما من كافت الحالات عنده على سواء ، وكأن لا يتفقد من أمر النظم الا الصحة المطلقة ، والا اعرابا ظاهرا ، فليكن عنديك بمنزلة من عدم الطبع الذي يدرك به وزن الشعر ، ويميز به مزاحمه من سالمه في آنک لا تتصدى لتعريفه ، لعلمتك أنه قد عدم الأداة التي بها يعرف ٠٠٠ واعلم أن هؤلاء وان كانواوا هم الآفة العظمى في هذا الباب ، فإن من الآفة أيضا من زعمهم أنه لا سبيل الى معرفة العلة في شيء مما تعرف المزية فيه ، ولا يعلم الا أن له موقعا من النفس وحظا من القبول ، فهذا بتواينيه في حكم القائل الأول ٠٠ واعلم أنه ليس اذا لم يمكن معرفة

---

(١) أي علم البلاغة .

الكل وجہ ترك النظر فی الكل ، ولأن تعرف العلة فی بعض الصور  
فتجعله<sup>(۱)</sup> شاهدا فی غيره أخرى من، أن تسد باب المعرفة علی نفسك  
وتعودها الكسل والهونينا ، قال الباحظ : وکلام كثير جرى علی ألسنة  
الناس ، وله مضره شديدة وثمرة مرأة . فمن أضر ذلك قولهم : لم يدع  
الأول للآخر شيئا<sup>(۲)</sup> ، فلو أن علماء كل عصر مذجروت هذه الكلمة فی  
اسمحاعهم ، تركوا الاستبطاط لما لم ينتبه اليهم عن قبليهم ، لرأيت  
العلم مختلا<sup>(۳)</sup> .

\* \* \*

---

(۱) اي فتجعل علمك او عرفاك بذلك .

(۲) وفي البيان والتبيين يقول الباحظ : اذا سمعت الرجل يقول  
« ما ترك الأول للآخر شيئا فاعلم انه ما يريد ان يفلح » .

(۳) هذا هو نهاية تلخيص الخطيب لکلام عبد القاهر فی الدلائل .

## الفول في احوال الاسناد الخبرى (١)

من المعلوم لكل عاقل أن قصد المخبر<sup>(٢)</sup> بخبره افاده المخاطب اما :

(١) البحث هنا عن الأمور العارضة للأسناد الخبرى : من النايكيد وعدمه وكونه حقيقة عقلية أو مجازا . الاسناد شتم كلمه أو ما يجري مجريها – كالجملة الحالية محل مفرد نحو زيد قائم أبوه . ومثل المركبات الاضافية والتقييدية – الى كلمة اخرى أو ما يجري مجريها بحيث يفيد الحكم بأن مفهوم احداهما – وهي المحكوم به والمسند – ثابت لمفهوم الآخرى – وهي المسند اليه – .

(٢) أى من يكون بقصد الاخبار والاعلام . والا فالجملة الخبرية كثيرا ما تأتى لاغراض اخرى غير افاده الحكم او لازمه مثل : التحسن والتحزن كما في قوله تعالى حكاية عن أمراة عمران « رب انى وضعتها اثى » ، وقول الشاعر :

قومي هم قتلوا أميم اخى فاذا رميته يصيبني سهمي  
وكاظهار الضعف كما في قوله تعالى : « رب انى وهن العظم منى » .

وبيان التفاوت الغريب في المترلة كما في قوله تعالى « لا يستوي القاعدون من المؤمنين » الآية ، وقوله تعالى « هل يستوي أولئك الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

وكالاستعطاف والاعتذار كقول النابغة :

نبشت أن قابوس أو مسدنى ولا قرار على زأر من الأسد  
وكالتوبىخ كقولك : أنت تسيء إلى من احسن إليك ، وكاظهار الفرح  
كقولك : انتصرنا على العدو اللدود ، إلى غير ذلك من الوجوه التي  
يفيدها الأسلوب . واستفاده التحسن وغيره من هذه الأساليب بطريق  
التلويح والاشارة فتكون هذه المعانى من مستتبعات التراكيب ، وفيما يلي  
استعمال الكلام في التحسن مثلاً مجاز مركب ، لأن الهيئة في مثله موضوعة  
للأخبار ، فإذا استعمل ذلك المركب في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة  
فاستعارة وأن كان لعلاقة غير المشابهة فمجاز مرسل .

نفس الحكم<sup>(١)</sup> كقولك زيد قائم لمن لا يعلم أنه قائم ، ويسمى هذا فائدة الخبر . أما كون الخبر عالما<sup>(٢)</sup> بالحكم ، كقولك لمن زيد عنده ولا يعلم أنك تعلم ذلك : زيد عنده ، ويسمى هذا لازم فائدة الخبر<sup>(٣)</sup> .

#### ٤ - قال السكاكي :

(١) يطلق الحكم على النسبة الكلامية وهو المتعارف بين أرباب العربية ، ويطلق على المحكوم به ، وعلى اذعان النسبة أي ادراك أنهما واقعة أو ليست بواقعة أي تتحققها في الخارج أو عدم تتحققها وهذا هو المراد هنا . والحكم أعم من أن يكون مدلولاً حقيقياً للخبر أو مجازياً أو كنائياً .

(٢) المراد بالعلم هنا التصديق بالنسبة جزماً أو ظناً ، لا مجرد التصور .

(٣) لأن كل خبر أفاد المخاطب الحكم أفاد أن الخبر عالم بذلك الحكم ، وليس كل ما أفاد أنه عالم بالحكم أفاد نفس الحكم ، لجواز أن يكون الحكم معلوماً قبل الاخبار ، فيكون الخبر حينئذ قد أفاد لازم الفائدة ولم يقد الفائدة كما في قولنا لمن قرأ كتاب الإيضاح : أنت قد قرأت كتاب الإيضاح . . . - وتسمية مثل هذا الحكم فائدة الخبر بناء على أنه من شأنه أن يقصد بالخبر ويستفاد منه فإن قيل إن المخاطب قد يلقي الخبر لفائدة الحكم ويغفل عن كون المتكلم عالماً به ، أو يغير بالحكم وهو شاك أو جاهم فلم تكن أفادته أنه عالم بالحكم لازمة لفائدة نفس الحكم . والجواب أن المراد بالزوم اللزوم في الجملة أي أن ذلك اللزوم بالنظر للغالب .

والمراد بالعلم هنا المعنى المصطلح عليه عند المناطقة ، وهو الصورة الحاصلة في الذهن وافتقت الواقع أولاً ، وسواء كانت معتقدة للمتكلم اعتقاداً جازماً أو غير جازم ، لا اعتقاداً جازماً المطابق للواقع كما عليه المتكلمون .

(٤) هذا تفسير الفائدة بالحكم الذي يقصد بالخبر أفادته ولازم الفائدة يكون الخبر عالماً بالحكم رأي الجمهور ومنهم السكاكي كما ترى في المفتاح . . . ونعتن العلامة الشيرازي أن فائدة الخبر هي استفادة السامع من الخبر أن الخبر عالم بالحكم ، وهو خلاف التحقيق .

« والأولى بدون هذه تمتّع ، وهذه بدون الأولى لا تمتّع ،  
كما هو حكم اللازم المجهول المساواة<sup>(١)</sup> » .

أى يمتنع أن لا يحصل العلم الثانى من أخبار نفسه عند حصول الأول منه<sup>(٢)</sup> ، لامتناع حصول الثانى قبل حصول الأول ، مع أن سماع الخبر من المخبر كاف في حصول الثانى منه .

ولا يمتنع أذ لا يحصل الأول<sup>(٢)</sup> من الخبر نفسه عند سماع الثاني.  
منه ، لجواز حصول الأول قبل حصول الثاني وامتناع حصول  
الحاصل ٠

(١) وهو الملزم الأعم مثل لزوم الحيوانية للإنسانية فلا يلزم من العلم  
حيوانية العلم بالإنسانية .

(٢) للزوم حصول لازم فائدة الخبر كلما حصلت الفائدة ، فالعلم الثاني وهو علم المخاطب بأن المخبر عالم بهذا الحكم من الخبر نفسه يوجد عند حصول العلم الأول وهو علمه بذلك الحكم من الخبر نفسه ، اذ لو لم يحصل العلم الثاني عند حصول الأول فاما لاته قد حصل قبل وأماما لانه لم يحصل بعد ؛ اما الاول - حصول العلم الثاني قبل الأول - فباطل لأن العلم يكون المخبر عالما بالحكم لا بد فيه من أن يكون هذا الحكم حاصلا في ذهنه ضرورة ، والثاني باطل لأن علة حصوله سماع الخبر من المخبر ، اذ التقدير ان حصوله انما هو نفس الخبر ، فنبه الخطيب على الاول بقوله : « لامتناع حصول الثاني قبل حصول الأول » ، ونبه على الثاني ، لجواز حصول الاول قبل حصول الثاني فلا يمكن حصوله لامتناع فان قيل لا نسلم انه كلما أفاد الخبر افاد انه عالم به ، لجواز أن يكون خبره مظنونا أو مشكوكا أو موهوبا أو كذبا محضا ، فالجواب انه ليس المراد بالعلم هنا الاعتقاد الجازم الطابق بل حصول صورة لهذا الحكم في ذهنه وهذا ضروري في كل عاقل تصدى للأخبار .

(٣) أى يمتنع حصول العلم الأول من الخبر نفسه عند حصول العلم الثاني ، لجواز حصول الاول قبل الثاني فلا يمكن حصوله لامتناع حصول الاحصل ، كاالعلم يكونه حافظا للقرآن في قوله : انت حفظت القرآن ، وحينئذ تسمية هذا الحكم فائدة الخبر على أن من شأنه ان يستفاد من الخبر .

وقد ينزل العالم<sup>(١)</sup> بفائدة الخبر ولازم فائنته منزلة الجاهل  
لعدم جريه على موجب العلم ، فيلقى اليه الخبر كما يلقى الى الجاهل  
بأحدهما . قال السكاكي :

وان شئت فعليك بكلام رب العزة : « ولقد علموا من اشتراه ماله  
في الآخرة من خلاق ، وليبس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون<sup>(٢)</sup> » ،  
كيف تجد صدره يصف أهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد القسمى ،  
وآخره ينفيه عنهم حيث لم يعلموا بعلمهم . ونظيره في النفي والاثبات  
« وما رميته اذ رميت<sup>(٣)</sup> » ، قوله تعالى : « وان نكثوا أيمانهم من  
بعد عهدهم ، وطعنوا في دينكم ، فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم  
لعلهم ينتهون<sup>(٤)</sup> » .

هذا لفظه<sup>(٤)</sup> . وفيه ايهام أن الآية الأولى من أمثلة تنزيل العالم  
بفائدة الخبر ولازم فائنته منزلة الجاهل بهما ، وليس منها ، بل هي  
من أمثلة تنزيل العالم بالشيء منزلة الجاهل به لعدم جريه على موجب  
العلم ، والفرق بينهما ظاهر .

---

(١) أي المخاطب العالم بالفائدة ولازمهما معا ، وكذلك العالم بأحدهما  
(الفائدة أو اللازم) فقط . وذلك لعدم جريه على مقتضى علمه ، فان من  
لا يجري على مقتضى العلم هو والجاهل سواء ، كما يقال للعالم التارك  
الصلاوة الصلاة واجبة ، وقولك لم يسألك : ماذا أمامك ؟ وهو يعلم أنه  
كتاب : أمامي كتاب .

(٢) اللام في لقد موطة للقسم ، أي واقعة في جواب قسم محذوف ،  
واللام في « لمن » ابتدائية ، وجملة « لمن اشتراه النج » سددت مسد  
مفوعلى علموا لتعليقه بلام الابتداء ، ومحل الشاهد قوله « لو كانوا  
يعلمون » ، وقد ابنت ذلك العلم لهم في صدر الآية . هذا وتنزيل العالم  
بالشيء منزلة الجاهل به لاعتبارات بلاغية كثيرة في الكلام .

(٣) الآية من تنزيل وجود الشيء منزلة عدمه — قوله في « النفي  
والاثبات » أي في نفي شيء واباته .

(٤) أي نص كلام السكاكي .

وإذا كان غرض المخبر بخبره افاده المخاطب أحد الأمرين ، فيينبغى أن يقتصر من التركيب على قدر الحاجة :

١ - فان كان المخاطب خالى الذهن من الحكم<sup>(١)</sup> - بأحد طرفى الخبر على الآخر - والتردد فيه استغنى عن مؤكّدات الحكم كقولك : جاء زيد ، وعمرو ذاهب ، فيتمكن فى ذهنه ، لمصادفته ايام خاليا .

٢ - وان كان متّصراً لطرفيه<sup>(٢)</sup> ، متردداً فى اسناد أحدهما الى الآخر ، طالباً له ، حسنه تقويته بمؤكّد<sup>(٣)</sup> ، كقولك لزيد عارف أو أن زيداً عارف .

١

(١) المراد بالحكم كما سبق الاعتقاد ولو غير جازم : وخلو الذهن من لازم الحكم مثل خلوه من الحكم فى ترك التأكيد . والضمير فى قوله : « والتردد فيه » للحكم بمعنى وقوع النسبة او لا وقوعها ، ففى الكلام استخدام ، لأن ، التردد ليس فى الحكم بمعنى التصديق .. والمراد أن المخاطب ليس عالماً بواقع النسبة او لا وقوعها وليس متردداً فى أن النسبة هل هي واقعة او لا .

(٢) أي طرف الحكم وهما المسند والمسند اليه .

(٣) أي باداة تأكيد واحدة ، ليزيل ذلك المؤكّد تردد ويتّمكّن الحكم في نفسه .

هذا والمراد بالخالي من يخلو ذهنه عن التصديق بالنسبة الحكمية فيما بين طرفى الجملة الخبرية وعن تصور تلك النسبة .. والمراد بالتردد من تصور تلك النسبة الحكمية ولم يصدق بشيء من وقوعها وعدم وقوعها .. وبالمنكر من صدق بما ينافي مضمون الجملة الملقاة اليه ، واعتبار هذه الاحوال فى المخاطب وايراد الكلام على الوجوه المذكورة بالقياس الى فائدة الخبر أعنى الحكم ظاهر ، وأما بالقياس الى لازمهما فيمكن اعتبار الخلو وتجرد الجملة عن المؤكّد ، وأما اعتبار التردد والإنكار على الوجه المذكور فلا يجري في الالازم .

=

٣ - وإن كان حاكما بخلافه وجب توكيده<sup>(١)</sup> بحسب الإنكار<sup>(٢)</sup> ، فتقول : « أني صادق » لمن ينكر صدقك ولا يبالغ في إنكاره ، و « أني لصادق » لمن يبالغ في إنكاره . وعليه قوله تعالى « ضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ، إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبواهما فعززنا بثالث فقالوا إنا نعلمكم مرسليون ، قالوا ما أنتم إلا بشر مثلكما ، وما أنزل الرحمن من شيء ، إن أقسم لا تكذبون ، قالوا ربنا يعلم إنا نعلمكم مرسليون » .

---

=

ومؤكّدات الحكم هي : إن والقسم ونونا التوكيد ولام الابتداء وأسمية الجملة ونكريرها ولو حكما وأما الشرطية وحرروف التنبيه وحرروف الزيادة وضمير الفصل وتقديم الفاعل المعنوي لتفوية الحكم ، ومنها السين إذا دخلت على فعل محبوب أو مكره لأنها تفيدة الوعيد أو الوعيد وهذا مقتضى لتوكيده الحكم ، وقد التي للتحقيق ، وكان ولكن وإنما وليت ولعل وتكثير النفي ، وبعضهم عد أن المفتوحة ، وقيل : ليست منها لأن ما بعدها في حكم المفرد .

والفرق بين التأكيد الواجب والمستحسن مع أن المستحسن عند البلاء واجب هو أن ترك المستحسن يلام عليه لوما أخف من اللوم على ترك الواجب .

وقال عبد القاهر في دلائل الأعجاز ص ٢٤٩ : « أكثر مواقع ان بدأ الاستقراء هو الجواب » ، لكن « يشترط - فيه أن يكون للسائل ظن على خلاف ما أنت تجيئ به ، فاما أن يجعل مجرد الجواب أصلا فيها فلا ، لأنه يؤدي إلى أن لا يستقيم لنا أن نقول : « صالح » في جواب كيف زيد ؟ و « في الدار » في جواب : « أين زيد ؟ » حتى نقول : انه صالح ، وأنه في الدار ، وهذا مما لا قائل به » ، فهو يرى أنه إنما بحسن التأكيد إذا كان للمخاطب ظن على خلاف حكمك أي تأكيد الحكم بمؤكد فأكثر وقيل بأكثر من مؤكد فرقا بينه وبين التوكيد المستحسن .

(٢) أي بقدر قوّة وضعفا ، يعني يجب زيادة التأكيد بحسب آزادياد الإنكار .

حيث قال في المرة الأولى : أنا إليكم مرسلون ، وفي الثانية :  
أنا إليكم مرسلون<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

ويؤيد ما ذكرناه جواب أبي العباس<sup>(٢)</sup> للكندي عن قوله : أني  
أجد في كلام العرب حشوا ، يقولون : عبد الله قائم ، وإن عبد الله  
قائم ، وإن عبد الله لقائم ، والمعنى واحد ۰ ۰ ۰ لأن قال ، بل المعانى  
مختلفة ، « بعد الله قائم » أخبار عن قيامه ، و « إن عبد الله قائم »  
جواب عن سؤال سائل ، وإن عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر ۰

) \* \* \*

ويسمى النوع الأول من الخبر ابتدائياً<sup>(٣)</sup> ، والثاني طيباً ،  
والثالث انكارياً ، وخروج الكلام على هذه الوجوه<sup>(٤)</sup> اخراجاً على  
مقتضى الظاهر<sup>(٥)</sup> .

---

(١) فاكد في الاول بان واسمية الجملة ، وفي الثانية بالقسم وان  
واللام واسمية الجملة لمبالغة المخاطبين في الانكار حيث قالوا : « ما انتم  
لا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء ان انتم لا تكذبون » .

(٢) أبو العباس هو محمد بن البرد يزيد البرد الامام في اللغة والنحو  
وصاحب الكامل توفي عام ٢٨٥ هـ . والكندي أبو يوسف يعقوب بن اسحاق  
فيلسوف العرب المشهور المتوفى نحو سنة ٢٥٣ هـ . وتجد الرواية كاملة  
في دلائل الاعجاز ص ٢٤٢ وفي المفتاح ايضاً ص ٧٤ ۰

(٣) أي غير مسبوق بطلب ولا بانكار ۰

(٤) وهي الخلو عن التأكيد في الاول والتقوية بمؤكد استحساناً  
في الثاني ووجوب التأكيد بحسب الانكار في الثالث ۰

(٥) أي مقتضى ظاهر الحال وهو أخص مطلقاً من مقتضى الحال ،  
فكل مقتضى الظاهر مقتضى الحال ، ولا عكس ، كما في صور الخراج الكلام

=

وكثيراً ما يخرج على خلافه<sup>(١)</sup> :

١ - فينزل غير السائل منزلة السائل ، اذ قدم اليه ما يلوح له بحكم الخبر ، فيستشرق له استشراق المتردد الطالب<sup>(٢)</sup> قوله تعالى :

على خلاف مقتضى الظاهر . فانه يكون على مقتضى الحال ولا يكون على مقتضى الظاهر ... هذا وال الحال هو الأمر الداعي الى ايراد الكلام مكيناً بكيفية مخصوصة سواء كان ذلك الأمر الداعي ثابتًا في الواقع او كان ثبوته بالنظر لما عند المتكلم كصور التنزيل ، أما ظاهر الحال فهو الأمر الداعي الى ايراد الكلام مكيناً بكيفية مخصوصة بشرط ان يكون ذلك الأمر الداعي ثابتًا في الواقع فلذا كان أخص من الحال مطلقاً . ثم ان تلك الكيفية هي مقتضى الحال او لظاهره ، كل كيفية اقتضاهما ظاهر الحال اقتضاهما الحال دون عكس ، فعموم المقتضى يقتضي عمر المقتضى .

(١) اي على خلاف مقتضى الظاهر . هذا وذكر بعضهم ان صور التخريج من باب الكثبية ، لأنه ذكر اللام - وهو مدلول الكلم المستعمل على الخصوصية وهو المقام الذي لا يناسبه بحسب الظاهر مع قرينة غير مانعة من أراداته - واستعمل اللفظ فيه وقد منه ملزومه الذي هو تنزيل المقام الغير المناسب منزلة المناسب . وقيل انه من قبيل الاستعارة المكنية ... والحق انه لا يقال فيه شيء من ذلك ، لأن الكلم هنا لم يوضع لهذه المعانى لأنها معان عن ضرورة .  
هذا والصور هي :

- ١ - الحال : - السائل - المنكر : بالنسبة لحال كل منهم .
- ٢ - العالم ينزل منزلة الحال او السائل او المنكر .
- ٣ - الحال ينزل منزلة السائل او المنكر .
- ٤ - السائل ينزل منزلة الحال او المنكر .
- ٥ - المنكر ينزل منزلة الحال او السائل .

فحال المخاطب بالخبر منحصر في العلم بالحكم والخلو منه والسؤال له والانكار له . والعالم لا يخرج معه الكلام على مقتضى الظاهر .

(٢) يلوح : يتسرى . استشرف فلان الى الشيء اذا رفع رأسه لينظر اليه وبسط كفه فوق الحاجب كالمستظل من الشمس .. هذا والنكتة في التنزيل الذي ذكرها الخطيب هي أنه قد قدم للمخاطب غير

« ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون »<sup>(١)</sup> ، وقوله : « وما أبرىء  
نفسى ان النفس للأمارة بالسوء » ، وقول بعض العرب :

فعنها وهي لك الفداء ان غباء الابل الحداء<sup>(٢)</sup>

وسلوك هذه الطريقة شعبية من البلاغة فيها دقة وغموض .  
روى عن الأصمعي<sup>(٣)</sup> أنه قال :

كان أبو عمرو بن العلاء<sup>(٤)</sup> وخلف الأحمر<sup>(٥)</sup> يأتيان بشارا<sup>(٦)</sup> ،  
فيسلمان عليه بغاية الاعظام ، ثم يقولان : يا أبا معاذ ما أحدثت ؟  
فيخبرهما وينشدهما ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الزوال  
ثم ينصرفان ، فأتياه يوما فقالا : ما هذه القصيدة التي أحدثتها في

---

=

السائل ما يلوح له بالخبر فيطلع له نطلع السائل المتردد . وقد يكون  
تنزيل غير السائل لأغراض أخرى ، كالاهتمام بشأن الخبر لكونه مستبعداً  
والتنبيه على غفلة السامع إلى غير ذلك .

(١) أي لا تدعني بما نوح في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم  
بشفاعتك فهذا كلام يلوح بالخبر تلوينا ما ، ويشعر بأنه قد حق عليهم  
العذاب ، فصار مقام أن يتردد المخاطب في أنهم هل صاروا محكوماً  
عليهم بالاغراق أم لا ، فقيل « أنهم مغرقون » مؤكداً ، أي محكوماً عليهم  
بالاغراق .

(٢) الضمير في « فعنها » للابل والهداء من حدا الابل أو بها : ساقها  
وغنى لها .

(٣) عبد الملك بن قريب الإمام في اللغة والأدب ، توفي عام ٢١٤ هـ ،  
ونجد الرواية في الأغاني ص ٤٣ ج ٣ وفي الدلائل ص ٢١٠ وفي المفتاح  
ص ٧٥ .

(٤) وفي الأغاني : خلف بن أبي عمرو بن العلاء . وأبو عمرو من أئمة  
اللغة توفي عام ١٥٤ هـ وخلف ابنه توفي في أواخر القرن الثاني الهجري .

(٥) من أئمة اللغة والشعر والأدب توفى عام ١٨٠ هـ .

(٦) أبو معاذ إمام الشعراء المحدثين توفي عام ١٦٧ هـ .

ابن قتيبة (١) ؟ قال : هي التي بلغتكم ، قالا : بلغنا أئك أكثرت فيها من الغريب قال ، : نعم ان ابن قتيبة يتواصى بالغريب فأجبت أن أورد عليه ما لا يعرف ، قالا : فأشدناها يا أبي معاذ فأشدتها :

بكرا صاحبى قبل الهجر ان ذاك النجاح فى التكبير

حتى فرغ منها ، فقال له خلف : لو قلت يا أبي معاذ مكان « ان ذاك النجاح » : بكرا فالنجاح ، كان أحسن ، فقال بشار : إنما ينويها أعرابية وحشية فقلت « ان ذاك النجاح » كما يقول الأعراب البدويون ، ولو قلت (( بكرا فالنجاح )) كان هذا من كلام المولديين ، ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل فى معنى القصيدة ، قال : فقام خلف فقبل بين عينيه .

فهل كان ما جرى بين خلف وبشار بمحضر من أبي عمرو بن العلاء — وهم من فحولة هذا الفن — الا للطاف المعنى في ذلك وخائه ؟

٢ - وكذلك بنزل غير المذكر منزلة المنكر اذا ظهر عليه شيء من امارات الاتکار (٢) . كقوله (٣) :

(١) قائد من كبار القواد المشهورين في بدء عهد الدولة العباسية .

(٢) وغير المنكر يشمل الحال والسائل والعالم وان كان المثال من تنزيل العالم منزلة المنكر .

(٣) البيت لمحجول بن نضلة . شقيق : اسم رجل . عارضاً رمحه أى واصعاً له على العرض بأن جعله وهو راكتب على فخذيه ... فهو لا ينكر أن في بني عممه رماحاً لكن مجبيئه هكذا واصعاً آللرمح على العرض من غير التفات وتهيؤ امارة على أنه يعتقد أنه لا رماح فيهم بل كلهم عزل لا سلاح معهم فنزله منزلة المنكر فأكده له الكلام فقال : « ان بني عمك فيهم رماح » . وفي البيت تهكم واستهزاء بأنه يرميه بالضعف والجبن وبأنه لو علم أن فيهم رماحاً لما حملت يده السلاح ولفر من خوف الكفاح . فهو على طريقة قوله :

فقلت لحرز لما التقينا تنكب لا يقطرك الزحام

=

جاء شقيق عارضا رمحه     ان بني عمك فيهم رماح

فإن مجئه هكذا مدلاً بشجاعته قد وضع رمحه عرضاً للدليل على  
اعجاب شديد منه ، واعتقاد أنه لا يقوم إليه من بني عمه أحد . كأنهم  
كلهم عزل ليس مع أحد منهم رمح .

٣ - وكذلك ننزل المنكر<sup>(١)</sup> منزلة غير المنكر إذا كان معه ما إن  
تأمله ارتدع عن الانكار ، كما يقال لمنكر الاسلام : الاسلام حق<sup>(٢)</sup> .  
وعليه قوله تعالى في حق القرآن « لا ريب فيه<sup>(٣)</sup> » .

---

والتقطير : الالقاء على الأرض على البطن أو على أحد الجانبين ..  
برميء بأنه لم يباشر الشدائـد ولم يدفع إلى مضائق الحروب ، كأنه يخاف  
عليه أن يendas بالقوائم كما يخاف على الصبيان والنساء لقلة فنائه .

(١) ومثله المتردد . وغير المنكر هنا وإن صدق بخالي الذهن والعالم  
بالحكم والمتردد فيه إلا أن المراد منه خصوص الأول . وقوله ما إن تأمله  
أى شيء من الدلائل والشاهد بحيث لو تأمل المنكر ذلك الشيء ارتدع عن  
انكاره ، ومعنى كونه معه . إن يكون معلوماً له وشاهداً عند حكم الاسلام  
حق المنكر ذلك ، لأن مع ذلك المنكر دلائل دالة على حقيقة الاسلام .

(٢) اسمية الجملة هنا ليست مؤكداً لأنها إنما تكون مؤكداً إذا اعتبر  
تحويلها عن الفعلية أو إذا اضفت لغيرها من المؤكّدات أو إن اسمية  
الجملة ليست مؤكدة إلا إذا ناسب ذلك المقام .

(٣) ظاهر هذا الكلام أنه مثال لجعل المنكر كفيري وترك التأكيد لذلك ،  
وببيانه أن معنى « لا ريب فيه » ليس القرآن بمقدمة للريب ولا ينبغي أن يرتاب  
فيه ، وهذا الحكم مما ينكره كثير من المخاطبين ، لكن نزل الانكار لهم منزلة  
عدمه أو على الأصح نزل المنكر منزلة غير المنكر ، لما معه من الدلائل  
الدالة على أنه ليس مما ينبغي أن يرتاب فيه ، من ظهور أعيجازه وكون من  
آتي به صادقاً مصدوقاً بالمعجزات . والاحسن أن يقال أنه تنظير لتنزيل  
وجود الشيء منزلة عدمه — لا مثال للجملة — وذلك بناء على وجود  
ما يزيد عليه ، فإنه نزل ريب المتابين منزلة عدمه تعويلاً على وجود ما يزيد عليه ،  
حتى صبح نفي الريب على سبيل الاستغراف الفهوم من وقوع النكرة في  
سياق النفي المفيد للعموم الشمولي ، فالنفي هنا هو نفس الريب على =

ومما يتفرع على هذين الاعتبارين قوله تعالى : « ثم انكم بعد ذلك لميتوا ثم انكم يوم القيمة تبعثون » ٠ أكد اثبات الموت تأكيداً وان كان مما لا ينكر لتنزيل الخاطبين منزلة من يبالغ في انكار الموت لتماديهم في الغفلة والاعراض عن العمل لما بعده ، ولهذا قيل « ميتوا » دون « تموتون » كما سيأتي الفرق بينهما<sup>(١)</sup> ٠ وأكد اثبات البعث تأكيداً واحداً وان كان مما ينكر لأنه لما كانت أدلة ظاهرة كان جديراً بأن لا ينكر ، بل اما أبن يعترف به أو يتزدّد فيه ، فينزل المخاطبون منزلة المتردد़ين ، تبيّنا لهم على ظهور أدلته ، وحثا لهم على النظر فيها ، ولهذا جاء تبعثون على الأصل ٠

\* \* \*

هذا كله اعتبارات الاتبات وقس عليه اعتبارات النفي<sup>(٢)</sup> ،  
كقولك : ليس زيد أو ما زيد منطلق أو بمنطلق ، والله ليس زيد

---

=

سبيل الاستغراف . وفي الأول ليس المنفي الريب بل كون القرآن مظنة له خطاباً لمنكر ذلك . وهذا الوجه احسن لأنّه لا يحتاج إلى التأويل الذي في الوجه الأول وما لا يحتاج إلى التأويل أولى مما يحتاج لتأويل ٠

(١) من أن الجملة الاسمية لافادة الشبوت والدوام ، والفعالية لافادة التجدد والحدوث .

(٢) أي أمثلة الاعتبارات الواقعية في الاسناد في الكلام المنفي من التجريد عن المؤكدات في الابتدائي وتقويته بمؤكد استحساناً في الطلبى وجود التأكيد بحسب الانكار في الانكارى . وقد ينزل غير المنكر منزلة المنكر فيؤكّد معه المنفي ، وينزل المنكر كغيره فيلقى أليسه الكلام خلوا من التأكيد الخ .

خاتمة في أغراض الخبر :

- ١ - افاده المخاطب الحكم ( فائدة الخبر ) ٠
- ٢ - افاده المخاطب أن الخبر عالم بالحكم ( لازم الفائدة )

أو ما زيد منطلق أو بمنطلق . وما ينطلق أو ما ان ينطلق زيد ؛ وما كان  
زيد ينطلق ، وما كان زيد لينطلق ، ولا ينطلق زيد ، ولو نينطلق زيد ،  
ووالله ما ينطلق أو ما ان ينطلق زيد .

\* \* \*

- = ٣ - الفخر والتلمح كقول المنبي :  
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم
- ٤ - اظهار الفرح كقول الشاعر :  
بشرى فقد أنجز الاقبال ما وعدا
- ٥ - التنبية والتحت كقول الشاعر :  
من راقب الناس مات غما وفاز باللدة الجسور
- ٦ - الارشاد والوعظ كقول لميد :  
الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
- ٧ - اظهار الضعف : « اني وهن العظم مني » .
- ٨ - التحسير على الفائت كقول الشاعر :  
ذهب الصبا وتولت الأيام
- ٩ - التحذير كقولك : « مصير البخيل ألمهم والأملاق » .
- ١٠ - التذكير بالتفاوت :  
وما يستوي من عاش المجد سعيه ومن عاش في دنياه عيش البهائم
- ١١ - الاستعطاف :  
فإن أك مظلماً معد ظلمته وإن تك ذا عتبى فمثلك يعتب
- ١٢ - التوبیخ :  
ذل من يفبط الذليل بعيش رب عيشي أخف منه الحمام
- شواهد لمعرفة أغراض الخبر فيها ومقاصده :  
قال ابراهيم بن المهدى :
- اتيت جرما شنيعا وانت للغفو أهل

=

وقال أبو فراس :

ومكارمى علد النجوم ومنزلى مأوى الكرام وموئل الأضياف

ولروان بن أبي حصنة يرثى معن بن زائدة :

مضى لسبيله معن وأبقى مكارم لن تبى ولن تنالا

وقال أبو نواس :

ذهبت جدتى بطاعة نفسى وتدكرت طاعة الله نضوا

المتنبي :

انى أصحاب حلمى وهو بن كرم ولا أصحاب حلمى وهو بي جبن

وقال :

اقمت بأرض مصر فلا ورائي تحب بي الركاب ولا أمامي

وقال الشاعر :

فاذأ رميتك يصيبنى سهمى قومى هم قتلوا - أميم - أخي

وقال الشاعر :

ذهب الشباب، فيما له من عودة وأتى المشيب فأين عنده المهرب ؟

وقال :

ظمئت وفي فمى الأدب المصنفى وضعفت وفي يدى الكنز الثمين

وقال المتنبي :

ذل من يغبط الدليل بعيش رب عيش أخف منه المحمام

شواهد على أصراب الخبر وأدوات التأكيد :

قال أبو الطيب :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم

وقال النابفة :

ولست بمستيق أخا لا تلمه على شعث، أى الرجال المهدب؟!

وقال أبو العتاهية :

انى رأيت عوائب الدنيا

أبو نواس :

فتقربت ما أهوى لما أخنى  
وأسمنت سرح اللحظ حيث أساموا

ولقد نهرت مع الفواة بدلواهم  
وبلفت ما بلغ أمرؤ بشباه

المعزى :

أن الذي آلوحة في داره تؤنسه الرحمة في لحده

شاعر :

وليس أخي من ودني رأى عينه ولكن أخي من ودني وهو غائب

### شواهد لخروج الخبر عن مقتضي الظاهر :

قال تعالى : وصل عليهم أن صلاتك سكن لهم . وقال : قل هو الله  
واحد ، الله الصمد .. وقال أبو العتاهية :

أن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة

وقال أبو الطيب :

ترفق أيها المولى عليهم فان الرفق بالجاني عتاب

او تقول من ينكر فائدة التهليم : التعليم ينهض بالامة ويرقى بالشعب .

==

● الحقيقة العقلية والمجاز العقلى :

فصل

● قال الخطيب :

الاسناد : منه حقيقة عقلية ، ومنه مجاز عقلى .

أما الحقيقة فهي اسناد<sup>(١)</sup> الفعل أو معناه إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر .

---

(١) معناه أي معنى الفعل يشمل المصدر وأسمى الفاعل والمفعول والصفة المشبهة وأسم التفضيل والظرف . وأمثلة المبالغة تدخل في اسم الفاعل ، والجار وال مجرور يدخل في الظرف . ويدخل اسم الفعل والمنسوب إليه نحو أتميمي أبوك ؟ .

وقولنا « إلى ما هو له » أي إلى لفظ يكون الفعل أو ما في معناه له . أي لمعنى ذلك اللفظ : أي مدلول الفعل ومدلول اللفظ الدال عليه معنى الفعل ثابت مدلول ذلك اللفظ .

معنى ذلك أن الحقيقة هي اسناد لفظ أي لفظ دل على معنى الفعل إلى لفظ له ، فإذا قلنا « ضرب زيد » فقد أسنادنا إلى الفاعل لفظ الفعل وهو ضرب الدال على المعنى الذي هو وصف الفاعل فيكون حقيقة ، وكذا إذا قلنا « ضرب عمرو » فقد أسنادنا إلى المفعول وهو « عمرو » لفظ الفعل الذي هو « ضرب » الدال على وصف المفعول فيكون حقيقة . فالشيء المسند إليه الذي ثبت له الفعل أو معناه منحصر في الفاعل فيما بني للفاعل ، والمفعول به في فعل بني للمفعول ، فان الضاربية لزيد ثابتة له والضريبة ثابتة لعمرو ، بخلاف « نهاره صائم » فان الصوم ليس ثابتا للنهار بل للشخص ، فلذا كان الاسناد فيه مجازا بكونه لغير من هو له .

ولا يدخل هنا المبدأ عند المصنف ، نحو إنما هي أقبال ، لأن الاسناد إليه عنده واسطة بين الحقيقة والمجاز ، أما عند عبد القاهر والمسكاكي =

والمراد بمعنى الفعل نحو المصدر واسم الفاعل . وقولنا « في الظاهر » ليشمل ما لا يطابق اعتقاده مما يطابق الواقع وما لا يطابقه .

فهي أربعة أضرب :

أحدھما ما يطابق الواقع واعتقاده ، كقول المؤمن : « أنت الله البقل » و « شفي الله المريض » .

والثانى ما يطابق الواقع دون اعتقاده ، كقول المعتزلى لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها منه : « خالق الأفعال تلها هو الله تعالى » .

---

فالمبتدأ كالفاعل والمحض فيما أسنده إليه ، فالاسناد في « زيد قائم » ليس حقيقة ولا مجازا عند الخطيب ، وكذلك فيما كان الخبر فيه جاماً مثل « هذا معدن » ، وأما اسناد « قائم » إلى ضمير زيد فهو حقيقة .

ثم المراد بكون المسند للمسند إليه كونه وصفا له وحقه أن ينسب إليه بالاتصال . فمتي كونه له أن معناه قائم به وهو متصل به ومنتسب إليه . وقوله إلى ما هو له يشمل ما هو له في الواقع والاعتقاد معاً أو في الواقع فقط . وقوله « عند المتكلم » أي لما هو له عند المتكلم لا في الواقع ونفس الأمر . وبهذا دخل في تعريف الحقيقة : ما يطابق الاعتقاد دون الواقع كقول العاجل « أنت الرب رب البقل » .

وقوله في « الظاهر » وعنده المتكلم متعلقان بقوله « له » . وفي الظاهر - اي في ظاهر حال المتكلم - يدخل ما لا يطابق الاعتقاد سواء طابق الواقع أم لا .

وبهذا صار التعريف متناولاً لأربعة أقسام : ما يطابق الواقع والاعتقاد ، وما لا يطابق شيئاً منها ، وما طابق الواقع دون الاعتقاد ، وما طابق الاعتقاد دون الواقع . ولم يخرج عن التعريف إلا ما فيه اسناد لغير ما هو له عند المتكلم بحسب الظاهر . فالحقيقة العقلية أربعة أقسام كما ترى وكما سيذكر الخطيب . . . والمعنى أن الحقيقة هي اسناد الفعل أو معناه إلى ما يكون هو له عند المتكلم فيما يفهم من ظاهر حاله ، وذلك الفهم بالا يتصبب قرينة دالة على أنه غير ما هو له في اعتقاده .

والثالث ما يطابق اعتقاده دون الواقع ، كقول الجاهل : « شفى الطبيب المريض » معتقدا شفاء المريض من الطبيب ، ومنه قوله تعالى حكاية عن بعض الكفار : « وما يهلكنا الا الدهر » . ولا يجوز أن يكون مجازا . والانكار عليهم من جهة ظاهر اللفظ لما فيه من ايهام الخطأ ، بدليل قوله تعالى عقيبه : « وما لهم بذلك من علم انهم لا يظنو » ، والتجوز المخطئ في العبارة لا يوصف بالظن ، وإنما الفاظ من يعتقد أن الأمر على ما قاله .

والرابع ما لا يطابق شيئاً منهما ، كالآقوال الكاذبة التي يكون الفائل عالماً بحالها دون المخاطب .

وأما المجاز<sup>(١)</sup> فهو استناد الفعل أو معناه إلى ملابس<sup>(٢)</sup> اى غير

---

(١) المجاز أصله مجوز من جاز المكان تعداده لأن الاستناد تعدد مكانه الأصلي ... وعقولي نسبة العقل ، لأن التجوز والتصرف فيه في أمر معقول يدرك بالعقل وهو الاستناد ، بخلاف المجاز اللغوي فان التصرف فيه في أمر نقل ، وهو أن اللفظ لم يوضع لهذا المعنى ...

ويسمى مجازا حكميا أي منسوبا للحكم بمعنى الادراك ، أو أنه نسبة الحكم بمعنى النسبة والاستناد لتعلقه بها . والمراد بالحكم المنسوب إليه والمتعلق به مطلق نسبة سواء كانت استنادية أو إضافية أو آيقافية ، وحيثئذ فهو من نسبة الخاص للعام أو من تعلق الخاص بالعام ، فالمجاز دما يكون في الحكم وهو النسبة التامة ، يكون في النسبة الإضافية كمكر الليل ، والإيقافية كنومت الليل أي أوقعت النوم عليه ... فالمراد بالحكم الذي تعلق به المجاز ليس خصوص النسبة التامة ، بل مطلق نسبة . فالمجاز اذا كان في الإضافية أو الإيقافية يصدق عليه أنه متعلق بالحكم بمعنى مطلق نسبة من تعلق الخاص بالعام ،

ويسمى أيضا مجازا في الآيات نحصل له في اثبات أحد الطرفين للآخر ، والتقييد بالآيات لاشرفيته ، فمثل « فما ربحت تجارتهم » : جعل من قبيل المجاز لكون استناد الربح إلى التجارة استنادا إلى غير ما هو له ، أو أن ما ربحت تجارتهم بمعنى خسرت ، فالمجاز العقلى كما يكون في الاستناد المشتب =

يكون في المنفي أيضاً . ويسمى أيضاً استناد مجازياً نسبة إلى المجاز بمعنى المصدر . لأن الاستناد جاوز به المتكلم حقيقته وأصله إلى غير ذلك .  
لأن قيل : أن المجاز العقلي لا يختص بالاستناد أى النسب التامة ، بل يجري في الإضافية والإيقاعية . واقتصرتهم على الاستناد يوجب الاختصاص ، أجيبي بأن اقتصرتهم في التسمية على الاستناد لشرفته أو أن المراد بالاستناد مطلق النسبة من اطلاق الخاص وارادة العام .

(٢) أي إلى شيء بيته وبين الفعل أو معناه ملابسة وارتباط وتعلق . فالضمير في قوله « له » راجع « لل فعل أو معناه » - « وغير ما هو له » أي غير الملابس الذي هو أي الفعل أو معناه له أي لذلك الملابس ، يعني غير الفاعل الحقيقي في المبني الفاعل . وغير المفعول به في المبني للمفعول به .

وفي تعريف المجاز العقلي اشارة إلى أنه لا بد فيه من علاقة ( ويدل على ذلك قولنا إلى ملابس له ) وقرينة ( ويدل عليها قولنا بتأويل ) .  
وقصاري القول : أن المجاز العقلي هو « استناد الفعل أو معناه إلى شيء ما هو له عند المتكلم في الظاهر لعلاقة مع قرينة صارفة عن أن يكون الاستناد إلى ما هو له » .

#### ٤

#### علاقة المجاز العقلي :

المجاز العقلي لا بد له من علاقة كما أن اللغوي كذلك . وظاهر الكلام المصنف أن العلاقة المعتبرة هنا هي الملابسة فقط ، وأنه لا بد منها في كل مجاز عقلي ، قال الشيخ يسن : لكن يبقى هناك شيء ، وهو أنه هل يكفي في جميع أفراد هذا المجاز كون العلاقة الملابسة ، أو لا بد أن تبين جهتها ، فإن يقال العلاقة هي ملابسة الفعل لذلك الفاعل المجازى من جهة وقوعه عليه أو فيه أو به ، كما قالوا في المجاز اللغوى : أنه لا يكفى أن يجعل اللزوم أو التعلق هو العلاقة بل فرد منها ، لأن ذلك قدر مشترك بين جميع الأفراد ، فلا بد أن يبين أنه من أي وجه ! ؟

والمعتبر عند الزمخشرى تلبس ما أنسد إليه الفعل بفاعله الحقيقي ، لأنه قال : المجاز العقلي هو أن ينسب الفعل إلى شيء يتلبس بالذى هو في الحقيقة له ، كتلبس التجارة بالمشترين في « مما ربحت تجارتهم » .. وقال الزمخشرى قبل هذا الكلام : « وقد ينسب إلى هذه الأشياء على طريق المجاز

\* \* \* \* \*

---

= المسما استعارة ، وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل ، كما يضاهى الرجل الأسد في جرائه فيستعار له اسمه ... وهذا هو رأي السكاكي أيضا . فالملاسة في المجاز العقلى عنده هي بين الفاعل الحقيقي والفاعل المجازى . وفي كلام عبد القاهر اشارة الى ذلك أيضا ( ٣٣١ أسرار ) ، غالربيع عنده قد شبه بال قادر في تعلق وجود الانبات به ، فذلك عنده على العرف الجارى بين الناس ، من أن يجعلوا الشيء اذا كان سببا أو كالسبب فى وجود الفعل كأنه فاعل .

فالحاصل أن العلاقة ليست هي الملاسة والتعلق والارتباط بين الفعل والمسند اليه المجازى كما هو ظاهر كلام المصطف ، وكما هو المبادر من التعريف من قوله « وله - أى للفعل - ملابسات ستى » ، بل هي المشابهة بين المسند اليه الحقيقي والمسند اليه المجازى في الملاسة أى في تعلق الفعل بكل منهما وأن كانت جهة التعلق مختلفة ، فالمسند اليه المجازى في « جرى النهر مثلا » وهو النهر يشبه ما هو له ، أى يشابه المسند اليه الحقيقي ، فالماء في قوله جرى الماء ، في ملابسة الفعل وهو الجري ، فالجري يلبس الماء من جهة قيامه به ، ويلبس النهر من جهة كونه واقعا فيه .

والعلاقة المعتبرة في هذا المجاز هي المشابهة بين المسند اليه الحقيقي والمسند اليه المجازى في تعلق الفعل بكل في صحة اسناده لذلك المجازى ، والعلاقة في الاستعارة المشابهة بين المعنى المجازى والمعنى الحقيقي لاجل صحة نقل اللفظ من المعنى الحقيقي للمعنى المجازى .

فالعلاقة هي في المجاز العقلى على التحقيق المشابهة بين الفاعلين : المجازى والحقيقة ، لا الملاسة بين الفعل والمسند اليه المجازى وأن كان ذلك كافيا في اسناد الفعل اليه .. لأن ملاحظة المشابهة بين الفاعلين إنما وأدخل في صرف الاستئذان إلى غير ما هو له ، وأن كفى فيه مجرد الملاسة المذكورة .

#### وأنواع العلاقة في المجاز العقلى هي :

- ١ - المفعولية : فيما بني للفاعل وأسناده المفعول به الحقيقي يقول لهم ، « عيشة راضية » أذ هي مرضية ، فالاسناد في المثال مجازى ، وأصله رضى المؤمن عيشه ، فأقيمت عيشة مقام المؤمن في تعلق الفعل وهو الرضى بكل ، فصار رضيت عيشه ، فاشتق منه اسم الفاعل وأسناده يـ

\* \* \* \* \*

ضمير المفعول وهو عيشة بعد تقديمها وجعله مبتدأ ، ثم حذف المضاف اليه اكتفاء بالمبتدأ في مثل « عيشة زيد راضية » ... وقال العدوى : أصله : « عيشة رضيها صاحبها » ، فالرضا كان بحسب الأصل مسندًا للفاعل الحقيقي (الصاحب) نم حذف الفاعل وأسند الرضا إلى ضمير العيشة ، وقيل عيشة رضيت ، لما بين الصاحب والعيشة من المشابهة في تعلق الرضا بكل ، وأن اختلفت جهة التعلق ، فصار ضمير العيشة فاعلاً نحوياً حقيقة ، ثم اشتق من رضيت راضية ، وأسند إلى المفعول ... ومذهب الخليل والبصريين أنه لا مجاز في هذا التركيب ، بل راضية بمعنى ذات رضا حتى تكون بمعنى مرضية ، فهو نظير لابن وتأمر ، قال الفنري ونقله عنه الدسوقي : وهو مشكل بدخول الثناء لأن هذا البناء يستوي فيه المذكر والمؤنث ، ويمكن الجواب بجواز جعلها للمبالغة لا للتأنيث كعلامة ... وقيل راضية بمعنى كاملة .. والشاهد في « عيشة راضية » استناد راضية للضمير المستتر الذي هو للعيشة ، وليس الشاهد في استناد راضية للعيشة ، لأن الاستناد إلى المبتدأ عند المصنف واسطة بين الحقيقة والمجاز ، وكذلك يقال فيما بعد هذا المثال من الأمثلة الآتية .

٢ - الفاعلية : فيما بنى للمفعول وأسند للفاعل الحقيقي ، كـ سيل مفعم ، لأن السيل هو الذي يفعم أي يملأ ، فاصله أفعم السيل أوادي أي ملأه ثم بنى أفعم للمفعول واشتق منه اسم المفعول وأسند لضمير الفاعل الحقيقي وهو السيل بعد تقديمها وجعله مبتدأ .

٣ - المصدر قيماً بنى للفاعل وأسند للمصدر مجازاً ، مثل شعر شاعر ، فقد أسند ما هو بمعنى الفعل ( وهو شاعر ) إلى ضمير المصدر ، وحقه أن يسند للفاعل ( أي الشخص ) لأن الفاعل الحقيقي ، بحيث يقال شعر شاعر صاحبه ، لكن لما كان الشعر شبهاً بالفعل من جهة تعلق الفعل بكل منها صبح الأسناد إليه مجازاً ، والأولى أن يمثل بنحو جد جده لأن الجد مصدرأ إليه فعل الفاعل ، فحق الجد أن يسند للفاعل الحقيقي وهو الشخص لا إلى الجد نفسه الذي أسند إليه المشابه له في تعلق الفعل بكل منها . وإنما كان ذلك أولى لأن التشعر الذي هو مصدق الضمير في شاعر يحتمل أن يكون بمعنى المفعول أي المشعور به لا المصدر الذي هو نفس الشعر فيكون من باب عيشة راضية ، أي يكون من باب

ما هو بتأويل ولل فعل ملابسات شتى<sup>(١)</sup> :

يلبس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والسبب .  
فاستناده الى الفاعل اذا كان مبنيا له حقيقة كما مر ، وكذا الى المفعول

ما بنى للفاعل وأسند للمفعول لا من باب ما بنى للفاعل وأسند للمصدر الذي  
كلامنا فيه ، بخلاف « جد جده » فإنه من ذلك القبيل . وإنما قلنا الأولى  
ولم نقل الصواب . لأن الشعر يحتمل أن يكون باقيا على مصدريته بمعنى  
تأليف الكلام فيكون من ذلك القبيل .. فالحاصل أن « جد جده » من باب  
ما بنى للفاعل وأسند للمصدر قطعا ، وأما « شعر شاعر » فيحتمل أن  
يكون منه أو من باب « عيشة راضية » . وما لا احتمال فيه أولى مما  
فه احتمال .

٤ - الزمانية : فيما بنى للفاعل وأسند للزمان لتشابهته الفاعل  
ال حقيقي في ملائمة الفعل لكل منها مثل نهاره صائم .

٥ - المكانية : فيما بنى للفاعل وأسند للمكان لتشابهته الفاعل  
ال حقيقي في ملائمة الفعل لكل منها مثل نهر جار ، لأن الماء هو الجارى  
في النهر - أي الحفرة التي يكون الماء فيها - .

٦ - السببية : فيما بنى للفاعل وأسند للسبب مجازا ، مثل بنى  
الأمير المدينة في السبب الأمر ، لأن السبب نوعان : سبب آمر وسبب غائب  
أو مالي ، قال ابن يعقوب : السبب المالي يسند إليه أيضا مجازا مثل  
يوم يقوم الحساب ، فالقيام في الحقيقة لأهل الحساب لا لأجله ، فكان  
الحساب علة غائية .

هذه هي علاقات المجاز العقلى . وذكر ابن السبكى أن جميع علاقات  
المجاز اللفظى ينبعى أن تأتى في العقلى .

(١) لما ذكر في تعريف الحقيقة العقلية « الملابس الذى له » ،  
وفي تعريف المجاز العقلى « الملابس الذى ليس هو له » ، أخذ بين التعريفين  
بيان الملابس ، فقال « ولل فعل ملابسات شتى » ... ويصبح فتح « باء  
الملابسة » وكسرها ، لأن الملابسة مفاعلة من الجانبيين ، فكل واحد من  
الفعل وما أسند إليه ملابس ( بكسر الباء ) وملابس ( بفتحها ) . الا أن  
المناسب لقوله « يلبس الفاعل » أن يقرأ بالفتح ... وقول الخطيب :  
ولل فعل ملابسات شتى ... الخ » هو نص كلام الزمخشري في تفسير  
قوله تعالى « ختم الله على قلوبهم » ، ومحوذ منه .

اذا كان مبنيا له ، وقولنا « ما هو له » يشملهما . واسناده الى غيرهما لمضاهاته لما هو له في ملابسة الفعل مجاز . كقولهم في المعمول به : « عيشة راضية » و « ماء دافق » ، وفي عكسه « سبيل مفعم » وفي المصدر « شعر شاعر<sup>(١)</sup> » ، وفي « نهاره صائم » و « ليله قائم » ، وفي المكان « طريق سائر » و « نهر جار » ، وفي السبب « بني الأمير المدينة » ، وقال :

( فلا تسألينى واسألى عن خليقتنى )  
اذا رد عافي القدر من يستعيرها<sup>(٢)</sup>

وقولنا بتاؤل يخرج نحو قول الجاهل : شفى الطبيب المريض ، فإن اسناده الشفاء الى الطبيب ليس بتاؤل . ولهذا لم يحمل نحو قول الشاعر الحماسي<sup>(٣)</sup> .

---

(١) وجد جده . قال نابط شرا .

اذا المرا لم يحتل وقد جد جده اضعاع وقاسى أمره وهو مدبر

(٢) البيت لعبيد بن الأبرص . وفي السبكي انه لعوف بن الأخصوص . وهو من قصيدة رواها صاحب المفضليات لعوف ، ونسبه المسان للمضرس الأسدى . . وعافي فاعل ، والقدر مضاف اليه ، ومن اسم موصول مفعول . وعافي القدر : المرك الذي ينآخر فيها ، وبقاوئه فيها سبب في رد من يستعيرها ، فأسنند بذلك الرد اليه من اسناد الفعل الى سببه .

(٣) هو الصلتان العبدى ، وبعد البيت قرينة تدل على المجاز وارادته وهو قول الشاعر :

فملتنا أننا مسلمون على دين صديقنا والنبي  
فليس هناك فرق بين البيت وكلام أبي النجم الآتى :  
ومثال البيت في ذلك قول أسقف نجران :

منع البقاء تصرف الشمس وطالوعها من حيث لا تمسى

وحascal الكلام أنه لابد في المجاز العقلى من التأول الذي حاصله نصب القرينة الصارفة عن أن يكون الاسناد الى ما هو له .

أشاب الصغير وأفني الكب *بر كر الغداة ومر العشى*

على المجاز ما لم يعلم أو يظن أن فائلة لم يرد ظاهرة ٠٠ كما استدل على أن اسناد (ميز) إلى (جذب الليالي) في قول أبي النجم :

قد أصبحت (أم الخيار) تدعى  
على ذبـاـكـهـ لـمـ أـصـنـعـ  
منـ أـنـ رـأـتـ رـأـسـ الـأـصـلـعـ  
مـيـزـ عـنـهـ قـزـعـاـعـنـ قـزـعـ  
جـذـبـ الـلـيـالـيـ أـبـطـئـ أـوـ أـسـرـعـ(١)

مجاز بقوله عقيبه :

أـفـاهـ قـيـلـ اللـهـ لـلـشـمـسـ اـطـلـعـ  
حـتـىـ أـذـاـ وـارـاكـ أـفـقـ فـارـجـسـ

\* \* \*

وسمى الاسناد في هذين القسمين من الكلام عقلياً لاستناده إلى العقل دون الوضع ، لأن اسناد الكلمة إلى الكلمة شيء يحصل بقصد المتكلم دون واضح اللغة ، فلا يصير ضرب خبراً عن زيد بواضح اللغة بل بمن قصد اثبات الضرب فعلاً له ، وإنما الذي يعود إلى واضح اللغة : أنه ضرب لاثبات الضرب لا لاثبات الخروج ، وأنه لاثباته في زمان ماض وليس لاثباته في زمان مستقبل ، فاما تعين من ثبت له فانما يتعلق يمين أراد ذلك من المخبرين ٠٠ ولو كان لغويًا لكان حكمنا بأنه مجاز في مثل

---

(١) الجذب : الشد . القنزع : الشعر المجتمع في نواحي الرأس . عن بمعنى بعد . « أبطئ أو أسرع » جملتان وأقعنان حالاً من الليالي بتقدير القول أي مقولاً فيها ذلك .

قولنا « خط أحسن مما وشى الربيع » من جهة أنه الفعل لا يصح الا من المحبى القادر حكماً بـأن اللغة هى التى أوجبت أن يختص الفعل بالمحبى القادر دون الجماد ، وذلك مما لا يشك فى بطلانه .

\* \* \*

● تعريف السكاكي للحقيقة والمجاز العقليين :

وقال السكاكي :

الحقيقة العقلية : هي الكلام المفاد به ما عند المتكلم من الحكم  
فيه (١) .

وانما قلت « ما عند المتكلم » ، دون أنه أقوم « ما عند العقل »  
ليتناول كلام الجاهل اذا قال « شفى الطبيب المريض » ، رائيا شفاء  
المريض من الطبيب ، حيث عد منه حقيقة مع أنه غير مفيد لما في العقل  
من الحكم فيه . وفيه نظر (٢) :

١ - لأنه غير مطرد (٣) ، لصدقه على ما لم يكن المسند فيه فعلا

---

(١) هو لا يخرج عن كلام عبد القاهر في الحقيقة العقلية : « كل جملة وضعتها على أن الحكم المفاد به على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه فهي حقيقة .

(٢) أي في تعريف السكاكي للحقيقة العقلية .

(٣) التعريف المطرد أي المانع بمعنى أنه كلما صدق التعريف صدق المعرف فهو مانع من دخول غير أفراد المعرف فيه .

والتعريف المنعكس أي الجامع بمعنى أنه كلما انتفى التعريف انتفى المعرف فهو جامع لأفراد المعرف ، ومثال عدم الجمع تعريف الحيوان بأنه جسم مفكر ، ومثال عدم المانع تعريفه بأنه جسم نام .

وسبب عدم الجمع كون التعريف أحسن من المعرف كالمثال ، أو مباين له ، كتعريف الإنسان بـمالك . . . وسبب عدم المانع هو كون التعريف أعم من المعرف مطلقا ، فإن كان أعم من وجده كان في التعريف عدم الجمع والمانع .

ولا متصلا به ، كقولنا : الانسان حيوان ، مع أنه لا يسمىحقيقة  
ولا مجازا .

٣ - ولا منعكس ، لخروج ما يطابق الواقع دون اعتقاد المتكلم  
وما لا يطابق شيئاً منها منه ، مع كونهما حقيقتين عقليتين كما سبق .

وقال (السكاكى) :

المجاز العقلى هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم  
فيه لضرب من التأويل ، افاده للخلاف لا بواسطة وضع ، كقولك : أذبت  
الربيع البقل ، وشفى الطبيب المريض ، وكسا الخليفة الكعبة .  
قال (السكاكى) : وانا قلت « خلاف ما عند المتكلم من الحكم  
فيه » . دون آن أقول خلاف ما عند العقل :

١ - لئلا يتمتع طرده بما اذا قال الدهرى عن اعتقاد جهل ،  
أو جاهل غيره : أذبت الربيع البقل ، رائيا ابناته من الربيع ، فإنه  
لا يسمى كلامه ذلك مجازا ، وإن كان بخلاف العقل فى نفس الأمر ،  
واحتاج (السكاكى) بيت الحماسة وقول أبي النجم على ما تقدم .

٢ - ثم قال السكاكى : ولئلا يتمتع عكسه بمثل : كسا الخليفة  
الكعبة وهزم الأمير الجند ، فليس فى العقل امتناع أن يكسو الخليفة  
نفسه الكعبة ولا آن يهزم الأمير وحده الجناد ، ولا يقدح ذلك فى كونهما  
من المجاز العقلى .

وانما قلت « لضرب من التأويل » ليحترز به عن الكذب فإنه  
لا يسمى مجازا مع كونه كلاما مفيدة خلاف ما عند المتكلم .

وانما قلت « افاده للخلاف لا بواسطة وضع » ليحترز به عن  
المجاز اللغوى فى صورة ، وهى اذا ادعى آن « أذبت » موضوع  
لا استعماله فى القادر المختار أو وضع لذلك .

وفيه نظر<sup>(١)</sup> :

١— لأننا لا نسلم بطلان طرده بما ذكر ، لخروجه بقوله : لضرب  
من التأول .

٢— ولا بطلان عكسه بما ذكر ، اذ المراد بخلاف ما عند العقل  
خلاف ما في نفس الأمر ، وفي كلام الشيخ عبد القاهر اشارة الى ذلك ،  
حيث عرف الحقيقة العقلية بقوله : « كل جملة وضعتها على أن الحكم  
المفاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه » فانه قوله « واقع  
موقعه » معناه في نفس الأمر وهو بيان لما قلبه ، وكذا في كلام  
الزمخشري ، حيث عرف المجاز العقلي بقوله : « أن يسند الفعل إلى  
شيء يلتبس بالذى هو في الحقيقة له » ، فان قوله في الحقيقة معناه  
في نفس الأمر ، ونحو كسا الخليفة الكعبة اذا كان الاسناد فيه  
مجازا كذلك .

٣— ثم القول بأن الفعل موضوع لاستعماله في القادر ضعيف ،  
وهو معترض بضعفه ، وقد رده في كتابه بوجوه ، منها : أن وضع الفعل  
لا استعماله في القادر قيد لم ينقل عن واحد من رواة اللغة وترك القيد  
دليل في العرف على الاطلاق فقوله : « افاده للخلاف لا بواسطة وضع »  
لا حاجة إليه ، وإن ذكر فينبغى أن لا يذكر إلا بعد ذكر الحد على  
المذهب المختار ، على أن تمثيله يقول الجاهل « أنيت الريبع البقل »  
ينافي هذا الاحتراز .

تنبيه :

قد تبين بما ذكرنا أن المسمى بالحقيقة العقلية والمجاز  
العقل على ما ذكره السكاكي هو الكلام لا الاسناد ، وهذا يوافق

(١) أي في تعريف السكاكي للمجاز العقلى .

ظاهر كلام الشيخ عبد القاهر في مواضع من دلائل الاعجاز ، وعلى ما ذكرناه هو الاسناد لا الكلام ، وهذا ظاهر ما قله الشيخ أبو عمرو ابن الحاجب<sup>(١)</sup> رحسه الله عن الشيخ عبد القاهر<sup>(٢)</sup> ، وهو قول الزمخشري في الكشاف ، وقول غيره ، وإنما اخترناه لأنها نسبة المسمى حقيقة أو مجازا إلى العقل على هذا لنفسه بلا وساطة شيء ، وعلى الأول لاشتماله على ما يتنسب إلى العقل ، أعني الاسناد .

أقسام المجاز العقلى باعتبار طرفيه : حقيقتهما ومجازيتهما  
أو أحدهما :

قال الخطيب :

ثم المجاز العقلى باعتبار طرفيه — أعني المسند والمسند إليه أربعة  
أقسام لا غير ، لأنهما إما :

١ - حقيقتان ، كقولنا أنت الربيع البقل ، وعليه قوله :

فمام ليلى وتجلى همى

وقوله :

وشيب أيام الفرارق مفارق  
( وأشسن نفسي فوق حيث تكون )

وقوله :

( لقد لمنا يا أم غيلان في السرى ) ونمت وما ليل المطى بنائم<sup>(٣)</sup>

(١) أمام في اللغة والنحو توفي عام ٦٤٦ هـ .

(٢) وهو ظاهر كلام عبد القاهر في الأسرار والدلائل كما فهمته أنا

= (٣) لجريز ومثل البيت قول النعمان بن بشير :

٢ - واما مجازاً إن كقولنا « أحييا الأرض شباب الزمان » .

٣ - واما مختلفان ، كقولنا : « أنبت البقل شباب الزمان » ، وكقولنا : « أحييا الأرض الربيع » ، وعليه قول الرجل لصاحبه : « أحييتك رؤيتك » أى آفستني وسرقني ، فقد جعل العاصل بالرؤبة من الآنس والمسرة حياة ثم جعل الرؤبة فاعلة له ، ومثله قول أبي الطبيب :

وتحببى له المال الصوارم والقنا      ويقتل ما تحببى التبسم والجدا<sup>(١)</sup>  
جعل الزيادة والوفور حياة للمال ، وتفريحه فى العطاء قتلا له ،  
ثم أثبت الاحياء فعلا للصوارم ، والقتل فعلا للتبسم ، مع أن الفعل  
لا يصح منهما ، وفحوا قولهم : « أهلك الناس الدينار والدرهم » :  
جعلت الفتنة اهلاكا ، ثم أثبت الاحلاك فعلا للدينار والدرهم .

\* \* \*

وهو في القرآن كثير<sup>(٢)</sup> .

كقوله تعالى : « وإذا تلقيت عليهم آياته زادتهم إيمانا » ، ثسبت

---

الله ربكم يوم بدر سيفونا      وليلك عم ناب قومك نائم  
وقول عمرو بن برافق :      فلا تأمن الدهر حرا ظلمته  
فما ليلى مظلوم كريم بنائهم      ومثله في المجاز قول الشاعر :  
تهارى باشرف التلائع موكل      وليلي - اذا ما جنى الليل - آرق  
(١) الجدا : المطاء . وراجع تعليق عبد القاهر على البيت في الأسرار  
من ٣٢١ وقد نقل منه الخطيب .  
(٢) رد به على مذهب الظاهريه الزاعمين عدم وقوع المجاز العقلى ،  
كاللغوی في القرآن لا بهام المجاز الكذب والقرآن منزه عنه . ووجه الرد انه  
لا ايهام مع القرينة .

الزيادة التي هي فعل الله الى الآيات لكونها سببا فيها . وكذا قوله تعالى : « وذلکم ظنكم الذى ظنتم بربکم أراد لكم » . ومن هذا الضرب قوله : « يذبح أبناءهم » ، الفاعل غيره ونسب الفعل اليه لكونه الأمر به . وكقوله : « ينزع عنهم لباسهم » ، نسب النزع الذى هو فعل الله تعالى الى الميس . لأن سببه أكل الشجرة ، وسبب أكلهما وسوسته ومقاسته ايها : انه لهم من الناصرين . وكذا قوله : « ألم تر الى الذين بدلو نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار السوار » ، نسب الاحلال الذى هو فعل الله الى أكابرهم ، لأن سببه كفرهم وسبب كفرهم أمر أكابرهم ايهم بالكفر . وكقوله تعالى : « يوما يجعل الولدان شيئا » ، نسب الفعل الى الظرف لوقوعه فيه ، كقولهم : « نهاره صائم » . وكقوله تعالى : « وأخرجت أثقالها » .

\* \* \*

وهو غير مختص بالخبر ، بل يجري في الانشاء ، كقوله تعالى : « يا هامان ابن لي صرحا » ، قوله : « فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا » ، قوله : « ولا يخرجنكم من الجنة فتشقى » .

\* \* \*

#### ● أنواع القرينة :

( قال الخطيب ) :

ولا بد له — أى للمجاز العقلى — من قرينة :

(أ) اما لفظية كما سبق في قول أبي النجم<sup>(١)</sup> .

---

(١) « أفناء قيل الله للشمس اطلعى » انع .

## (ب) أو غير لفظية (أى معنوية) :

كاستحالة صدور المسند من المسند إليه المذكور أو قيامه به : عقلاً كقولك محبتك جاءت بي إليك ، أو عادةً كقولك هزم الأمير الجندي وكسا الخليفة الكعبة وبني الوزير القصر ، (الاستحالة ذلك في العادة) . وكصدور الكلام من الموحد في مثل قوله : « أشأب الصغير » ، البيت<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

واعلم أنه ليس كل شيء يصلاح لأن تتعاطى فيه المجاز بسهولة بل تجده في كثير من الأمور تحتاج إلى أن تفهم الشيء وتصلحه له بشيء تتوخاه في النظم ، كقول من يصف جمالاً :

تجوب له الظلماء عين كأنها زجاجة شرب غير ملأى ولا صفر

يريد أنه يهتم بنور عينه في الظلماء ويمكنه بها أن يحرقها ويمضي فيها ، ولو لاها لكان الظلماء كالسد الذي لا يجد الساير شيئاً يفرجه به ويجعل لنفسه فيه سبيلاً ، فلو لا أنه قال : تجوب له ، فعلق له بتجوب لما تبين جهة التجوز في جعل العجب فعلاً للعين كما ينبغي ، لأنه لم يكن حيئاً في الكلام دليلاً على أن اهتداء صاحبها في الظلماء ومضييه فيها بنورها ، وكذلك لو قال تجوب له الظلماء عينه لم يكن له هذا الموضع ولا تقطع السلك من حيث كان يعيشه حيئاً لأن يصف العين بما وصفها به .

---

(١) القرينة أما لفظية أو غير لفظية وهي المعنوية وتنقسم إلى عادية وعقلية ، وذلك مثل :

- أ - استحالة قيام المسند بالمسند إليه استحالة عادية .
- ب - أو استحالة قيامه به استحالة ضرورية . أى بدھیة .
- ج - صدور الكلام الذي فيه الاسناد من الموحد ، وهذا القسم الثالث من المجاز العقلی هو الذي يحتاج إلى دليل وتأمل ، أما القسم الأول والثاني فمن المجاز الضروري البدھی الذي لا يحتاج إلى دليل .

واعلم أن الفعل المبني للفاعل في المجاز العقلى واجب أن يكون له فاعل في التقدير اذا أُسند اليه صار الاسناد حقيقة<sup>(١)</sup> لما يشعر بذلك تعريفه كما سبق ، وذلك قد يكون ظاهراً كما في قوله تعالى :

---

(١) هذا رأى الرازى والسكاكى والخطيب ، وعبد القاهر على خلافه ذلك :

فيرى الخطيب أن الفعل في المجاز العقلى لا بد أن يكون له فاعل اذا أُسند اليه يكون الاسناد حقيقة ، ومعرفة ذلك اما ظاهرة كما في « مما ربحت تجارتهم » وأما خفية لا تظهر الا بمزيد نظر وتأمل كما في « سرتني رؤيتك » لكثرة الاسناد الى الفاعل المجازى وترك الاسناد الى الفاعل الحقيقى .. وقد اشتراك السعد والسيد في ابطال ما وجده الرازى والسكاكى من الشبه في هذا البحث .

قال الدسوقي : ونحرير النزاع أن المجاز العقلى هل يشترط في تحفته أن يكون لل فعل المسند فيه فاعل محقق في الخارج أُسند له ذلك الفعل قبل المجاز اسناداً حقيقة معتقداً به ، بأن يقصد في العرف والاستعمال اسناد ذلك الفعل للذكى الفاعل ، او لا يتشرط ؟ . فمدحه السكاكى والمصنف اشتراط ذلك لأجل أن ينقل الاسناد من ذلك الفاعل الحقيقى للفاعل المجازى ، فالفاعل ليس محققاً في الخارج بل متواهم مفترض ولا يعتمد بالاسناد للمتوهم المفترض ، فليس « لسرتني » ولا « ليزيديك » فاعل في الاستعمال يكون الاسناد اليه حقيقة ، لعدم وجود تلك الأفعال المتعددة في الاستعمال ، أي ان المتكلم لم يقصد الاخبار بها بل استعملها في لازمها ، فانتفاءها بالنظر إلى قصد المتكلم وملحوظته لا بالنظر للواقع ، وكذا « أقدمنى » ، فإن الاقدام ليس له فاعل حقيقي واسناد الاقدام فيه للحق مجاز عقلى ، فقد بولغ في كون الحق له مدخل في تتحقق القدوم ، ففرض اقدام صادر من فاعل متواهم ثم نقل عنه وأُسند الى الحق مبالغة في ملابسته للقدوم ، كما ينقل اسناد الفعل من الفاعل الحقيقي الى الفاعل المجازى مبالغة في ملابسة الفاعل المجازى للفاعل الحقيقي ، فالمجاز في الاسناد ، لا في الفعل ، فالفاعل الحقيقي ليس موجوداً محققاً في الخارج بل متواهم مفترض ، ولا يعتمد بالاسناد

« فما ربحت تجارتهم » ، أى فما ربحوا فى تجارتهم ، وقد يكون  
خفيا لا يظهر الا بعد نظر وتأمل ، كما فى قوله سرتني رؤيتك أى سرني  
الله وقت رؤيتك ، كما تقول : أصل الحكم فى أنت الربع البقل أنت  
الله البقل وقت الربع ، وفي شفى الطبيب المريض : شفى الله المريض  
عند علاج الطبيب ، وكما فى قوله أقدمنى بذلك حق لى على فلان أى  
أقدمتني نفسى بذلك لأجل حق لى على فلان أى قدمت لذلك ، ونظيره  
محبتك جاءت بي اليك ، أى جاءت بي نفسى اليك لمحبتك ، أى جئت  
لمحبتك .. وانما قلنا ان الحكم فيما مجاز لأن الفعلين فيما مستدان  
إلى الداعى والداعى لا يكون فاعلا ، وكما فى قول الشاعر<sup>(١)</sup> :

وصيراني هواك ربى لحينى يضرب المشل  
أى وصيرنى الله لهواك وحالى هذه ، أى أهلكتنى الله ابتلاء بسبب  
هواك ، وكما فى قول الآخر وهو أبو نواس<sup>(٢)</sup> :

يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا

---

= الفعل للفاعل المفروض ، وكذا يقال في سرتني رؤيتك ويزيدك وجهه  
حسنا : أنه بولغ في كون الرؤية لها مدخل في السرور ، والوجه له مدخل  
في زيادة العلم بالحسن ، ففرض سرور وأزدياد من فاعل متوهם ، ثم نقل  
عنه وأسندا للفاعل المجازى وهو الوجه والرؤبة للمبالغة في ملابسة الفاعل  
المجازى للفعل ، فقول الشيخ عبد القاهر : ليس لهذه الأفعال فاعل ،  
أى محقق في الخارج يعتد بأسنانها اليه .. هذا وما ذكر من أن الاستناد  
في « أقدمنى بذلك حق الخ » من قبيل المجاز العقلى غير منعى ، بل يجوز  
أن يراد بالاقدام المحمل على القدوم على جهة المجاز المرسل ، فيكون المعنى  
« حملنى على القدوم حق الخ » ..

(١) هو ابن البواب كما في الدلائل ص ٧٢ ، والكلام على البيت في  
ص ٢٢٩ من الدلائل .. وينسب البيت لمحمد اليزيدي ..

(٢) في المطول لابن المعدل ، وهو لأبي نواس كما في معاهد التنصيص  
وتوجد البيت في الدلائل ص ٢٢٩ ..

أى يزيدك الله حسنا فى وجهه لما أودعه من دقائق الجمال متى  
تأملت .

\* \* \*

وأنكر السكاكي وجود المجاز العقلى فى الكلام ، وقال : الذى  
عندي نظمه فى سلك الاستعارة بالكتابية ، يجعل الريبع استعارة بالكتابية  
عن الفاعل . الحقيقى<sup>(١)</sup> بواسطة المبالغة فى التشبيه على ما عليه مبني  
الاستعارة كما سيأتى ، وجعل نسبة الآيات اليه قرينة للاستعارة<sup>(٢)</sup> ،

---

(١) وكان عبد القاهر يرد ذلك الرأى فى كلامه فى الأسرار ( ص  
٣٣١ ) .

(٢) تفصيل الكلام على رأى السكاكي فى رد المجاز العقلى الى  
الاستعارة الكتابية أنه بعد أن عرض المجاز العقلى قال :

« هذا كلله تقرير الكلام فى هذا الفصل بحسب رأى الأصحاب من  
تقسيم المجاز إلى لغوى وعقلى ، والا فالذى عندي هو نظم هذا النوع  
فى سلك الاستعارة بالكتابية ، يجعل الريبع استعارة بالكتابية عن الفاعل  
الحقيقى — وهو القادر المختار أى الله تعالى — بواسطة المبالغة فى  
التشبيه على ما عليه مبني الاستعارة كما عرفت ، وجعل نسبة الآيات  
اليه قرينة للاستعارة ، ويجعل الأمير المدبر لأسباب هزيمة العدو استعارة  
بالكتابية عن الجند الهازم ، وجعل نسبة الهزم إليه قرينة للاستعارة ،  
فالمجاز كله لغوى أى في الكلمة لا في الاسناد ( راجع ص ١٦٩ المفتاح ) ..  
والاستعارة بالكتابية عنده أن تذكر المشبه وتزيد المشبه به بواسطة قرينة ،  
وهي أن تنسب إليه شيئاً من اللوازيم العادية للمشبه به مثل أن تشبه المنية  
بالسبع لم تفردها وتضييف إليها شيئاً من لوازيم السبع فتقول مخالب  
المنية نسبت بفلان .

وما ذهب إليه السكاكي هو حاصل شبهة أوردتها عبد القاهر ورد  
عليهما ( ٢٣١ من الأسرار ) ، قال عبد القاهر في أسلوب « ضاغ الريبع  
الوشى » : فان قيل : أليس الكلام معقودا على تشبيه الريبع بال قادر في  
تعلق وجود الصوب والنسج به ؟ فالجواب أن هذا التشبيه ليس هو الذي

يعقد في الكلام ، إنما هو عبارة عن الجهة التي راعاها المتكلم حين أعطى الربع حكم القادر في اسناد الفعل اليه ، فقولنا في تشبيه منقول منطوق به ، وقول المعترض في تشبيه معقول غير منطوق به الخ .. وقد سار السكاكي على ضوء هذه التبيه وقال : ليس في كلام العرب مجاز عقلى الخ ، وألحادي للسكاكي على هذا الإنكار كما يقول هو للاستعارة بالكتنائية ، ولكن برد عليه أن ذلك ليس باولى من العكس .. وقول السكاكي في الاستعارة بالكتنائية « هي أن ذكر المشبه الخ » أى هي ذكر المشبه أى هي المشبه المذكور .

#### وناقش الخطيب رأى السكاكي ، ورده بوجوه منها :

١ - أنه يستلزم أن يكون المراد : بعيسية في قوله تعالى « فهو في عيشة راضية » صاحب العيشة لا العيشة ، وبماء في قوله « خلق من ماء دافق » فاعل الدفق ، لما سيأتي من تفسير الاستعارة بالكتنائية على مذهب السكاكي ، من أن حاصلها أن يشبه الفاعل المجازى المذكور بالفاعل الحقيقي في تعليق وجود الفعل به ثم يفرد الفاعل المجازى بالذكر ، وينسب إليه شيء من لوازم الفاعل الحقيقي .. توضيح المقام : أنه لا بد في الاسناد من مستعار منه ومستعار له ومستعار ، ففي أنشبت المنية أظفارها بفلان المستعار منه معنى السبع وهو الحيوان المفترس به والمستعار لفظ السبع ، والمستعار له معنى المنية ، ومعنى قولهم بالكتنائية إنك كنت عن المستعار بشيء من لوازم معناه ( أى الأظفار ) ولم تصرح به ، وهذا على طريق الجمهور ، فيجعلون مدلول لفظ استعارة بالكتنائية المستعار أعنى اللفظ الدال على المشبه به المضرر ، والسكاكي يجعل مدلوله اللفظ الدال على المشبه فيقال عنده في تقريرها : شبّهت : المنية بالسبعين وأدعينا أنها فرد من أفراده ، ثم أوردنا اللفظ الدال على المشبه مراداً منه المشبه به بواسطة قرينة دالة على ذلك ( كلفظ الأظفار ) ، وأما على طريق المصنف فمدوله نفس التشبيه المضرر في النفس فتسمية التشبيه استعارة بالكتنائية ....

وقول السكاكي في « أنت الربع البقل » : « ان الربع استعارة بالكتنائية عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه - أى بداخل الشبيه في جنس المشبه به وجعله فرداً من أفراده ادعاء ، ونسبة الانبات إلى الربع قرينة الاستعارة - يرد عليه أن هذا مخالف لما أشتهر من أن قرينة الاستعارة بالكتنائية عند السكاكي هي إثبات الصورة الوهمية المسماة

بالاستعارة التخييلية ، فيجب أن يقول على أن المراد « وجعل نسبة ما هو على الاستعارة بالكتابية غير الكائنة في المجاز العقلى ، وأما الواقعه فيه فنسبة شبيه بالآيات إليه قرينة » .. وأجيب : بأن ما اشتهر عنه محمول على الاستعارة بالكتابية غير الكائنة في المجاز العقلى وأما الواقعه فيه فالقرينة فيه قد تكون أمراً محققاً ، مما اشتهر عنه كلٍ ، ويدل على ذلك أنه نفسه صرخ في بحث المجاز العقلى بأن القرينة قد تكون أمراً محققاً كما في آية الربيع البقل . قوله السكاكي : المكتبة « هي أن تذكر المشبه وتريد المشبه به بواسطة قرينة ، وهي أن تنسب إليه شيئاً من اللوازם المساوية للمشبه به » ، يريد « بالمساوية » التي تصدق حيث صدق وتکذب حيث كذب .

٢ - ويستلزم أن لا تصح الاضافة في نحو قولهم : فلان نهاره صائم وليله قائم ، أي لأن المراد بالنهار على هذا فلان نفسه ، وأضافة الشيء إلى نفسه لا تصح ، فكل تركيب أضيف فيه الفاعل المجازى إلى الفاعل الحقيقي كما في المثالين السابعين تكون - على هذا - الاضافة فيه غير صحيحة ، لبطلان اضافة الشيء إلى نفسه اللازم من كلامه ، لأن المراد بالنهار حينئذ فلان نفسه ، ولا شك في صحة هذه الاضافة ووقوعها ، قال تعالى : مما ربحت تجارتهم ، قال الشاعر : فنام ليلى وتجلى همي ، وهنالك المثالان أظهر ، لأن « نهاره صائم » يمكن المناقشة فيه بأن الاستعارة إنما هي في ضمير المستتر لا في « نهاره » على الاستخدام المعروف في علم البديع . لكن المناقشة في المثال ليست من أدب العلماء - قال الدسوقي في « نهاره صائم » : اضافة الشيء إلى نفسه إنما توجد إذا كان المراد « بالنهار » وضمير « صائم » واحداً ، وأما إذا ارتكب الاستخدام وجعل الضمير في « صائم » راجعاً إلى النهار ، لا بالمعنى الأول وهو الزمان ، بل بمعنى الشخص ، فلا يلزم اضافة الشيء إلى نفسه ، لأن الاستعارة إنما هي في الضمير المستتر في صائم لا في نهاره .

٣ - وإن لا يكون إلا بالإيقاد على الطين في أحدى الآيتين بالبناء فيما لها مانع أن التنداء له فيكون الامر له أيضاً فلا يجوز تعبد المخاطب في كلام واحد أو جموعه أو عطفه .

قال الدسوقي : قيل أن هذا الالتزام إنما يتوجه على السكاكي إذا كان المسند مستعملاً في معناه الحقيقي ، وله أن يمنع ذلك مدعياً أن معنى « ابن » هو أمر بالبناء « وأوقد لي ياهاماً » هو أمر بالإيقاد ، فصح أن

النداء له والخطاب معه .. وفيه أن هذا خروج عما نحن بصدده ، لأنه حينئذ يكون المجاز في الطرف ، فيخرج عن المجاز العقلى كما يقول المصنف وغيره وعن الاستعارة بالكتابية كما يقول السكاكي .

وقال ابن السبكى : أن اللازم الخطيب للسكاكى بنحو « ابن لى صرحا » بأن لا يكون الأمر بالبناء لهامان مع ان النداء له ، جوابه : ان المأمور بالبناء ألبانى بنفسه بعد اعتقاد دخول هامان نفسه فى زمرة من يبني بنفسه مجازا .

ـ ويستلزم أن يتوقف جواز التركيب فى نحو قولهم : ابنت الريع البقل وسرتني رؤيتك على الاذن الشرعى لأن اسماء الله تعالى توقيفية .

قال ابن يعقوب : ان ما ذهب اليه السكاكي يستلزم ايضاً ان يتوقف استعمال نحو « ابنت الريع البقل » و « شفى الطبيب المريض » و « سرتني رؤيتك » و يزيدك وجهه حسنا » - وكل ما كان مثل هذا الاستعمال - على سماعه من الشارع ، لأن اسماء الله توقيفية ، فلا يطلق عليه تعالى اسم لا حقيقة ولا مجاز ما لم يرد اذن من الشارع كالرحمه فإنه مجاز بخلاف ما لم يسم به الله نفسه في الكتاب ولا في السنة سواء كان مجازاً أو حقيقة ، ولم يرد اطلاق الريع والطبيب والرؤبة على الله تعالى . لكن توقيف مثل هذا الاستعمال على السماع غير صحيح ، لأنه شاع استعماله حتى كاد أن يكون أجماعاً سكتياً ، فشيوعه يدل على أن المراد بالريع غير الله . ولا يجاح عن هذا الالزام بأن مذهب السكاكي أن اسماءه تعالى غير توقيفية ، لأن الرد عليه ليس باستعماله هو بل باستعمال غيره من يذهب إلى غير ذلك مع عدم انكار غيره ، فصار استعمالاً صحيحاً ، ولو كان كما ذكر السكاكي لتركه من يراها توقيفية أو لا تذكر عليه .

### ملاحظة :

المجاز العقلى له معنيان : أسناد الفعل أو ما في معنى الفعل الى ما ليس الاسناد له بعلاقة ، مع قرينة - والمجاز الذى سببه التصرف فى امور عقلية اي غير لفظية كجعل الفرد الغير المتعارف من افراد المعنى المتعارف لللفظ مثل جعل الشجاع فرداً من افراد الحيوان المفترس فتنقل اسمه اليه قائلاً : « رأيت اسدًا » اي رجلاً شجاعاً شبيهاً بالأسد ، والمعنى الاول هو المراد هنا في هذا الباب .

ويجعل الأمين المدبر الأسباب هزيمة العدو استعارة بالكتنائية عن الجند  
الهازم وجعل نسبة الهزم اليه قرينة للاستعارة .

وفيما ذهب اليه (السكاكى) نظر :

١ - لأنه يستلزم أن يكون المراد بعيشة فى قوله تعالى « فهو فى  
عيشة راضية صاحب العيشة لا « العيشة »، وبماء فى قوله : خلق من ماء  
دافق فاعل . فاعل الدفق لا المنى ، لما سيأتى من تفسيره للاستعارة  
بالكتنائية .

٢ - وأن لا تصح الاضافة فى نحو قولهم : فلان نهاره صائم  
وليله قائم . لأن المراد بالنهار على هذا فلان نفسه واضافة الشيء الى  
نفسه لا تصح .

٣ - وأن لا يكون الأمر بالايقاد على الطين فى احدى الآيتين  
وبالبناء فيما لها مان ، مع أن النداء له .

٤ - وأن يتوقف جواز التركيب فى نحو قولهم : أنت الريح  
البقل ، وسرتى روئتك على الاذن الشرعى ، لأن أسماء الله تعالى  
توقيقية ، وكل ذلك منتف ظاهر الاقتفاء .

٥ - ثم ما ذكره منقوض بنحو قولهم : « فلان نهاره صائم »  
فإن الأسناد فيه مجاز ، ولا يجوز أن يكون النهار استعارة بالكتنائية عن  
فلان ، لأن ذكر طرف التشبيه يمنع من حمل الكلام على الاستعارة  
ويوجب حمله على التشبيه ، ولهذا عذر نحو قولهم « رأيت بفلان أسدًا ،  
ولقيني منه أسد » تشبيها لا استعارة ، كما صرخ السكاكى أيضا  
 بذلك في كتابه .

• تنبيه :

اننا لم نورد الكلام في الحقيقة والمجاز العقليين في علم البيان  
كما فعل السكاكي ومن تبعه ، لدخوله في تعريف علم المعانى دون  
تعريف علم البيان .

\* \* \*

## البحث البلاغى عن أسلوب المجاز العقلى وأطواره(١)

### ● سيبويه وهل أثبت المجاز العقلى ؟ :

قال صاحب الكتاب : مطر قومك الليل والنهار على الطرف ، وان شئت رفعته على سعة الكلام ، كما يقال صيد عليه الليل والنهار ، كما قال جرير :

ونمت وما ليل المطى بنائم

فكأنه فى كل هذا جعل الليل بعض الاسم ، وكما قال الشاعر :  
أما النهار فهى قيد وسلسلة والليل فى قعر منحوت من الساج

فكأنه جعل النهار فى قيد والليل فى جوف منحوت ( راجع ١/٨٠ سيبويه فى : باب من الفعل يبدل فيه الآخر من الأول ويجرى الاسم كما يجرى أجمعون على الاسم ينصب بالفعل لأنه مفعول ) .

وقال : تقول سرت الليلة أهل الدار فتجرى الليلة فى سعة الكلام ، ومثل ما أجرى مجرى هذا فى سعة الكلام والاستخفاف : « بل مكر الليل والنهار » فالليل والنهار لا يمكن أن يكونا المكر فيما ( ١/٨٩ الكتاب لسيبوه ) .

وقال : باب استعمال الفعل فى اللفظ لا فى المعنى لاتساعهم فى الكلام وللامجاز والاختصار : فمن ذلك أن تقول : صيد عليه يومان أى صيد عليه الوحش فى يومين ولكنك اقسح واختصر ، ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار . وسائل القرية التى كنا فيها والعبر التى

---

(١) هذه البحوث بقلم محمد عبد المنعم خفاجى .

أقبلنا فيها ، إنما يزيد أهل القرية فاختصر وعمل الفعل في القرية كما كان عاماً في الأهل لو كانها هنا ، ومثله بل مكر الليل والنهار المعنى مكركم في الليل والنهار ، وقال تعالى ولكن البر من آمن بالله ، أى بر من آمن بالله ، وهذا أكثر من أن يحصى ، وقال الجعدى :

وكيف تواصل من أصبحت خالتك كأبي مرحباً

(راجع ١٠٨ - ١١٠ من الكتاب) .

هذا بعض ما ذكره سيبويه في كتابه عن المجاز العقلى<sup>(١)</sup> . وهو يرشدنا إلى رأى شيخ العربية في مثل هذا الأسلوب . وبالمعنى فيما نقلناه هنا عن سيبويه ندرك أنه يحمل هذه الأساليب وما شابها - مما حمله المتأخرؤن على المجاز في الكلام أى على المجاز العقلى - يحملها على السعة في الكلام بالإيجاز والحدف والاختصار ، وأصلها على تقدير المضاف ، وبهذا التقدير تخرج هذه الأساليب عند سيبويه عن معنى المجاز الذي فهمه من كلام المتأخرؤن . فال المجاز العقلى محمول عنده على السعة في الكلام وحذف مضاف .

وسياطى نبسط رأى عبد القاهر في ذلك ودفاعه عن أسلوب المجاز العقلى ورده على من يرى أنه محمول على السعة والحدف من علماء العربية كسيبويه ومن نهجه في فهم وتطليل هذا الأسلوب .

(١) وفي ص ١٦٩ ج ١ من الكتاب يقول سيبويه :  
وأن شئت رفعت ( فقلت ولا اناعي ) فجاز على سعة الكلام ، من ذلك قول الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار  
 يجعلها الاقبال والادبار فجاز على سعة الكلام كقولك : نهارك صائم  
 وليلك قائم .. ولكنه جاز على البعثة فاستخفوا واختصروا ، والسيراف  
 والشنتمرى يجعلانه على تقدير مضاف أو تأويل المصدر باسم الفاعل .  
 وهذا بيان لمعنى السعة الذي يقصده صاحب الكتاب .

## ● المبرد وأسلوب المجاز العقلى :

وقال صاحب الكامل : « ليلة مزؤودة » أى ذات زؤد وهو الفزع وجعل الليلة ذات فزع لأنها يفزع فيها ، قال تعالى : بل مكر الليل والنهار أى مكركم في الليل والنهار ، وقال جرير : ونمت وما ليل المطى بنائم . وقال آخر : فنام ليلى وتجلى همى . ( ١/٦٥ كامل النسخة القديمة ) .

وقال : العرب يقول نهارك صائم وليلك فائم أى أنت قائم وصائم ، كما قال تعالى : بل مكر الليل والنهار أى في الليل والنهار ، وقال : ونمت وما ليل المطى بنائم . ( ١/١٠٤ كامل المبرد ) .

وقال : « وأما خلطة فثمانى » ، سماها بالمصدر مثل فانما هي اقبال وادبار ، فعنها بالمصدر لكثرته منها ، ويجوز أن يكون أراد ذات خلطة ، ومثله : ولكن البر من آمن بالله ( ١٣٧ ج ١ كامل المبرد الطبعة القديمة ) .

وقال : « ويسمى ليلاً غير نائم » أى في ليلاً ، جعل الفعل لليل على السعة مثل فانما هي اقبال وادبار ، وفي القرآن بل مكر الليل والنهار ( ٢٤٨ ج ٢ كامل المبرد طبعة التجارية ) .

ذلك ما في كامل المبرد من كلام وتحليل بعض الأسلوبات التي جعلها المتأخرین من أسلوب المجاز العقلى .

والمبرد في تحليل هذه الأسلوبات يجمع بين رأى سيبويه السابق ورأى آخر جديد هو المبالغة ، والمبالغة من خصائص المجاز كما تعلم – فيقول في « فانما هي اقبال وادبار » فعنها بالمصدر لكثرته منها ( ١٣٧ ج ١ كامل ) ، فهو اذا يجوز في أسلوب « فانما هي اقبال وادبار » – وما يشابهه مثله طبعاً – أن يكون على المبالغة كما يقول عبد القاهر أى على المجاز ، أو على الحذف كما يقول سيبويه ، وادباً هو

لم يذهب الى مذهب سيبويه وحده ، وقد يكون المبرد قد أراد من المبالغة التشبيه «البلية» ، هي اقبال ، أي شبيهة به . ولكن ذلك بعيد عن الأسلوب وعن مراد المبرد منه كما يخيل لي .

وفي رسالة أخرى للمبرد هي « ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن » يقول المبرد :

وفي القرآن مختصرات ، فان مجاز كلام العرب يحذف كثيرا من الكلام اذا كان فيما يبقى دليل على ما يلقي ، فمن ذلك : وسائل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها ، لما كانت القرية والعير لا يسألان ولا يجيئان علم أن المطلوب غيرهما (ص ٣٦) ، ولا يجور على هذا جاء زيد وأفت تزيد غلامه لأن المجيء يكون له ولا دليل في مثل هذا على المحنوف . ومثل الأول : ولكن البر من آمن بالله ، أي بر من آمن بالله لأن البر لا يكون البار . ونظيره قول الجعدي : آ .. أصبحت خلالته كأبى مرحباً (أى كخلالة أبى مرحباً ) (ص ٣٣ و ٣٤) .

ومن المختصر في القرآن قوله تعالى : ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينفع بما لا يسمع . تأويله مثلكم ومثلهم كمثل الناعق بما لا يسمع فاختصر وحذف ، كقول النابغة : كأفك من جمال بني أقيش ، أي جمل من جمال (ص ٣٥) . والمبرد في ذلك قابع لسيبويه فاقلل عنه ، ورأيه عندى صحيح .

### ابن المديري والمجاز العقلى :

يرى ابن المديري أن أسلوب « بل مكر الليل والنهر » من الحذف والاتساع ، وأن الكتاب يشجع أن يتجنبوه . (راجع ص ١٨ الرسالة العذراء لابن المديري نشر الدكتور مبارك ) .

## ● نقد النثر والمجاز العقلى :

وكذلك كتاب «نقد النثر» ضئيل الصلة بالمجاز العقلى . قال : ومن الاستعارة انطلاق ما لا ينطق مثل «فوجد فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه» ومثل : امتلاك الحوض وقال قطني - وذكر أيضاً المثال : فللموت ما تلد الوالدة (٦٦ نقد النثر) . ومن المعلوم أن كلامه في هذا قليل جداً من ناحية البحث البياني وهو متأنٍ بخطابة أرسطو ، حامل لهذه المثل على الاستعارة ، كما صنع عبد القاهر بعد .

## ● الآمدى وسلوب المجاز العقلى :

قال الآمدى في موازنته : المصادر قد تجعل أوصافاً في مكان أسماء الفاعلين وإنما تكون أوصافاً على وجه من الوجوه وطريقة من اللفظ ، وهي قولهم إنما زيد دهره أكل ونوم وإنما عمرو أبداً قيام وقعود . فتقيم المضاف إليه مقام المضاف لأنَّه يدل عليه أو تجعل زيداً نفسه الأكل والنوم وعمراً القيام والقعود على المبالغة لأنَّ ذلك كثيراً منها كما قالت : «فأقماهى أقبال وادبار» ، فجعلت الناقة هي الاقبال والأدبار لأنَّ ذلك كثير منها ، وإن شئت كان المعنى ذات أقبال وادبار فأقمت المضاف إليه مقام المضاف وهذه طريقة الوصف بالمصادر على ما ذكرته ، فيقال هند الحسن كلها وعدد الجمال أجمعه وزيد الهرم أقصاه وبعد الله التيَّه بعينه : إن شئت كان المعنى هند صاحبة الحسن كلها وعدد ذات الجمال أجمعه وزيد أخو الهرم وبعد الله ذو التيَّه فأقمت المضاف إليه مقام المضاف مثل وسائل القرية ، وإن شئت جعلت هندا هي الحسن ودعدا هي الجمال على المبالغة لما كانتا متناهيتين في هذين الوصفين (٢٦ الموازنة طبعة صبيح) .

ورأى صاحب الموازنة قد حلله أتم تحليل وإنْ كان لا يخرج عن رأى المبرد في كثير ولا قليل . فإنَّ هذه الأساليب كلها بعيدة عن

المجاز العقلى إنما هى على الحذف والاختصار ، أما ما ذكره فى الكامل من الأساليب من مثل : نهارك صائم وليلك قائم فقد حملهما على المبالغة أو على الحذف كما سبق : وسيبويه يحملها كلها على الحذف .

ومن تسمى الفائدة أن ننقل هذا النص عن المبرد وان لم يكن وثيق الصلة بالمجاز العقلى ، قال المبرد : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون — إنما نمى لهم ليزدادوا اثما » مجاز مصيره الى ذا كقوله تعالى : « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » وهم لا يتقطونه مقدرين فيه ذلك ولكن تقديره : فكان مصيره الى عداواتهم وحزنهم ، ومثله : دورهم بخراب الموت ببنيتها ، أى الى هذا تصير ، ومثل قول ابن الزبير فللموت ما تلد الوالدة ، أى ان هذا مصيرهم (٢٦ — ٢٨ ما اتفق لفظه للمبرد ) .

### ● خطابة رأسطو والمجاز العقلى :

وقد ترجمت فى القرن الثالث الهجرى ولم يتأثر بها أئمة البيان كثيرا فى فهم هذا الأسلوب ، وإنما كان جل تأثيرهم بأراء علماء العربية كسيبويه والمبرد وابن فارس ، وليس فيها إلا كلام قريب الصلة بالمجاز العقلى : قال :

« ومن التغيرات الاستعارية المديدة أن ينسب الأمر إلى صفة الفاعل مثل الشيخوخة تفعل الخير بدل الشييخ » ٠٠ وقال : ومن أنواع الاستعارة اللفظية أن يجعل أفعال الأشياء غير المتنفسة كأفعال ذات الأنفس مثل الغضب لجوج ( راجع باب العبارة فى فن الخطابة فى الشفاء لابن سينا ) .

فهو هنا يجعل هذه الأساليب استعارة فقط ، لا حذفا كما ذهب إليه سيبويه ، وصنّيع الخطابة في هذا هو صنّيع عبد القاهر ، فقد جعل ما شابه هذه الأساليب مجازا عقليا ورد أن تكون من الحذف سبيل .

## • ابن فارس وأسلوب المجاز العقلى :

قال ابن فارس : ومن اللامات لام العاقبة : « فاللتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » لم يتقطوه لذلك ولكن صارت العاقبة ذلك (٨٧ الصحابي لابن فارس) .

وقال : ومن سنن العرب الحذف والاختصار ، ومنه « وسائل القرية » اراد أهلها ، وبنو فلان يطؤهم الطريق أى أهله ، ومنه نطا السماء أى مطرها ، وعلى خوف من فرعون ، « اذن للأذقناكم ضعف الحياة » أى ضعف عذابها (١٧٥ الصحابي) .

وقال : ومن سنن العرب اضافة الفعل الى ما ليس فاعلا في الحقيقة مثل جدارا يريد أن ينقض وهو في شعر العرب كثير (١٧٩ و ١٨٠ الصحابي) .

وقال : باب المفعول يأتي بلفظ الفاعل ، تقول سر كاتم أى مكتوم ، وفي القرآن لا عاصم اليوم من أمر الله أى لا معصوم ، ومن ماء دافق ، وعيشة راضية أى مرضى بها ، وحرما آمنا أى مأمونا فيه .. قيل ويأتي الفاعل بلفظ المفعول به كقوله : انه كان وعده مأتيا .. أى آتيا (١٨٧ و ١٨٨ الصحابي) .

وقال : ومن سنن العرب وصف الشيء بما يقع أو يكون منه كقولهم يوم عاصف أى عاصف الريح ، لأن عصوف ريحه يمكنون فيه ، ومثله ليل نائم ، وليل ساهر لأنه ينام فيه ويسهر ، قال أوس : خذت على ليلة ساهرة ، وقال عمرو بن براق : « وليلك من ليل الصعاليك فائم » . ومشلبه ، « وما ليل المطى بتائم » . ويقولون : لا يرقد وساده يريدون متوضئه الوساد (١٨٨ الصحابي) .. وقال : ومن سنن العرب التوهم والإيهام وهو أنه يتواهم أحدهم شيئا ثم يجعله كالحق كمساءلة الرسم (١٩٢) .. وقال : ومن سنن العرب الأضمار :

اضمار الأسماء ، واضمار الأفعال ، واضمار الحروف ( ١٩٦ - ١٩٨ الصاحبى ) – والعرب تضمر الفعل فيشتبه المعنى حتى يعتبر فيوقف على المراد مثل « فانى لا الام على دخول » أى على ترك دخول ، وقال الأعشى : أَزْمَعْتُ مِنْ آلِ لِيلى ابْتِكَاراً ، أَىْ مِنْ أَجْلِ آلِ لِيلى ( ص ١٩٨ و ١٩٩ ) ٠٠ وقال : بَابُ اضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ مِثْلُ سَرْحِ الْفَرَسِ وَثَمَرَةِ الشَّجَرَةِ وَغَنْمِ الرَّاعِيِ ( ص ٢٠٥ ) ٠٠ وقال : بَابُ اقْتِصَارِهِمْ عَلَى ذِكْرِ بَعْضِ الشَّيْءِ ٠٠ وَهُمْ يَرِيدُونَ كُلَّهُ وَمِنْهُ : وَيَقْنِى وَجْهَ رَبِّكَ الْخَ . ( ٢١٣ و ٢١٤ ) ٠٠

وبالتأمل فيما ذكره ابن فارس في الصاحبى نجد أنه يفرق بين باب الحذف وباب المبالغة والمجاز ، فيذكر مثل الحذف ويجعلها من الحذف ، ويذكر مثل المبالغة كليل فائم ويجعلها من وصف الشيء بما يقع فيه أو يكون منه ٠

• وابن فارس في هذا جد دقيق متبحر للصواب فيما يرى ويقول ٠

### ● ابن الأثير والمجاز الفقلي :

كذلك لم يعرض ابن الأثير في المثل السائر للمجاز العقلى ، وأما جعل المجاز ثلاثة أقسام : توسيع في الكلام وتشبيه واستعارة :

فالتوسيع يكون العدول فيه عن الحقيقة إلى المجاز لغير مشاركة بين المنقول والمنقول إليه لطلب التوسيع في الكلام ، وهو ضربان :

١ - ما يرد على وجه الاضافة واستعماله قبيح ، لبعد ما بين المضاف والمضاف إليه ، وذلك لأنّه يلتحق بالتشبيه المضمر الأداة ، وإذا ورد التشبيه ولا مناسبة بين الطرفين ، كان ذلك قبيحاً مثل بح صوت المال وماء الملام ٠

٢ - ما يرد على غير وجه الاضافة ، وهو حسن لا عيب فيه مثل : قالتا أتينا طائعين ، فنسبة القول الى السماء من باب التوسيع ، لأنهما جماد لا ينطق ، وعلى هذا ورد مخاطبة الطلول ٠٠٠ وهذا النوع الثاني قريب من أسلوب المجاز العقلى ، وابن الأثير يعدد من التوسيع الذى هو قسم من أقسام المجاز ٠

### • عبد القاهر والمجاز العقلى :

ليس عبد القاهر أول من تكلم على أسلوب المجاز العقلى ، فقد تقدمه كثير من العلماء : كسيبوه والمبرد والأمدى وابن فارس ٠٠ وفي هذا ما يبطل الرأى القائل بأن المجاز الحكيم - العقلى - من ابتداع عبد القاهر وحده ، وهو رأى ذهب اليه الدكتور طه حسين في مقدمته لكتاب نقد النثر ٠

وبلاعه المجاز العقلى كما فهمها عبد القاهر سبق الى بيانها باختصار وفي خفية المبرد والأمدى ٠

وجملة ما ذكره عبد القاهر في كتابه الأسرار والدلائل عن المجاز العقلى ٠٠ هي :

١ - اثبات وجود المجاز العقلى وبيان سر الفروق بينه وبين المجاز في الكلمة ٠

٢ - بيان أن المجاز في الإثبات عقلى وفي الكلمة المثبتة لغوى ٠

٣ - بيان حد هذين النوعين من المجاز (المجاز الحكيم والمجاز في المفرد ) ٠

٤ - بيان القرية على التجوز في المجاز العقلى وأفرق بينه وبين الأحاديث الكاذبة ٠

هـ - الكلام على بلاغة المجاز العقلى ودرجاته في البلاغة - من العامة والخاصية - وأن تقدير الحقيقة في الاسناد المجازى قد لا يتأتى فى الأسلوب ، وتوسيع سرقة الأساليب الخاصية فى المجاز العقلى ، وتأويل نظرية علماء النحو التى يذهبون فيها الى أن أسلوب المجاز الحكمى على تقدير مضارف ، والدفاع عن بلاغة المجاز الحكمى التى يهتضمها مثل هذا التقدير الحائف والتأويل البعيد .

وهذه الآراء مبسوطة في كتابي « عبد القاهر ، والبلاغة العربية » بسطاً وافياً ، فليرجع إليها من أراد .

### ● الراغب الأصفهانى والمجاز العقلى :

أكثر الأسباب التي يحتاج العمل إليها في وجوده كما يقول الراغب عشرة : فاعل يصدر عنه كالنجار وعنصر يعمل فيه كالخشب وعمل كالنجر ، وزمان ومكان يعمل فيما ، وآلية يعمل بها كالنجر ، وغيره قريب كاتخاذ النجار ، وغيره بعيد كتحصين البيت به ، ومثال يعمل عليه ويقتدى به ، ومرشد يرشده .. وكل قد ينسب إليه الفعل فيقال أعطاني زيد اذا باشر الاعباء ، وأعطاني الله لما كان هو الميسر له وربما جمع بين البين : البعيد والقريب فيقال : أعطاني الله وزيد ، قال الشاعر :

حيانا به بجدا والله وضرب لنا أخذم صارم

. فنبيب إلى الأول وهو الله والتي هيسبب التأخر وهو الضرب والى المتوسط وهو الجد .. وقال : الله يشوفني الأنفسى حين موتها ، فأنسد إلى الأمر به ، قلي يتوفاكم ملك الموت ، فأنسد إلى المباشر له ، وقال الشاعر : وألبسني الحالكى .. وقال : كسامهم محرق<sup>(١)</sup> . فنسب

(١) للحسين المرى ( راجع ص ١٩ من المفضليات ) .

ال فعل الى عاملها وفى الثانى الى مستعملها ، وقال فى صفة ببال : كستها ريشها مضرحية . فنسب كسوتها الى الطائر الذى أخذ ريشه بجعل لها : وقيل يذاك أوكتا وفوك فنخ ، فنسب الفعل الى الآلة المنصلة .

ويقال سيف قاطع فنسب الى الآلة المنصلة . وقيل ضرب قاطع وطعن جائف فنسب الى الجدث . وسر كاتم وعيشة راضية ، فنسب الى المفعول . وقال تعالى : حرماً آمناً . فنسب الى المكان . وقيل يوم صائم وليل ساهر ، وما ليل المطى بنائم ، فنسب الى الزمان . ولما كانت افعالنا على ذلك صح في الفعل الواحد أن ينسب الى أحد الأسباب مرة وينفي عنه مررة بنظررين مختلفين . وقال :

أعطيت من لم تعطه ولو اتفضى حسن اللقاء حرم من لم تحرم

فأثبتت له الفعل ونفاه عنه بنظررين مختلفين . وهذا قبيل من تأمله لم يعتمد في تبييت المعانى على مثلها من الألفاظ فينظر من النقطة إلى المعنى ، بل ينظر في مثل هذا من المعنى إلى اللفظ . ومن أجل هذا قال قوم من المحصلين لا فاعل في الحقيقة لأى شيء من الأفعال إلا الله تعالى فإنه فعله يستغنى عن الزمان والمكان والمادة ، ومن عداته من الفاعليات فإن له من كل ذلك أو بعضه ، ولهذا لا يصح أن ينسب الابداع إلى غيره تعالى لا حقيقة ولا مجازاً ويصح أن ينسب فعل الله تعالى إلى كل ما يقدم ذكره ( ١٨٠ بـ ١٨٢ الدريعة إلى مكارم البشرية ) .

وبهذا نرى أن الراغب ينفي المجاز العقلى . كافة ، ولكن في نظرى أنه إنما ينظر إلى المعانى كما قال في آخر كلمته ، وفيوجه الألفاظ حتى دلالتها إلى ما يقتضيه المعانى ، ولا ينظر إلى النظم والأسلوب وكيفية أدائه للمعنى من حقيقة أو مجاز ، فهو عن هذا في واد بعيد . وشاغل .

## ● صاحب المصباح(١) وأسلوب المجاز العقلى :

وقد تأثر بدر الدين في كتابه في بحث المجاز العقلى بالسكاكى :  
قال : المجاز العقلى هو الكلام المزال استناده عما هو له عند المتكلم الى غيره بضرب من التأويل والمراد بما الاسناد له عند المتكلم ما يعتقد قيام الفعل به أو صدوره عنه ، ولم أقل بغير العقل لأننا لم نرهم يحملون نحو « أشاب الصغير البيت » على المجاز ما لم يعلموا أو يظنووا صدوره عن غير جهل ، أو ما ترى كيف استدلوا على أن اسناد « ميز » الى الجذب في قوله :

ميز عنه فنزعا عن قنزع جذب الليالي أبطئ أو أسرعنى

مجاز بأن أتبעה قوله : « أظفانه قيل الله الخ » الشاهد لزراحته أله يزيد الظاهر ، وقولي بضرب من التأويل مخرج للكلذب . وسمى هذا الضرب مجازاً عقلياً لتبعدي الحكم فيه عن مكانه الأصلي من غير تغيير للوضع . ومن شرط هذا المجاز أنه يكون للمسند إليه شبه بالمتروك في تعلقه بالعامل (٦٩ و ٧٠ المصباح ) .

فهو يثبت المجاز العقلى ويفسره ويبين شروطه ويفرق بينه وبين الكذب .

## ● حسن التوسل في صناعة الترسل » والمجاز العقلى .

وهذا الكتاب متأثر في بحث أسلوب المجاز العقلى بعد القاهر ، قال : المجاز مفعول من جاز يجوز اذا قدها . فإذا عدل باللفظ عما يوجهه أصل اللغة وصف بأنه مجاز يعني أنهم قد جاؤوا فيه بوضعه الأصلى أو جاز هو مكانه الذى وضع فيه أولاً لأنه ليس بموضع أصلى لهذا

---

(١) هو بدر الدين بن ملك المتوفى عام ٦٤٩ هـ .

اللفظ ولكنه مجازه ومتعداه يقع فيه كالواقف بمكان غيره ثم يتعداه إلى مكانه الأصلي<sup>(١)</sup> .. وحدهما - الحقيقة والمجاز - في المفرد : أن كل كلمة أريد بها ما وضعت له فهي حقيقة (١١٧ المرجع المذكور) كالأسد للحيوان واليد للجراحة ، وإن أريد بها غيره لمناسبة بينها فهي مجاز كالأسد للشجاع واليد للنفع أو القوة ، وحدهما في الجملة : أن كل جملة كان الحكم الذي دلت عليه كما هو في العقل فهي حقيقة مثل خلق الله الخلق ، وكل جملة أخرجت الحكم المقاد بها عن موضعه في العقل لضرب من التأول فهي مجاز ، كما إذا أضيف الفعل إلى شيء يضايقه الفاعل كالمفوع به في عشية راضية ، أو المصدر في شعر شاعر ، أو الزمان في ليله نائم ، أو المكان في طريق سائر ، أو المسبب في يني الأمير المدينة ، أو السبب في وإذا تلقيت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، فمجاز المفرد لغوي ويسمى مجازا في المثبت . ومجاز الجملة عقلي ويسمى مجازا في الأثبات ، فالمجاز قد يكون في المثبت وحده مثل : فاحسينا به الأرض بعد موتها ، وقد يكون في الأثبات وهو أن يضيف الفعل إلى غير الفاعل الحقيقي كما ذكرنا ، وقد يكون فيما جمعنا كقولك آنسستي رؤيتك أى سرتى فجعل المرة حياة ، وأسبدها إلى الرؤية وهو مجاز في الأثبات (١١٨ حسن التوسل) .

(١) ذلك مأخذ من عبد القاهر وقد سبق ابن فارس في كتابه « الصاحبي » إلى بيان ذلك قال : « باب سنن العرب في حقائق الكلام والمجاز » : الحقيقة من حق الشيء إذا وجب . وهي الكلام الموضوع موضعه ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم فيه ولا تأخير ، تقول القائل « أحمد الله على نعمه واحسانه » وهذا أكثر الكلام . وأما المجاز فمأخذ من جاز يجوز إذا استثنى ماضيا ، تقول جاز بنا فلان وجاز علينا فارس ، هذا هو الأصل ثم تقول يجوز أن تفعل كذا أى تنفذ ولا يرد ولا يمنع ، وتقول عندنا دراهم وضيق وزنة وأخرى تجوز جواز وزنة ، أى هي وإن لم تكن وزنة فهي تجوز مجازها وجوائزها لقربها منها ، فهذا تأويل قولنا مجاز ، أى أن الكلام الحقيقي يمضي لسفته لا يتعارض عليه أو قد يكون غيره يجوز جوازه لقربه منه إلا أن فيه من تشبيه واستعارة ما ليس في الأول ، ( ١٦٧ - ١٦٩ الصاحبي ) .

## • الزمخشرى والمجاز العقلى :

قال فى الكشاف فى تفسير الآية الكريمة « ختم الله على قلوبهم » ما نصه : ويجوز أن يستعار الاسناد نفسه من غير الله له فيكون الختم مستندا الى الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة ، تفسير هذا أن لل فعل ملابسات شئ يلبس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان بـ المكان والمتسبـ له فـ اسنـادـهـ الىـ الفـاعـلـ حـقـيقـةـ ،ـ وـقـدـ يـسـنـدـ الـىـ هـذـهـ الـأـشـيـاءـ عـلـىـ طـرـيقـ الـمـجـازـ الـمـسـمـىـ اـسـتـعـارـةـ وـذـكـرـ لـمـضـاهـاتـهـاـ الفـاعـلـ فـىـ مـلـابـسـتـهـ الـفـعـلـ (١)ـ كـمـاـ يـضـاهـىـ الرـجـلـ الـأـسـدـ فـىـ جـرـاءـتـهـ فـيـسـتـعـارـ لـهـ اـسـنـهـ ،ـ فـيـقـالـ فـىـ المـفـعـولـ بـهـ :ـ عـيـشـةـ رـاضـيـةـ وـمـاءـ دـافـقـ وـفـىـ عـكـسـهـ :ـ سـيـلـ مـفـعـمـ وـفـىـ المـصـدـرـ شـعـرـ شـاعـرـ وـذـيـلـ ذـائـلـ وـفـىـ الزـمـانـ نـهـارـهـ صـائـمـ وـلـيـلـهـ قـائـمـ ،ـ وـفـىـ الـمـكـانـ طـرـيقـ سـائـرـ وـنـهـرـ جـارـ ،ـ وـأـهـلـ مـكـةـ يـقـولـواـنـ :ـ صـلـىـ الـقـامـ ،ـ وـفـىـ الـمـسـبـ بـنـىـ الـأـمـيرـ الـمـدـيـنـةـ ،ـ وـقـالـ الشـاعـرـ :ـ إـذـاـ دـدـ عـافـىـ الـقـدـرـ مـنـ يـسـتـعـيـرـهـاـ .ـ فـالـشـيـطـانـ هـوـ الـخـاتـمـ فـىـ الـحـقـيقـةـ أـوـ الـكـافـرـ إـلـاـ أـنـ اللـهـ لـمـ أـقـدـرـهـ وـمـكـنـهـ أـسـنـدـ إـلـيـهـ الـخـشـمـ كـمـاـ يـسـنـدـ الـفـعـلـ إـلـىـ الـمـتـسـبـبـ .ـ

وقال فى الآية الكريمة : « فـما رـبـحتـ تـجـارـتـهـمـ » ما نصه : قـانـ قـلتـ كـيـفـ أـسـنـدـ الـخـسـرـانـ إـلـىـ التـجـارـةـ وـهـوـ لـأـصـحـاحـهـاـ .ـ قـلتـ :ـ هـوـ مـنـ الـاسـنـادـ الـمـجـازـيـ وـهـوـ أـنـ يـسـنـدـ الـفـعـلـ إـلـىـ شـئـ يـتـلـبـسـ بـالـذـىـ هـوـ فـىـ الـحـقـيقـةـ لـهـ كـمـاـ قـلـبـسـتـ التـجـارـةـ بـالـمـشـتـرـيـنـ .ـ

---

(١) فالزمخشر يجعل هذا مجازا فى الاسناد على تشبيه الفاعل غير الحقيقى بالفاعل الحقيقى فهو عنده كالاستعارة فى التشبيه والعلاقة . . فهو ينظر الى المجاز فى الاسناد من جهة الفاعل غير الحقيقى وانه على تشبيهه بالفاعل الحقيقى .

## • الشهاب الخفاجي وأسلوب المجاز العقلى :

جاء في طراز المجالس للشهاب الخفاجي م سنة ١٥٦٩ هـ ما نصه :

قال الأبهري في شرح العضد : الفاعل لابد أن يكون سبباً قابلياً لفعله ليصبح الأسناد إليه لغة ، فإذا أُسند فعل إلى ما لا يكون سبباً قابلياً له يجعل مجازاً عن فعل آخر مناسب (١) له يكون الفاعل قابلياً (٢) له ، ويكتفى في هذا التسبب أن يعد الفاعل سبباً قابلياً له في عرف العرب وعادتهم ولا يجب أن يكون محللاً له في الحقيقة ، فانهم لا ينظرون في الأسناد إلى ذلك ، ويررون جهة الأسناد — في نحو : سرقني رؤيتك وما زيد وضرب عسر وـ واحدة من حيث أن الفاعل فيها سبب قابل لأفعاله عادة وإن كان موجدها هو الله حقيقة ، فقول الشيخ عبد القاهر : « الأسناد في سرني رؤيتك مجاز اذ فاعله في الحقيقة هو الله والمعنى سرني الله عند رؤيتك ، وفي الآخرين حقيقة » بعيد لأن موجد الضرب أيضاً هو الله لما ثبت من قاعدة خلق الأفعال ، وكذا محدث الموت اتفاقاً لكن العرب لا يخطر ببالهم عند اسناد الضرب إلى عمرو والمسرة للرؤبة إن فاعلها غير المذكور . قال الشهاب ، وهذا كلام دقيق ، ولكن فيه بحث من وجهين :

١ - كيف يتم قوله : إذا أُسند فعل إلى ما لا يكون سبباً قابلياً أنه يجعل مجازاً عن فعل آخر مناسب له يكون الفاعل قابلياً له ، فإنه يقتضي أنه لو أُسند إلى الموجد الحقيقي تخلق الله السموات والأرض يكون مجازاً وهذا يأبه العقل والنقل ، وكون هذا لا بد فيه من التجوز في الفعل أيضاً لا وجه له لتجاوز التجوز في الأسناد ، فما وجہ الحصر ؟

(١) هو هنا يجعل الأسناد غير حقيقة ، ويُوَلِّ المجاز فيجعله في الفعل ، من حيث أول الزمخشري يجعله في الفاعل ، وعبد القاهر والسكاكى والخطيب يجعلوه في الأسناد .

(٢) يرد عبد القاهر في الآسرار على نظرية أن المجاز في الفعل وحده ردًا مفصلاً

٤ - كيف يشترط في الأسناد المحققي أن يكون الفاعل سبباً قابلياً، دائماً في اللغة • بناء على أن الفاعل اللغوي غير الفاعل المحققي ، مع أن اللغة واستعمال العرب يشهد بخلافه في مواضع كثيرة : منها ما ذكر من الأسناد للموجود ، ومنها أن الفعل يوضع للإعدام الصرف كفقد وع عدم وقد يسند للرجل حقيقة ما يقبله غيره ويقوم به مثل قطف ، وهذا كلّه يقتضي أن الحقيقة والمجاز • يدوران على اعتبار اللغة ومواضعها •

والذى تحرر عندي وهو ما رد به الابهري : أن الفاعل الواقع في التخاطب لا سبباً في اللسان العربى هو من تلبس بالفعل وقام به أو كان سبباً قابلياً عادياً في الإثبات ، أو ما هو في حكمه ، وليس هذا على الإطلاق بل إذا كان الشيء موجوداً وفاعلاً حقيقياً • وكان له أمر آخر قام به أو نسب له على الوجه المذكور فإنه يسند حقيقة إلى الثاني دون الأول ، فإن لم يكن إلا الأول كخلق الله السموات يسند حقيقة الن موجود وإنما الكلام وم محل النزاع هو الأول ، ثم السبب القابل ليس المراد به ما هو كذلك حقيقة بل هو وما جرى مجرى ، ولذا عول فيه على عادة العرب في عرف تخاطبهم ، ومن كان له دراية وطالع أساس البلاغة للعلامة وفقه اللغة للتعالى وقف على سر هذا ( ٢٠٤ - ٢٠٦ طراز المجالس ) •

\* \* \*

## • والخلاصة :

أن أسلوب المجاز العقلى قد اختلف فيه العلماء :

١ — فسيبويه ومن تابعه يقولون : هو على تقدير محنوف —  
قام ليلي أى نمت فى ليلي .

٢ — وأناس يقولون : المجاز فى الفعل وحده وهو « قام » .  
 فهو فيه المجاز لغوى لا غير ، ويرد عبد القاهر هذا الرأى ردًا مطولا  
في كتابه « الأسرار » . ولكن الأبهري اتخد ذلك مذهبًا فى شرحه على  
العهد ، ورد على ذلك الخفاجي فى « طراز المجالس » .

٣ — وآخرون يقولون : المجاز فى الفاعل وحده وأنه على شبئه  
بالفاعل الحقيقى ، وعبد القاهر يرد على ذلك ، ولكن الزمخشري يلوح  
كلامه باعتقاده هذا الرأى ، والسكاكى ذهب إليه وحده ، وجعله مذهبًا  
له فى التخلص من المجاز العقلى .

٤ — وعبد القاهر يرى أن المجاز فى الاستاد ، وأن شبئه الفاعل  
غير الحقيقى بالفاعل الحقيقى إنما هو عبارة على العلاقة فى هذا  
التجاوز العقلى وأن تقدير المضاف فى أسلوب المجاز العقلى صار  
كالشريعة المنسوخة ، فهو غير منظور إليه الآن .

ولاشك أن رأى عبد القاهر هو أمثل هذه الآراء فى فهم بلاغة  
هذا الأسلوب .

\* \* \*

## حول المجاز العقلى

١ — الحقيقة العقلية والمجاز العقلى عند الخطيب من صفة الاستاد  
لا الكلام ، حيث قال : « ثم الاستاد منه حقيقة عقلية ومجاز عقلى »  
لأنه المتصف بالحقيقة والمجاز فى الواقع هو ما تسلط عليه التصرف

العقلى وهو الاستناد ، فاتصاف الكلام بهما بالتبغ للأمر العقلى وهو الاستناد ، واتصاف الاستناد بهما بطريق الأصالة ، فجعل الاستناد معروضاً لهما .. وذلك أولى — لكون ذلك **بالأصالة** — من جعل الكلام معروضاً لهما لأن ذلك بالتبغ ، وكلام الزمخشري مؤيد الخطيب . أما السكاكي فجعلهما صفتين للكلام حيث قال : « **المجاز العقلى** هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم **الخ** » ، والحقيقة العقلية هي الكلام المفاد به ما عند المتكلم **الخ** » .

أما كلام عبد القاهر من قوله : « **مجاز واقع في الاتبات** » وقوله « **الاضافة في الاسناد كاسناد في الفعل** » ، فظاهره أن المتصف بذلك هو الاستناد . ولكن قوله في حد الحقيقة في الجملة : « **كل جملة وضعتها على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه فهو حقيقة** » ، وفي حد المجاز العقلى فيها : « **فك كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه في العقل لضرب من التأويل فهو مجاز** » ، وقوله « **لا يجوز الحكم على الجملة بأنها مجاز الا بأحد الأمرين** » ، كل ذلك يوهم أنهما عنده صفتان للكلام لا للإسناد .

ولكن الحق أن عبد القاهر يجعلهما وصفاً للإسناد بالذات فإذا وصف بهما الكلام فإعتبر اشتتماله على الإسناد ، فرأيه مؤيد لما سبق عن الخطيب ، وهذا ظاهر مما نقله ابن الحاجب في رأي الشيخ عبد القاهر أيضاً ، من أنه يجعلهما وصفاً للإسناد ، كما أن ذلك هو رأي جمهور علماء البلاغة ، ولكن السعد يرى أن عبد القاهر يجعلهما وصفاً للكلام كصاحب المفتاح ، والحق أن السعد في ذلك قد وهم بظاهر بعض كلام عبد القاهر ، فالحق أن عبد القاهر يرى أنهما وصفان للإسناد . ثم قال السعد : « **قال الخطيب : وإنما اخترنا أنهما صفة للإسناد لأن نسبة الشيء الذي يسمى حقيقة أو مجازاً إلى العقل على هذا لنفسه بلا واسطة وعلى قولهما ( عبد القاهر والسكاكي ) لا اشتتماله على ما يناسب إلى العقل أعني الإسناد ، يعني الخطيب أن**

تسمية الاسناد حقيقة عقلية انما هي باعتبار أنه ثابت في محله ومجازاً باعتبار أنه متتجاوز إيه والحاكم بذلك هو العقل دون الوضع لأن اسناد الكلمة الى الكلمة شيء يحصل بقصد المتكلم دون واضح اللغة . فإن ضرب مثلاً لا يصير خبراً عن زيد بواضع اللغة بل بمن قصد اثبات الضرب فعلاً له وإنما الذي يعود إلى الواضح أنه لاثبات الضرب دون الخروج وفي الزمان الماضي دون المستقبل<sup>(١)</sup> فالاسناد ينسب إلى العقل بلا واسطة والكلام ينسب إليه باعتبار أن اسناده منسوب إليه » . فالسعد يثبت هنا أمرين :

١ - أن المجاز في الاسناد عقلي وكذلك الحقيقة في الاسناد عقلية .

٢ - أن المجاز والحقيقة العقلين راجعان إلى الاسناد .

فالخلاصة أنها وصفان للإسناد إلا عند السكاكي على أن كلام السكاكي ربما أمكن تأويله ، أفلًا تراه يقول : المجاز العقلي هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل والحقيقة هي الكلام المفاد به ما عند المتكلم من الحكم فيه فيجعل مناطهما الحكم ( وهو الاسناد ) ، وسيسميه — تبعاً لعبد القاهر — أحياناً مجازاً حكيمياً ومجازاً في الأثبات ، أفلًا يدل ذلك على أن السكاكي يعتبر التجوز إنما هو أولاً في الاسناد ، فيكون على هذا وصفاً له ، قال السبكي : بل لا يصح من جهة المعنى إلا ذلك .

الحق أن جمهور علماء البلاغة على أن المجاز والحقيقة العقلين إنما هما وصف للإسناد ، وما يوهمه كلام السكاكي فهو قول ، وتأويل ما يوهمه عبد القاهر في ذلك أظهر في باب التأويل إذ لا يحتاج في تأويله إلى دليل .

(١) راجع ٣٥٥ و ٣٥٦ أسرار .

٢ - ذكر الخطيب المجاز العقلى فى علم المعانى وذكره السكاكي فى علم البيان . أما حجة الخطيب فهى أن المجاز العقلى داخل فى تعريف علم المعانى لا البيان فكأنه مبني على أنه من الأحوال المذكورة فى تعريف المعانى كالتاكيد والتجريد عن المؤكdas ، فهو من أحوال اللفظ - بواسطة أنه من أحوال الاستناد - التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال ، قال السعد : « وفيه نظر لأن علم المعانى إنما يبحث عن الأحوال المذكورة من حيث أنها يطابق بها اللفظ مقتضى الحال وظاهر أن البحث فى الحقيقة والمجاز العقليين ليس من هذه الحقيقة - والا لو . كافا من الأحوال المعمودة لذكر المصنف الحال التي تقتضى الحقيقة والمجاز كما ذكر فى غير من المباحث الآتية - فلا يكون داخلا فى علم المعانى والا فالحقيقة والمجاز اللغويان أيضا من أحوال المسند أو المسند إليه » ، هذا اعتراض قوى من السعد ، تخلص منه بعض العلماء بحججة واهية وهى أن الخطيب إنما ذكر المجاز والحقيقة العقليين هنا على طريق الاستطراد لا غير أى لا لمناسبة .

أما حجة السكاكي فى ذكرهما فى علم البيان قوية ، قالوا : لما كان علم البيان موضوعاً لبيان ما يعرف به كيفية ايراد المعنى الواحد بطريق مختلفة فى وضوح الدلالة واختلاف الطرق يكون بالحقيقة والمجازية فى الجملة ، أوردهما فى علم البيان ، ولكن الخطيب - كما سبق - راعى أنهما من أحوال الكلام المقيد ، باعتبار عروضهما لاستناده الذى به صار مقيدا ، والكلام المقيد تراعى فيه المعانى الرائدة على أصل المراد ليطابق بها الكلام مقتضى الحال ، بخلاف الحقيقة والمجاز اللغويين فليسما من أحوال الكلام المقيد بل من أحوال أجزائه ، والمقيد من حيث أنه مقيد بالاستناد هو المعروض للمعانى الزائدة على أصل المعنى المراد ليطابق بها مقتضى الحال كما تقدم .

قال ابن يعقوب : لكن يرد على هذا أنهما إنما يكتفىان من علم المعانى إن ذكرها فيه من حيث المطابقة لمقتضى الحال ، ولم يذكرها فيه

من تلك الجهة والحقيقة، بل من حيث تفسيرها وذكر أقسامها، وقد يجاب عن هذا بأن تصور حقيقتهما يدرك معه بسهولة ما يذكر في علم المعانى من كيفية الاستعمال للمطابقة لقتضى الحال لأنه اذا علم أن المجاز يفيد تأكيد الملائمة علم أنه لا يعدل اليه عند اقتضاء المقام لذلك التأكيد مثلا فكانه ذلك ولم يصرح به لووضحه .

الحق مع السكاكي في عدهما من علم البيان، وما قيل عن عدهما في المعانى تكلف محسن، ولاين السكاكي رأى غريب في توجيه حجمه السكاكي في عدهما من البيان، قال : جعلهما السكاكي في علم البيان لأنه كان ينكر هذه الحقيقة وهذا المجاز فلذلك ذكرهما ثم .

٣ - المجاز والحقيقة العقليان وصف للإسناد مطلقا سواء كان خيرا أو اشائيا ولهذا قال الخطيب « نم الإسناد منه حقيقة غقلية الخ » فأتى بالأسم الظاهر دون الضمير - وإن كان المحل للضمير حيث كان السياق أذن يقول ثم منه - لئلا يتوجه عوده على الإسناد المقيمة بالخبر في قوله « أحوال الإسناد الخبري »، وارتکاب الاستخدام في الكلام خلاف الأصل »، ولا يرد أذن المعرفة إذا أعيدت بلفظ المعرفة كانت عين الأولى فما لزم على الاتيان بالضمير لازم على الاتيان بالأسم الظاهر ، لأنـا . نقول ليس هذا كليا بل مقيد بما إذا حلا عن قرينة المغايرة . ومما يدل على أن المراد الإسناد مطلقا الأمثلة الآتية من نحو : « يا هامان ابن لى صرحا » . وليس المراد خصوص الخبرى كما قد يتوجه من كون البحث في الإسناد الخبرى .

والحقيقة والمجاز العقليان يقتضى ذكرهما في الإسناد الخبرى وجعلهما وصفا للإسناد مطلقا - اشائيا كان أو خيرا - اختصاصهما بالإسناد التام ، لأن الإشاء والأخبار وصفان له . مع أنهما لا يختصان بالإسناد التام بل يكونان في الإسناد الناقص كما في إسناد المصدر للفاعل وللمفعول به مثل أعجبنى ضرب زيد وجرى النهر وأعجبنى انبات الله البقل أو انبات الربيع البقل .

وأجاب الحفيid بأن المراد بالانشائى والاخبارى الاسناد فى الجملة الانشائية والاخبارية سواء كان تاماً أو ناقصاً فتناول ما ذكر ، فالمراد باسناد مطلق النسبة مجازاً مرسلاً من اطلاق المقيد على المطلق فان الاسناد هو النسبة التامة واستعمل فى مطلق النسبة : تامة كاسنادية أم غير تامة مثل الاضافية والايقاعية . وأجاب المطول بأن المراد بالاسناد أعلم من أبن يكوفن صريحاً أو مستلزماً .

قال الخطيب : والمجاز العقلى غير مختص بالخير بل يجري فى الانشاء ، كقوله تعالى : « يا هامان ابن لى صرحاً » وقوله تعالى : « فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحاً » وقوله تعالى : « ولا يخرجنكم من الجنة فتشقى » . وقد سبق الى ذلك السكاكي (١٦٩ المفتاح) .

وقال السعد نقلاب عن السكاكي : لما كان تقييده بالمجاز فى الايات وايراده فى أحوال الاسناد الخبرى يوهم اختصاصه بالخبر لأن الايات لا يتحقق فى الانشاء اذ الايات يقابل الاتزان ، وكل منهما حكم ، ولا حكم فى الانشاء لأنها من قبيل التصورات ، قال الخطيب وهو غير مختص بالخبر بل يجري فى الانشاء كما فى « يا هامان ابن لى صرحاً » أى قصراً عالياً .

. فالمجاز العقلى يدخل فى الخبر ، ويدخل فى الانشاء ويظهر ذلك فى دخوله فى أنواع الانشاء الآتية :

- ١ - الأمر .
- ٢ - النهى .
- ٣ - الاستفهام عند ابن يعقوب لا السبكى .
- ٤ - أما النداء فلا تقدر على دخول المجاز العقلى فيه كما قال السبكى .

٥ - وأما غير الانشاء الطلبى : فالقسم لا تكاد تقدر عليه كما ذكره السبكى ، والعلاقة فى المجاز العقلى فى الانشاء كما هي فى الخبر ، فقد تكون أسلوبية مثل ابن لى صرحاً أو المكانية مثل ليت النهر جار أو الزمانية مثل ليضم ليشك أو الآلة مثل لتنقطع السكين الخ .

؟ — وما سبق الاشارة اليه في الملاحظة السابقة نعلم أن المجاز العقلى أعم من أن يكون فى النسبة الاستنادية أو غيرها ، فكما أنه استناد الفعل الى غير ما حقه أنه يسند اليه مجاز ، فكذا يقتباعه على غير ما حقه أن يقع عليه ، واضافة المضاف الى غير ما حقه أنه يضاف اليه ، لأنّه جاز موضعه الأصلى ، فالمذكور فى الخطيب اما تعريفا اما تعريف للمجاز العقلى فى الاسناد خاصة او لمطلقه باعتبار أنه يجعل الاسناد المذكور فى التعريف أعم من أن يدل عليه الكلام بصرىحة كما مر أو يكون مستلزم له كما فى : « شقاق بينهما » فانه جمل البين شقاقا فى الآية ، وكما فى « مكر الليل والنهار » حيث جعل الليل والنهار ما كرر ، وكما فى يا سارق الليلة أهل الدار فانه جعل الليل مسرقة ، وكما فى « ولا تطع أمر المسرفين » ، حيث جعل الأمر مطاعا ٠٠٠ وكذا فيما جعل فيه الفاعل المجازى تميزا كقوله تعالى « أولئك شر مكافأ وأضل سبيلا » لأن التمييز فى الأصل فاعل ، قال السعد : واعلم أن المجاز العقلى قد يدل عليه صريحا كما مر ، وقد يكون كناية كما ذكروا فى قولهم « سل العموم » أنه من المجاز العقلى حيث جعل العموم مخزونه بقرينة اضافة التسلية اليها ، فافهم ولا تقصر المجاز العقلى على ما يفهم من ظاهر كلام السكاكي والخطيب ، وقال الدسوقي : المجاز العقلى والحقيقة يجريان فى الاضافة مثل أعجبنى جرى الماء فى النهر وجرى النهر ، وفي الايقاعية مثل فوamt ابني فى الليل فوamt الليل أى أوقعت النوم عليه ، فلا تختص الحقيقة والمجاز بالنسبة الاستنادية كما يوهمه كلام الخطيب ، لأنهما كما يجريان فى الاستنادية يجريان فى الاضافية وهى النسبة الواقعية بين المضاف والمضاف اليه ، وفي الايقاعية وهى نسبة الفعل للمفعول فان الفعل المتعدد واقع على المفعول أى متعلق به — ولكن يلاحظ أن ظاهر هذه يقتضى أن الايقاعية غير تامة مع أن نسبة الفعل للمفعول إنما تعتبر بعد التمام فكان الأولى الاقتصار على الاضافية الا أن يقال إنهم التفتوا الى نسبة الفعل للمفعول فى حد ذاته بقطع النظر عن نسبة

للفاعل ولا شك أنها غير تامة . فنحو أعجبنى جرى الأنهار من النسب  
الإضافية وهو مجاز عقلى وكذلك أعجبنى انبات الربيع البقل ، فهمسا  
مجازان في النسبة الإضافية لكن هذا اذا جعلت الإضافة بمعنى اللام  
وأما لو جعلت بمعنى فى فلا يكون مجازا بل حقيقة ، فلا بد من النظر  
لقصد المتكلم ونفس الأمر فإن كان ما قصده مناسبا بحسب نفس الأمر  
فحقيقة والا فمجاز . ومجرد مناسبة نوع من الإضافة لا يقتضى  
أن تكون حقيقة ما لم يقصده .

٥ - حديث المجاز العقلى أنه تجوز فى الاسناد كما قال  
الخطيب أو تجوز فى النسبة أعم من أن تكون اسنادا أو إضافة  
أو ايقاعا مصريا بها أو مكنية عنها كما رأى السعد ، فما الحكم  
إذا فى :

(أ) وصف الفاعل أو المفعول بالمصدر نحو رجل عدل ، فانما  
هي اقبال .

(ب) وصف الشئ بوصف محدثه وصاحبه مثل الكتاب الحكيم  
والأسلوب الحكيم ، فإن المبني للفاعل قد أنسد إلى المفعول لكن لا إلى  
المفعول الذى يلابسه ذلك المسند بـ فعل آخر من أفعاله مثل  
أنشأت الكتاب . فإن كلامه ظاهر فى أن المفعول الذى يكون الاسناد  
إليه مجازا يجب أذن يكون بما يلابسه ذلك المسند . وكذا ما أنسد  
إلى المصدر الذى يلابسه فعل آخر من أفعاله فاعله نحو الضلال  
البعيد فإن بعيد إنما هو الضلال وكذا العذاب الأليم فالألئيم هو  
المعذب فوصفت به فعله مثل جد جده ، كما في الكشاف وظاهر أن هذا  
المصدر مما يلابسه ذلك المسند .

أما الجواب عن الأول فقد قالوا : انه ليس بحقيقة ولا مجاز ،  
لأنه أنسداد إلى المبدأ — والاسناد إليه ليس بحقيقة ولا مجاز عند  
الخطيب — هذا بعيد ، والحق أقه مجاز ، كما ذهب إليه عبد القاهر

ومن سبقه : وكما يسليه النونق السليم ، قال عبد القاهر في الدلائل : « لم ترد بالاقبال والادبار غير معناهما حتى يكون المجاز في الكلمة وانما المجاز في أن جعلتها لكترة ما تقبل وتدبر كأنها تجسست من الاقبال والادبار ، فليس المراد تشبيهها بالاقبال حتى يكون تشبيها بليغا ، ولا المراد ذات اقبال ولو كان صحيح المعنى ، لأن ذلك يفيت المبالغة المقصودة للشاعر وهي كونها لكترة وقوع الاقبال والادبار منها صارت نفس كل منها » .

وأما الجواب عن الثاني فهو أن الملاسة أعم من أن تكون بواسطة حرف أو بدونها، ولهذه الصور من قبيل الأول لأن المعنى هو حكيم، في أسلوبه وكتابه بعيد في ضلاله وأليم في عذابه فيكون مما بني للفاعل، وأسند إلى المفعول بواسطة ، فهو داخل في المفعول ليكون استناد ما للفاعل له مجازاً لأنه لا يتوصل إليه ذلك المسند إلا بحرف فالمراذ بالمفعول ما يتوصل إليه فعل الفاعل بنفسه أو بحرف ، فهو مجاز عقلي علاقته المفعولية .. فالخلاصة أن الاستناد في :

(أ) الانسان حيوان ليس بحقيقة ولا مجاز عند الخطيب \*

(ب) هي أقبال وادبار مجاز عنيد عبد القاهر والمسكاكى وعنيد المسعد .

(ج) كتاب حكيم رده السعد إلى المجاز .

(د) نام ليلي أو ليلي نائم الاستناد فيه بمحاذ قطعا عند الجميع .

فالخطيب أخرج الاسناد الذى بين المبدأ والخبر عن أن يكون  
حقيقة أو مجازا ، ولذلك قال ثم الاسناد منه حقيقة ومنه مجاز ولم يقل  
اما حقيقة واما مجاز ، وذلك لأن المتبار من هذه العبارة فى تقسيم  
الأشياء هو الفصل الحقيقى (مانعة جمع وخلو معا ) أو المانع من  
الخلو اذ بأحدهما تصير الأقسام مضبوطة ، دون المانع من الجمع اذ لا

يعلم به عدة الأقسام قطعا ، فلو أوردت اما هنا لدلت على انحصر  
الاسناد في الحقيقة والمجاز والمصنف لا يقول به .

قال السبكي : قال الخطيب : اسناد ما ليس فعلا ولا متصلة  
يه لا يسمى حقيقة ولا مجازا مثل الانسان جسم ، وليس كما قال بل  
كل خبر فيه الاسناد وما ذكر يؤدي الى نفي الاسناد لأن من أثبت  
الحقيقة والمجاز العقلين فتقسيمه الاسناد اليهما منفصلة حقيقة مانعة  
جسح وخلو فكل اسناد ليس حقيقة ولا مجازا لا وجود له ، ومن وقف  
على حدی الاسناد الحقيقی والمجازی عرف ذلك ، ثم يقول : الانسان  
جسم فيه معنى الفعل باعتبار رجوعه الى الاسناد المعنوي كما قدروا  
في زيد أسد جرى ، وكذلك يقدر في الجميع .

هذا ويجعل ابن قتيبة مثل نبت البقل وطالع الشجرة من المجاز ،  
ومثل قوله في الغرابة كلام صاحب الذريعة من أنه ينفي المجاز العقلی  
كافة ، قال السبكي : وهم قولان غريبان آخذان بطرفی الافراط والتفریط  
والحق بينهما .

وقال الدسوقي : الظاهرية يزعمون عدم وقوع المجاز العقلی في  
القرآن كاللغوي لا يهم المجاز الكذب والقرآن منزه عنه . والرث  
عليهم أنه لا يهم مع القرينة .

وقال ابن السبكي : في أثبت الربيع البقل اذا لم يكن من كافر  
ولا كذبا أقوال :

- (أ) المجاز لغوى في أثبت وهو رأى ابن الحاجب .
- (ب) المجاز لغوى في الربيع وهو رأى السكاكي .
- (ج) المجاز عقلی في الاسناد وهذا رأى عبد القاهر والمصنف .
- (د) أنه تمثيل فلا مجاز فيه لا في الاسناد ولا في الافراد بل  
هو كلام أورد ليتصور معناه فينتقل الذهن فيه الى انبات الله تعالى  
وهو اختيار الامام فخر الدين . اتهمي كلام السبكي ، وفضييف اليه  
رأيا خامسا وهو أنه حقيقة ، وهو رأى صاحب الذريعة .

\* \* \*

## نشأة البيان العربي

١ - كان للعرب في حياتهم الأولى ذوق وفيهم طبع ، كانوا بهما في غنى عن الترجمة والتحليل والتوجيه والتعليق لأحكام النقد والأصول البيان العربي ومذاهبه ، وكذلك كانت أصول البيان بعيدة عن البحث والدراسة والتقرير .

وفي ظل الحياة الإسلامية اختلطت العناصر ، وتمازجت الثقافات ، فلقت العقول ، وأصابت الألسنة آثار من اللكتنة واللحن ، وأخذ أئمة العربية يعملون في صنف وعزمية في وضع أصول النحو العربي ، وجمع مواد اللغة العزيزة .. وصحب ذلك وتلاه دراسات أخرى تتناول البيان العربي وأصوله ومذاهبه بالبحث والتحليل ، وأخذت تسكون من تلك الدراسات النواة الأولى للبيان العربي ، وظل التقدم الفكري والنضوج الأدبي والعلمي يسير بهذه البحوث والدراسات نحو الكمال المنشود بخطوات كبيرة .. وكانت الثقافة البيانية تنمو حين ذاك بجهود ثلاث طبقات :

(أ) الأولى طبقة رواة وعلماء الأدب من البصريين والكوفيين والبغداديين ، من أمثال : خلف والأصمسي وأبي زيد وأبي عبيدة ويحيى بن نعيم وعمرو بن كركرة ، وأستاذهم أبو عمرو بن العلاء أعلم الناس بالعرب والعربية<sup>(١)</sup> ، ومن عامة الرواة الذين لا يقفون إلا على البليغ الساحر من الأساليب كما يقول الجاحظ دوان النحويين واللغويين والأخباريين الذين لم يتوجهوا هذا الاتجاه<sup>(٢)</sup> .. وبجوار هؤلاء أئمة الشعراء<sup>(٣)</sup> وغيرهم من الخطباء ورجال الأدب الذين شققا بالثقافة العربية .

(١) ١/٢٠٩ البيان .

(٢) ٣/٢٢٤ البيان .

(٣) ١/٥٤ البيان .

(ب) والثانية طبقة الكتاب الذين لم ير الجاحظ قوماً أ مثل طريقة في البلاغة منهم والذين التمسوا من الألفاظ ما لم يكن وحشياً ولا سوقياً<sup>(١)</sup>، ورأى الجاحظ البصر بهذا الجوهر من الكلام فيهم أعلم<sup>(٢)</sup>، وحكم مذهبهم في النقد<sup>(٣)</sup>، ومثلهم المعتزلة وفرق المتكلمين الذين رأهم الجاحظ فوق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير من البلغاء<sup>(٤)</sup> وكأن بعضهم من عناصر عربية وشققاً بثقافة أجنبية، والآخرون من عناصر أجنبية تيقنت بالثقافة العربية، مما كان له أثره في فهم أصول البيان وفي توجيه دراسته وبحوثه وفي الدعوة إلى آراء في الأدب توافقهم وعقليتهم، ويكان بعضهم يلقن مذاهب الأدبية العامة للتلاميذ وشدة الأدب، كما ترى في محاضرة بشر بن المعتزلي م ٢١٠ هـ في أصول البلاغة<sup>(٥)</sup>، والتي يقول الجاحظ عنها إن يشرا مر بابراهيم بن جبلة بن مخرمة<sup>(٦)</sup> وهو يعلم الفتياًن الخطابة فوقف بشر فظن ابن ابراهيم أنه إنما وقف ليستفيه فقال بشر : اضربوا عما قال صفحات ثم دفع إليهم صحيفة من تحريره وتنميته في أصول البلاغة وعنابر البيان<sup>(٧)</sup>، ومن رجال هذه الطبقة : أبو العلاء سالم مولى هشام وعبد الحميد الكاتب أو الأكبر كما يقول الجاحظ<sup>(٨)</sup> وابن المقفع وسهل ابن هروان<sup>(٩)</sup> والحسن والفضل<sup>(١٠)</sup> ابن سهل ويحيى البرمكي وأخوه

(١) ١/١٠٥ البيان .

(٢) ١/٢٤٠ البيان .

(٣) ١/١٠٦ البيان .

(٤) ١/١٠٤ وما بعدها البيان ، ٢٢٨ وما بعدها صناعتين .

(٥) يعدد الجاحظ من الخطباء النسراً ١/٥٥ البيان .

(٦) ولبستر كتاب في نظم كليلة ودمنة .

(٧) ١/١٥١ البيان .

(٨) كان سهل يقول : سياسة البلاغة أشد من البلاغة ( ١/١٤٤ البيان ، ٣/٣٢ العقد ) .

(٩) ذكر الحضرى كثيراً من بلاغته ( ١٦ - ١٩ ج ٢ زهر ) .

جعفر<sup>(١)</sup> وأبيوب بن جعفر وأحمد بن يوسف وعمر بن مساعدة<sup>(٢)</sup>  
وابن الزيات وسوادهم .

وكان لهذه الطبقة أقرها في بحث عناصر البيان وبلاطه الكلام .  
ونستطيع أن نعرف آثار هاتين الطبقتين في دراسات البيان بالرجوع  
إلى آرائهم المشوّبة في شتى أصول الأدب ، والتي يمكننا أن نذكر لك  
هنا طرفاً منها ، وإن شئت فاقرأ جواب صحار لمعاوية حين سأله عن  
البلاغة<sup>(٣)</sup> ، ويروى قبل هذا بكثير أنه عامر بن الظرب سأله حممة بن  
رافع من أبلغ الناس ؟ . فقال ، من حل المعنى المزدوج باللفظ الوجيز  
وطبق المفضل قبل التحرير<sup>(٤)</sup> واقرأ تحديد المفضل الضبي للايجاز<sup>(٥)</sup> ،  
وتفسير ابن المقفع للبلاغة<sup>(٦)</sup> ، وحوار الشمرى لعمرو بن عبيد فى  
البلاغة<sup>(٧)</sup> ، وتعريف الأصمى للبلية<sup>(٨)</sup> ، ورأى إبراهيم بن محمد  
فى البلاغة<sup>(٩)</sup> ، وتعريف جعفر البرمكي للبيان<sup>(١٠)</sup> ، وتعريف العتابى  
للبلاغة<sup>(١١)</sup> ، وتفصيل الجاحظ لرأيه<sup>(١٢)</sup> ، وصف الرشيد للبلاغة<sup>(١٣)</sup> ،  
ورأى شبيب بن شيبة فى تفضيل بلاغة جودة القطع أو القافية على جودة  
الابتداء<sup>(١٤)</sup> ، ووصف ابن المقفع كلام الأعراب<sup>(١٥)</sup> ، الذين أعجب

(١) وصف الجاحظ بلاغته وأشاد به (١/٩١ والـ ٨٥) ، (١/٩١) البيان ،  
زهو ) وكان يؤثر الایجاز (١/٨١) البيان ، (١/١٧٧) الكامل ) ، ونوه به  
سهيل بن هرون (٢/١١ زهر) .

(٢) نوه المأمون ببلاغته (٣/٢٦٤ زهر) .

(٣) (١/٨١) البيان ، وراجع (٢/١٨) الكامل .

(٤) (٢/٢١٦) العمدة ، (٢/٢٨٠) الأمالي للقالى .

(٥) (١/٨١) البيان .

(٦) (٩١) البيان ، (١/٢١٤) العمدة ، ١٥ - ١٧ صناعتين .

(٧) (١/٩٠) البيان ، (١/١٤٢) زهر ، ٤٧ الرسالة العذراء .

(٨) (١/٨٦) البيان ، (١/٢٢٠) العمدة .

(٩) (١/٧٥) البيان .

(١٠) (١/٨٥) البيان ، ٤٢ - ٤٧ صناعيتيين .

(١١) (١/٩٠) ، (١/١٥٧) البيان .

(١٢) (١/١٢١) البيان .

(١٣) (٣/٢٦٤ زهر) .

(١٤) (١/٨٩) البيان .

(١٥) (٢/١١٨) زهر .

الباحظ بيلاغهم<sup>(١)</sup> ووصف الحسن بن وهب بلاغة أبي تمام<sup>(٢)</sup> ، وتعريف المؤمن للبليني بأنه من كان كلامه في مقدار حاجته ولا يجيز الفكرة في اختلاس ما صعب عليه من الألفاظ ولا يتعمد الغريب الوحشى ولا الساقط السوقى<sup>(٣)</sup> ، وقول خالد بن صفوان : أبلغ الكلام ما لا يحتاج إلى الكلام الخ<sup>(٤)</sup> ، وتعريفه للبلاغة بأنها التقرب من المعنى البعيد أو التباعد عن خسيس الكلام والدلالة بالكثير على الكثير ، وتعريف ابن عتبة لها : بأنها دنو المأخذ وقوع العجفة والاستغفاء بالقليل عن الكثير ، وعرفها الخليل : بأنها ما قرب طرفاه وبعد منتهاه ، وعرفها ابراهيم الامام : بأنها الجزالة والاصابة وعرفها ابن المفع : بأنها قلة الحصر والجراءة على البشر ، إلى غير ذلك من شتى هذه التحديدات<sup>(٥)</sup> ، ويقول أبو داود الأيادى : رأس الخطابة الطبع وعمودها الدرية وجناحها رواية الكلام وحلبيها الاعراب<sup>(٦)</sup> الخ ، ويقول الخليل : كل ما أدى إلى قضاء الحاجة فهو بلاغة فإن استطعت أن يكون لفظك لمعنك طبقا ولتكلك الحال وفقا وآخر كلامك لأوله مشابها وموارده لمصادره موازنة فافعل واحرص أن تكون لكلامك متهمما وإن ظرف<sup>(٧)</sup> ، ووصية أبي تمام للباحثى تدخل فى هذا الباب<sup>(٨)</sup> ، ويقول عبد الملك بن صالح م ١٩٩ هـ : البلاغة معرفة رقق الكلام وفتقه<sup>(٩)</sup> ، وقال ابن الرومى : البلاغة حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة عند الأصلحة<sup>(١٠)</sup> ، ويقول البخترى : خير الكلام ما قل وجل ودل ولم يمل<sup>(١١)</sup> ،

(١) ١/١١٠ البيان .

(٢) ٣/٢٦٣ ذهر .

(٣) ٤٢٣ صناعتين .

(٤)

٣٦

الرسالة العذراء .

(٥) راجع : ٤٤ - ٤٦ الرسالة العذراء ، ١/٧٥ البيان ، ٢ و ٣

و ٢٢ ، ٢٣/٢٣ العقد ، ١٤٠ - ١٥٠ زهر ، ٨٧ - ٩١ - ٢/٩١ سيوان المعانى ،

١٠٩ ، ٢٠٢ اعجاز القرآن ، ٢١٣ - ٢٢١ العمدة .

(٦)

١/٤٧

زهر .

(٧)

٤٨

الرسالة العذراء .

(٨) ١/١٥١ زهر .

(٩) ٣/١٦٨ البيان .

(١٠) ٤١ الصناعتين .

(١١) ١/٣٦ المستطرف .

ويقول الشاعري بعد : خير الكلام ما قل وجل ولم يمل<sup>(١)</sup> ، ويقول ابن الأعرابي : البلاغة التقرب من البغية ودلالة قليل على كثير<sup>(٢)</sup> .

(ج) وأما الطبقة الثالثة فهي طبقة المفكرين والمشففين الذين شققاها يثقافة أجنبية واسعة ، وتأثروا كل التأثر بأداب الأمم الأخرى : وترجموا آرائهم في البيان ومناهجه إلى اللغة العربية ، أو ألفوا كتاباً تبحث في هذه الاتجاهات ، وهؤلاء قد عاشوا في البيئة الإسلامية وأثروا في النقد والأدب والبيان دراسته وتطوره تأثيراً واضحاً كبيراً ، يمكننا أن نذكر شيئاً عن مجدهم هذه الطبقة في خدمة البيان :

أهم عمل علمي قامت به هذه الطبقة : هو ترجمة كتابي الخطابة والشعر لأرسنطرو إلى العربية ، فأما الخطابة فهو أصل البلاغة ودراساتها ، وقد « أصيّب بنقل قديم ونقله إسحاق بن حنين م ٢٩٨ هـ و كذلك نقله إبراهيم بن عبد الله وفسره الفارابي م ٣٣٩ هـ »<sup>(٣)</sup> ، وأما كتاب الشعر فقد اختصره الكندي م ٢٥٣ هـ ، ونقله يحيى بن عدي ومتنى في القرن الرابع من السريانية إلى العربية<sup>(٤)</sup> . وقد ألفوا في صناعة الشعر ، وللكندي رسالة في صناعة الشعر<sup>(٥)</sup> ، والأبي زيد البلخي كتاب بعنوان « صناعة الشعر » أيضاً<sup>(٦)</sup> ، وكذلك الأبي هفان<sup>(٧)</sup> .

(١) ٢١٨ / ١ العددة .

(٢) ٢١٧ / ١ العددة .

(٣) ٣٤٩ فهرست .

(٤) ٣٤٩ و ٣٥٠ فهرست ، وتجد تحليلًا كاملاً لكتاب في ( ٦٤ - ١٢٦ ) قواعد النقد الأدبي ) ، وهو لم يصل ألينا كاملاً وايس من سك في أن الكتاب جزءاً ثانياً فقد ( ٦٨ المرجع ) ، ونکاد نجزم أن أرسنطرو أراد بكتابه هذا أن يكون ردًا على أفلاطون في رأيه الذي ذهب إليه وهو أن الشعر عمل غير جدير بمقام الذكاء البشري وأنه من أشد بواته الفساد ( ٧١ المرجع ) ، ويقول أرسنطرو في أوله : « سأتكلم هنا عن فن الشعر وأنواعه المختلفة ووظائف كل نوع وفي البناء الصحيح للمنظومة وعدد أجزائها وخصائص كل منها » ( ٧٩ المرجع ) ، وترجمة ابن سينا وابن رشد ( ٢٤ وما بعدها مقدمة نقد النشر ) .

(٥) ٣٥٩ فهرست .

(٦) ١٩٨ فهرست .

(٧) ٢٠٧ فهرست .

وهنالك آراء كثيرة مأثورة عن هذه الطبقة في البلاغة وعن انصارها وهي متفرقة في شتى كتب الأدب ومصادره ، وتتجدد في البيان والعمدة وسواءها أن صاحب اليونانيين عرف البلاغة بأنها تصحيح الأقسام واختيار الكلام ، وعرفها الروماني بأنها وضوح الدلالة واتهاز الفرصة وحسن الإشارة ، وعرفها الفارسي بأنها معرفة الوصول من الفصل ؛ وعرفها الهندي بأنها البصر بالحججة والمعرفة بمواضع الفرصة الخ ، وعرفها أرسطو بأنها حسن الاستعارة ، ويعرفها جالينوس بأنها اياضاح المفصل وفك المشكل ، واقرأ البلاغة كما يراها حكيم الهند<sup>(١)</sup> ، ويقول حكيم : البلاغة معرفة السليم من المعتل وفرق ما بين المحسن والمطلق وفصل ما بين المشترك والمفرد<sup>(٢)</sup> ، ويعرفها سقراط بأنها استكشاف الحقائق<sup>(٣)</sup> ، ويقسمها الكندي ثلاثة أنواع : فنون لا تعرفه العامة ولا تتكلس به ، ونوع بالعكس ، ونوع تعرفه ولا تتكلس به وهو أحدها<sup>(٤)</sup> ، ويقول : يجب للبليني أن يكونه قليل اللفظ كثير المعانى<sup>(٥)</sup> ، وذكر بزر جمهير فضائل الكلام ورذائله فقال : فضائله أن يكون صدقًا وأن يقع موقع الانتفاع به وأن يتكلس به في حينه وأن يحسن تأليفه وأن يستعمل منه مقصدar الحاجة ، ورذائله بالضد<sup>(٦)</sup> الخ ، وقال أبوريز لكتابه : الكلام أربعة : سؤالك الشيء وسؤالك عن الشيء وأمرك بالشيء وخبرك عنه ، فإذا طلبت فأسبح و إذا سألت فأوضح وإذا أمرت فأحكם وإذا أخبرت فتحقق ، وقال أيضًا : واجمع الكثير مما تريده في القليل<sup>(٧)</sup> ، ولعل ثعلبا حين ذكر في صدر كتابه « قواعد الشعر » أقسام الشعر وأنها أمر ونهى وخبر واستخبار<sup>(٨)</sup> قد تأثر بذلك الرأي .

(١) ٧٩ و ١/١ البيان ، ٢٠ - ٣٨ صناعيين ، ١٤٤ زهر .

(٢) ٢/٨٨ البيان والتبيين .

(٣) أصول النقد الأدبي للشاعيب .

(٤) ٢١٩/١ العمدة . (٥) ٣٥/١ المستطرف .

(٦) ١٨٣ ، الموازنة . (٧) ١٠ أدب الكاتب .

(٨) ص ١١ قواعد الشعر .

وبعد فقد تعاونت هذه الطبقات في خدمة البيان ، ولها جمِيعاً  
أثُرُها في نشأته وتطوره .

٢ - ومن الكتب الأولى التي ألفت في دراسات البيان موضوعاته :  
مجاز القرآن لأبي عبيدة ، وكتاب البيان لابن السكيني<sup>(١)</sup> وكتاب  
الفصاحة للدينوري<sup>(٢)</sup> ، وكتاب التشبيه والتتشيل للفضل بن قويخت<sup>(٣)</sup> ،  
وصناعة الكلام للجاحظ<sup>(٤)</sup> ، وكتاب التمشيل له<sup>(٥)</sup> ، ونظم القرآن  
أيضاً<sup>(٦)</sup> وقواعد الشعر وكتاب البلاغة للمبرد<sup>(٧)</sup> ، وللحرانى كتاب في  
البلاغة<sup>(٨)</sup> ، وشعلب قواعد الشعر ، ولاين مقسم تلميذه كتاب المدخل  
إلى صناعة الشعر<sup>(٩)</sup> ، وللمروزى كتاب البلاغة والخطابة<sup>(١٠)</sup> ،  
ولابن الحروانى كتاب المطابق والمجانس<sup>(١١)</sup> ، ولأبي سعيد الأصفهانى  
كتاب تهذيب الفصاحة<sup>(١٢)</sup> ، وللباحث كتاب صنعة البلاغة<sup>(١٣)</sup>  
ولمحند بن يزيد الراسطي المعتزلى م ٣٠٦ هـ كتاب اعجاز القرآن فى  
نظمه وتأليفه ولابن الأخشيد كتاب نظم القرآن<sup>(١٤)</sup> وكذلك لابن أبي داود  
م ٣١٦ هـ<sup>(١٥)</sup> وللحسن بن جعفر كتاب فى الرد على من نفى المجاز  
فى القرآن<sup>(١٦)</sup> .

٣ - وبعد فقد كابن البيان العربى فى القرن الثالث مزيجاً من

- (١) ١/٢٠٨ كشف الظنون ، وقد يكون في هذا الكتاب عرض للأدب  
والوانه كالبيان والتبيين .
- (٢) ١١٦ فهرست .
- (٣) ٣٨٣ فهرست . وهو فارسي خدم المنصور والمهدى .
- (٤) ٢٨ الجاحظ لمدرم .
- (٥) ٤١ المرجع ، ٦/٧٩ معجم الادباء .
- (٦) ٤٠ الجاحظ لمدرم .
- (٧) ٨٨ فهرست ، ٧/١٤٤ معجم الادباء .
- (٨) ١٧٨ فهرست .
- (٩) ٢٦ بقية الوعاة .
- (١٠) ٢١٥ فهرست .
- (١١) ٢١٢ فهرست .
- (١٢) ١٩٧ فهرست .
- (١٣) ٥٧ و ٥٨ فهرست .
- (١٤) ٣٢٤ فهرست .
- (١٥) ٥٢ آلفهرست .
- (١٦) فهرست أيضاً .

ثقافات وآراء مختلفة عربية وغير عربية مؤلفة ومتدرجة ، من حيث كاد في القرن الثاني أن يكون عربيا خالصا . وهنا سؤالان لا بد من الجواب عليهما وهما : متى نشأ البيان العربي ، وهل تأثر بثقافة أجنبية ؟

أما نشأة البلاغة والبيان فالآراء فيها كثيرة . فالدكتور طه حسين يرى أن البلاغة نشأت في عهد متأخر والجاحظ في رأيه أول من اهتم بها وهو مؤسس البيان العربي حقا<sup>(١)</sup> ، ويرى آخر أن نشأة البلاغة قديمة قد سبقت القرآن وتطورت بعده<sup>(٢)</sup> وأكثر الفنون الأدبية أخذت شواهدها من القرآن<sup>(٣)</sup> ، وينقد باحث هذا الرأي<sup>(٤)</sup> ومن الضروري أن نفرق بين أمرين ، نطق العرب في آثارهم الأدبية بأساليب لغتهم المختلفة من استعارة وتشبيه وكتابية ومجاز وقصر وفصل ووصل وطباق وتجنيس الخ ، ومعرفتهم العلمية بأوضاع هذه الأساليب ونواجهها البلاغية ، فال الأول كان موجودا عند العرب قبل القرآن وفي عصر القرآن وبعده ، والثاني لم يوجد إلا في القرن الثالث المجري كما ذهب إليه أكثر الباحثين ، فقواعد البلاغة قد سنتها الفكر أولا ليجري علىها الأدب بل إن طبيعة الأدب موجودة من قبل سواء بحثت أو لم تبحث<sup>(٥)</sup> ، فالإدب وخواصه الأدبية موجودان من قديم وأما معرفة هذه الخصائص ودراستها وبحثها على أنها علم وأصول وقواعد فلم يوجد إلا بعد القرن الثاني المجري ، « فعلم البلاغة إسلامي لا عهد للجاهلين به »<sup>(٦)</sup> ، والبلاغة باعتبارها فنا مدروسا أي التحليل العلمي للأساليب البلاغية ليست من علوم العصر الجاهلي إنما هي دراسة متأخرة في نشأتها على أنه لا شك كان هناك في العصر

(١) ٣٠ و ٣١ مقدمة نقد النثر .

(٢) ٤٨/١ النثر الفني ، ومن قبل رأى الصاحب أن النحو والعروض نشأ من قديم (٨١ وما بعدها الصاحب ) .

(٣) ٥٦/١ النثر الفني .

(٤) ١٦ وما بعدها تاريخ البلاغة العربية مخطوط بمكتبة كلية اللغة .

(٥) ٨ قواعد النقد الأدبي .

(٦) ٢٩ تاريخ البلاغة العربية .

الجاهلي وصدر الاسلام بعض الخصائص والأساليب البلاغية المتعارف عليها<sup>(١)</sup> ، وهذا كله مما لا سبيل الى الشك فيه .

وأما الأمر الثاني وهو هل تأثرت البلاغة العربية في فشائتها الأولى ببلاغة الأمم الأخرى ؟ فيمكننا بسط الحديث فيه :

يذكر ابن الأثير أن الشعر والخطابة في الأدب العربي لم يتأثرا بشفافة اليونان البيانية « فهذا شيء لم يكن ولا علم أبو نواس شيئا منه ولا مسلم ولا أبو تمام ولا البحتري ولا المتنبي ولا غيرهم وكذلك جرى الحكم في أهل الكتابة كعبد الحميد وابن العميد » ، ثم ينفي أن يكون هو قد تأثر في رسائله ومكانتاته بما ذكره علماء اليونان في حصر المعاني ويذكر أنه اطلع على ما كتبه ابن سينا في الخطابة والشعر فلم يوافق ذوقه واستجهله ورأى أن ما ذكره لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئا<sup>(٢)</sup> ، ويرى باحث محدث أنه كان للبلاغة اليونانية أثر في علم البلاغة العربي<sup>(٣)</sup> ، ويرى آخر أن أرسطو المعلم الأول لل المسلمين في علم البيان<sup>(٤)</sup> ، وأن الكتاب والمتكلمين الذين عاشوا في القرن الثاني وأثروا في البيان وتطوره جلهم من الأعاجم<sup>(٥)</sup> وأن متكلسي المعتزلة كانوا يتضلعهم في الفلسفة اليونانية من مؤسسى البيان العربي<sup>(٦)</sup> وأنه حتى منتصف القرن الثالث لم يوجد إلا بيان عربي واحد كان لا يزال في دور الطفولة وكأن خصبا جامعا للروح العربي والفارسي واليوناني ثم وجد من ذلك الوقت بيانا : عربي بحت ويوناني يجهز بالأخذ عن أرسطو ، على أن البيان العربي الصرف قد تأثر باليوناني<sup>(٧)</sup> . وترجمهم كتاب الخطابة في النصف الثاني من القرن

(١) ص ٤ و ٥ مجلة الأدب والفن نوفمبر ١٩٤٥ من مقال للأستاذ جب

(٢) ٢٠ المشل السائر . (٣) ١/١٧٧ ضحى الاسلام .

(٤) ٣١ مقدمة نقد النثر .

(٥) ص ٦ المرجع نفسه . (٦) نفس المرجع .

(٧) ١١ وما بعدها نفس المرجع .

الثالث ، وجاء قدامة فاستفاد من كتاب الخطابة وفهم منه كل ما يمكن أن ينتفع به وطبقه على الشعر العربي وكان يجعل كتاب الشعر<sup>(١)</sup> وقد درس قدامة الفلسفة وخاصة المنطق<sup>(٢)</sup> ، على أن تشريع الفلسفة للأدب في رأي الدكتور يظهر أول مرة في « نقد الشعر »<sup>(٣)</sup> ثم في « نقد النثر » الذي هو مستمد من آراء أرسطو في الجدل والقياس والخطابة<sup>(٤)</sup> .

على أننا قد بسطنا القول في ذلك فيما سبق ورأينا أن المشتغلين بالفلسفة قد اشتراكوا مع الجماعات الأخرى في خدمة البيان العربي وانشائه والتأليف فيه وكان اتجاههم الأول إلى « البيان اليوناني » فأخذوا يبدأون على الأفاده منه في بحوث البيان العربي ودراساته وتلقيحه بما يمكن أن يلقي به من عناصر ومناهج علمية سلكها ومهد سبيلها اليونان ، فهم قد استعاقوا بطرقهم في دراسة البيان على فهم وتحليل أصول « البيان العربي والتأليف فيه » .

٤ - ونخن الآن نعرض عليك خلاصة وافية لأهم الكتب التي تناولت بعض مسائل البلاغة بالبحث والتي ألفت فيها خاصة .

١ - جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي : وفي مقدمتها نجد آراء متفرقة في البلاغة والبيان ، فهو يعرف الالتفات ويشير إلى أن العرب تناطح الشاهد مخاطبة الغائب<sup>(٥)</sup> ، ويعرف مجاز الحذف ويفيض في شرحه<sup>(٦)</sup> .

((ب)) الجاحظ وكتابه « البيان والتبيين » :

والجاحظ أمم الكتاب وشيخ البيان وعلم من أعلام الأدب والنقد ،

(١) ١٧ المرجع . (٢) ١٦ المرجع .

(٣) ١٦ وما بعدها مقدمة نقد النثر

(٤) ١٧ وما بعدها المرجع .

(٥) ص ٣ جمهرة أشعار العرب . (٦) ص ٢ المرجع .

وهو من أئمة المعتزلة ، تلمند على النظام وسواء من فحول عصره فخرج واسع الثقافة عميق التفكير كثير الاحاطة والاطلاع على شتى المؤلفات والترجم من المنسولة من جميع اللغات الى العربية .

اتصل الجاحظ باليونان وثقافتهم من كتبهم المترجمة وعن طريق المتكلمين وبمحالسته لكتير من المشفقين باليونانية<sup>(١)</sup> ، كما أنه حدق الثقافة الفارسية من كتب ابن المقفع وسواء ، وتوسع في الثقافات كلها بما كان يقرؤه من الكتب<sup>(٢)</sup> ، وتأثر بخطابه أرسطو الى حد بعيد ومن المشابهة بينه وبين أضطباب الخطابة في الأسلوب استعماله القياس المضرر وهو المذهب الكلامي عند البديعين<sup>(٣)</sup> ، وقد الجاحظ الترجم والمترجمين من اليونانية وخاصة كتاب المنطق بأنه في أسلوب سقيم ، فالجاحظ ولا شك قد تأثر « بالخطابة » لأرسطو كثيرا<sup>(٤)</sup> . وأنكر باحث آخر أن يكون كتاب البيان متاثرا بخطابه أرسطو أو صدئ له لأن الجاحظ لم يره<sup>(٥)</sup> وذلك ما يؤيده الدكتور طه حسين<sup>(٦)</sup> .

ومن البدھي أن الجاحظ ألم بالثقافة الفارسية ، فعلى البخلاء يحكى الجاحظ كلام يخيل من أهل مرو تجاهل رجال زياره من أهل العراق : لو خرجت من جلدك لم أعرفك ، قال الجاحظ : وترجمة هذا الكلام بالفارسية « كراز بوستت باروان بيائی شناسیم »<sup>(٧)</sup> :

(١) ٤٠١/١ ضحي الاسلام . (٢) ٣٨٧/١ المرجع .

(٣) ٦٢١ و ٦٢٠ الرسالة عدد ١٩٦ من محاضرة للأستاذ حمودة في أسبوع الجاحظ ، وإذا كان الجاحظ ينكر أن يكون لليونانيين خطابه (٣/١٥ البيان ) فليس ذلك إلا في مقام الرد على الشعوبين وقد يكون الجاحظ لم يطلع على نصوص خطابية اليونان .

(٤) راجع ٦٢١ الرسالة العدد ١٩٦

(٥) راجع ٦٢٢ المرجع السابق .

(٦) ص ٣ مقدمة نقد النثر .

(٧) ص ١٩ البخلاء .

وأثر ثقافته الفارسية واضح في كتبه وفي مؤلفه «البيان»؛ أما أثر ثقافته اليونانية فواضح أيضاً في الحيوان وفي كتابه «البيان»<sup>(١)</sup>، قرأ الجاحظ من كتب أرسطو المترجمة كتاب الحيوان واستدل برأى لأرسطو<sup>(٢)</sup> وكان مصدراً كبيراً له في كتابه «الحيوان»، والجاحظ يذكر تعريف صاحب المنطق للإنسان كثيراً<sup>(٣)</sup> ويذكر صاحب المنطق وأنه كان يكتنف اللسان مع علمه بتميز الكلام وفضيلته ومعانيه وبخصائصه<sup>(٤)</sup>. ويذكر تعريف البلاغة عند الأمم المختلفة ومنها اليونان<sup>(٥)</sup> ويذكر كتب اليونان في المنطق وأن الحكماء جعلتها معياراً لتفكير<sup>(٦)</sup>، ويذكر فوادر ريسوس اليوناني<sup>(٧)</sup> ويرى أن لليونان فلسفة وصناعة منطق وليس لفلسفتهم في الخطابة ذكر<sup>(٨)</sup>، وأقسام .. الدلالة عند الجاحظ<sup>(٩)</sup> هي من تفكير أرسطو، ويذكر أن للفرس رسائلها وخطبها وأنماطها ومعانها ولليونان رسائلها وخطبها وعللها وحكمها وكثيرها في المنطق وللهند حكمها وسيرها وعللها ويرى أنها لا توازن بما للعرب من بيانه وبلاغة وصناعة وخطابة<sup>(١٠)</sup>، وللجاحظ رسالة في نقد الكندي<sup>(١١)</sup>.

ويذكر الجاحظ في البيان «صناعة الكلام» ويعنى بها جنباً علم الكلام<sup>(١٢)</sup>، وحينما آخر البيان<sup>(١٣)</sup>، ويذكر اصطلاحات أخرى كصناعة المنطق<sup>(١٤)</sup> وصناعة الخطابة ويذكر أحياناً « أصحاب الخطابة والبلاغة»<sup>(١٥)</sup>.

(١) وذلك في موضع كثيرة . (٢) ١/٦١ البيان .

(٣) ٦٩ و ١/١٢٨ البيان . (٤) ٣/١٥ البيان .

(٥) ١/٧٥ البيان . (٦) ٣/٧ البيان .

(٧) ٢/١٦٥ البيان .

(٨) ٣/١٥ البيان ، الظاهر أن الجاحظ لم يطلع على شيء من خطابتهم .

(٩) ١/٦٩ البيان ، وهي في «رسالة العلاء» ، ٩ نقد النثر .

(١٠) ٣/٧ (٤) الجاحظ لم درم .

(١١) ١/٦٩ البيان .

(١٢) ١/١٠٨ البيان . ويشيد الجاحظ بصناعة الكلام (٤/٣ زهر) .

(١٣) ١/١٨٣ (١٤) ١/٧٩ البيان .

ومهما يكن فالجاحظ فيما ذكره من أصول البلاغة العربية قريب من روح أرسطو ، فدعوته الى ترك الوحشى والسوقى<sup>(١)</sup> له نظير عند أرسطو الذى دعا الى « هجر الألفاظ الخسيسة التى لا يستعملها الا العامة<sup>(٢)</sup> » وقال « ينبعى الا تكون الألفاظ سفاسفة ولا مجاوزة الحد فى المثانة مبلغ الأمر الذى يدل عليه فلا تبلغ درجة العامية ولا تخرج الى الكلفة المنشوعة » ، ودعوة الجاحظ الى الوضوح<sup>(٣)</sup> لها نظير عند أرسطو حيث يذكر « حسن الدلالة ووضوح العبارة وأن الأغراض مستكره وأنه يجب ألا تمعن فى الأغراضيات بل يجب أن تكون العبارة بحيث يفهمها الأمائى دون اسقاط الجمهور » ، واللحن وخروجه عن حد البلاغة<sup>(٤)</sup> موجود في خطابة أرسطو حيث يوجب أن « يكون اللفظ فصيحا لا لحن فيه » ، ويذكر الجاحظ استعمال المبسوط فى مواضعه والمقصور ( المحدود الموجز ) فى مواضعه<sup>(٥)</sup> ، والإيجاز والاطنان يوم الاطنان<sup>(٦)</sup> ، وأرسطو أول من أشار الى ذلك كله فذكر الإيجاز والاسهاب وأشار الى أن لكل منها مقاما . وعلى أي حال فمراجع هذا التشابه فى الأفكار أرجح أن سببه نقل الجاحظ كثيرا عن الذين ألموا بثقافة اليونان وكتب أرسطو فى النقد وعلى الأخص الخطابة والشعر .

ومع ذلك فالجاحظ يجهل كثيرا من النظريات التى شرحها أرسطو فى كتابة ، فأى نوع البيان والأساليب البلاغية الأنيقة التى ألم بها

(١) ١٠٥ و ١١٠ و ١١٧٦ ١/١٧٦ البيان .

(٢) راجع الشفاء لابن سينا وكل النصوص المنقوله هنا عن أرسطو فهى منقوله من الشفاء .

(٣) ٦٨ و ١١٠ و ١١٧٦ ١/١٧٦ البيان .

(٤) ١/١٢١ البيان .

(٥) ١/٥١ البيان ، ويشير الى ذلك فى مواضع أخرى من كتابه ١٤١ و ١٤٧ و ١٦١ و ١٨٠ ١/١٨٠ البيان .

(٦) ١٢٠ رسائل الجاحظ ، وتبعه ابن قتيبة فذكر أن للإيجاز مواضعه وللإطالة مواضعها ( مقدمة أدب الكاتب ) .

أرسطو<sup>(١)</sup> لا يشير إليها الجاحظ في بيانه ، وهو على العموم لم يطلع على كتابي أرسطو ، ولا نشك في أنه أفاد من أستاذه النظام ومن علوم الفلسفة والمنطق التي شاعت في عصره كثيرا ، ونقل عنهم اطلعوا على خطابة أرسطو ، ويكتفينا ذلك التحقيق في هذا المقام .

وبعد فلنجاحظ في البيان العربي آثار كثيرة : كرسالة في تفضيل النطق على الصمت<sup>(٢)</sup> ، وكتابه البيان والتبيين .

والبيان « أول كتاب ظهر في الأدب جامعا لفنون كثيرة من ضروريه »<sup>(٣)</sup> ، ويشيد به أبو هلال<sup>(٤)</sup> ، ويعده ابن خلدون من أركان الأدب<sup>(٥)</sup> ، والكتاب يبحث في فنون الأدب والبلاغة ويتناول النقد واللغة ويأتي على ذكر الخطباء والأدباء والشعراء والمنشئين وأثارهم الأدبية وهو من أجل وثائق الأدب في الجاهلية والإسلام<sup>(٦)</sup> ، ويدرك ابن رشيق أنه لا يبلغ جودة وفضلا<sup>(٧)</sup> ، ويدرك أبو أحمد العسكري مثلا من تصحيف الجاحظ فيه<sup>(٨)</sup> ، وينقد ابن شهيد الكتاب<sup>(٩)</sup> ورد عليه بعض المعاصرين<sup>(١٠)</sup> . والكتاب يجمع بين دفتيره الكثير من بلاغة العرب وسحرهم في البيان كما يجمع آراء كثيرة في أصول النقد الأدبي

(١) كدراساته للاسنعار ، وللرباطات ( حروف العطف ) وأنها تجعل الكلام الكثير كالواحد ، وللجناس وسواء ، ونظرية أرسطو في الوصل ، وهي التي يفيض عبد القاهر في شرحها في الدلائل .. ونصيب في نقهde للكمي في قوله « تكامل فيها الانس والشعب » لأنه باعده في القول ( ١/١٣٤ ) ١/٣٥٥ الكامل ) لا ننم ذلك عن معرفته بأسرار هذه الدراسات البيانية .

(٢) تجدها في ١٤٨ - ١٥٤ رسائل الجاحظ .

(٣) ٨٠ العصر العباسي للاسكندرى .

(٤) ٦ و ٧ الصناعتين .

(٥) ٥٥٣ مقدمة ابن خلدون . (٦) ٣٥ الجاحظ لمrdm .

(٧) ١/٢٢٧ العمدة .

(٨) ٥٣ و ٥٤ التصحيف والتحريف .

(٩) ١/١٩٨ ذخيرة . (١٠) ٢/٥٠ النثر الفنى .

وقوانين البلاغة العربية وأنواعها وعنصرها ومذاهبها واتجاهاتها وأثرها ، سواء كانت هذه الآراء من جمّع الجاحظ وروايته أم من رأيه وتفكيره ، وحسبك أن تقرأ فيه البلاغة كما تتحدث عنها صحيفه هندية مكتوبه<sup>(١)</sup> ، أو كما يراها ابن المفع<sup>(٢)</sup> ، ولهذه النصوص قيمة كبيرة ، وقد عد بعض الباحثين الجاحظ مؤسس البيان العربي لما جمعه من النصوص التي توضح لنا كيف كان العرب الى منتصف القرن الثالث يتصورون البيان العربي وتعطينا صورة مجملة لنشأته<sup>(٣)</sup> .

وفي الكتاب كثير من بحوث البلاغة ، فهو يعرف الاستعارة<sup>(٤)</sup> ، ويتكلّم على السجع<sup>(٥)</sup> ، ويشير الى التفصيل والتقسيم<sup>(٦)</sup> ، والاستطراد ، والكتابية<sup>(٧)</sup> ، والأمثال<sup>(٨)</sup> ، والاحتراض<sup>(٩)</sup> والقلب<sup>(١٠)</sup> والأسلوب الحكيم<sup>(١١)</sup> ، والجاحظ فوق ذلك هو أول من لقب المذهب الكلامي بهذا الاصطلاح<sup>(١٢)</sup> ، ويرى الجاحظ أن البلاغة في النظم لا في المعانى قال : والمعانى مطروحة في الطريق يعرفها العجمى والعربي والبدوى والقروى وإنما الشأن فى اقامة الوزان وتحيز اللفظ وسهوامة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبائك<sup>(١٣)</sup> ، وهو ما ذهب اليه

(١) ١/٧٩ ١٠٤ وما بعدها البيان .

(٢) ١/٧٩ ١ البيان .

(٣) ٣ مقدمة نقد النشر .

(٤) ١/٩١ ١ البيان .

(٥) ١/١٩٤ ١ البيان .

(٦) ١/١١٦ ١ البيان .

(٧) ١/١٧٠ ١/٩١ ٢ البيان ، وهو باب من أبواب البديع عند كثير من علماء البلاغة راجع ٧٨ نقد الشعر ، ٣٣٢ صناعتين .

(٨) ١/١٨٠ ١ و ٢٩ و ٣١ و ٣/٨٥ البيان .

(٩) ٨٦ و ٨٨ و ١١٤ و ١٨٣ و ٢/٢٢٤ ٢ البيان .

(١٠) ١/١٦١ ١ وما بعدها البيان .

(١١) ١/١٨٠ ١ البيان .

(١٢) ٢٠١ و ٢٠٢ ج ٢ البيان ، ويقرب من الأسلوب الحكيم ما يسميه الجاحظ « المفر في الجواب » (٢/١١٦ ٢ البيان ) .

(١٣) ١٠١ البديع ، ٢/٧٦ العمدة .

(١٤) ٣/٤٠ الحيوان .

ابن خلدون<sup>(١)</sup> ، ويقول شيلر : في الفن الشكل هو كل شيء والممتع ليس شيئاً مذكوراً . وفي البيان نصوص كثيرة استغلها علماء البيان والبديع في اختيار شواهد أساليب البلاغة منها ، مما لا داعي إلى ذكره هنا خوفاً من كثرة الأسهاب ، والجاحظ يشيد بالإيجاز ويدعو إليه كثيراً في بيانه<sup>(٢)</sup> ، وفي الحديث عن رسول الله : إذا قلت فأوجز وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف<sup>(٣)</sup> ، ويبحث على ترك الوحشى والسوقى وعلى الأفهام والوضوح ، وعلى ترك التعمق والتهذيب في صناعة الكلام ، وعلى أي حال فالبيان والتبيين أثر أدبي وعلمي نفيس ، والجاحظ يده على البيان العربي لا تتجدد ، ويعده ابن خلدون من السابقين في التأليف فيه<sup>(٤)</sup> .

وبعد فالجاحظ أظهر من خص البيان بالتأليف وهو أعظم السابقين إلى جمع وتدوين آراء رجال البيان والبلاغة ، وله مع ذلك آراء كثيرة وصل إليها بفكره وذوقه وملكته البيانية الدقيقة الاحساس بالأساليب البلاغية ودقائقها ، ولا يضرير الجاحظ أن كانت دراسته في كتاب البيان موجزة مفرقة كما يقول أبو هلال<sup>(٥)</sup> ، فهي على كل حال ذات أثر كبير في نشأة البيان .

(ج) وقد كتب بعد الجاحظ كثير من العلماء في مسائل تتصل بالبلاغة والبيان : كالمبرد في كامله ، وابراهيم بن المديري في الرسالة العذراء ، وثعلب في قواعد الشعر ، وابن عبد ربه في العقد ، وسوى هؤلاء مما يطول الحديث لو فصلنا القول فيه .

\* \* \*

---

(١) ٥٧٧ مقدمة ابن خلدون .

(٢) ٨٠ و ٨٦ و ١١٤ و ١٥٢ و ١٨٧ و ٢/١٩٨ البيان .

(٣) ١/٥ الكامل للمبرد .

(٤) ٥٥٢ مقدمة ابن خلدون .

(٥) ٦ الصناعتين .

## الجاحظ والبيان العربي

— ١ —

كان الجاحظ أستاذ الثقافة الإسلامية في النصف الأول من القرن الثالث ، وكان مجده الأدبي الذاي يعصف بمجد كل أديب ، ويدوى في كل أفق ، ويرن صدأه في سمع كل كاتب وشاعر وخطيب .

وعاش الناس في عصره وبعد عصره عيالا عليه في البلاغة والفصاحة واللسان والعارضه كما يقول ابن العميد ، وعدوا التلمذة عليه شرفا لا يعدل شرفه ومجدًا يلينيهم من بلاط الملوك ، وتعصب له كثير من رجالات الثقافة الإسلامية في شتى عصورها ، فالفوا الكتب في الاشادة به — كما فعل أبو حيان التوحيدي في كتابه تقييظ الجاحظ — ، وبالغوا في الاشادة به والثناء عليه حتى حسد ثابت بن قرة الأمة العربية عليه ، وحتى كان الخلفاء يهشون عند ذكره ونهج كبار الكتاب نهجه في الثقافة والبيان ، وكان فخر الرجل في أن يلقب بيلقبه ، وأقبلوا على كتبه وأدبها يتلقفون بثقافتها ويرونها تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً ، وبلغ من اهتمام خاصة رجال الفكر الإسلامي بها أن كانوا يسألون الناس عن المفقود منهـا في البيت الحرام وعرفات ، وكان معاصرهون يحبـون خصوصـته حتى لا يسمـهم بـميسـمـ الخـزـىـ والـهـوانـ إلىـ الأـبـدـ ، ومن سباء جده منهم فـكان هـدـفـاـ لـسـخـرـيـتـهـ الـلـاذـعـةـ سـارـ عـلـىـ الأـجيـالـ حـسـورـةـ مشـشوـهـةـ وـاسـعـةـ لـاـ يـغـفـرـهـ الرـوـمـنـ كـمـ فـعـلـ الجـاحـظـ معـ أـحـمـدـ ابنـ عبدـ الوـهـابـ بـطـلـ رسـالـتـهـ السـاخـرـةـ المـتـهـكـمـةـ »ـ التـرـيـعـ وـالـتـدـوـيـوـ «ـ ٠٠ وـ حـسـبـكـ أـنـ المـأـمـوـانـ كـانـ يـقـرـأـ تـالـيـفـ الجـاحـظـ وـيـشـنـ عـلـيـهـاـ وـيـسـتـجـيدـهـاـ (١)ـ .

---

(١) ٣/٢١١ البيان نشر السنديوي ط ٩٢٧

ومجد الجاحظ الأدبي مجد خالص من شوائب العصبية وتمويه السياسة وهو مجد بوأه صرحة الخالد : كفاءته الممتازة وثقافته النادرة وآثاره الفكرية والأدبية الممتدة ، فقد عاش الجاحظ محروماً من كل شيء إلا من مجد الأدب ، وشهرة العلم ، ولم تبوئه مواهبه مقاعد الوزارة التي كان يصعد إليها في عهده كثير من الكتاب ، ولم تلته كفایته الأدبية منزلة في ديوان رسائل الدولة ، ولما صدر فيه أيام المأمون لم يبق فيه غير ثلاثة أيام استقال بعدها منه ، أو قل أنه حورب فيها من أجله حذراً من أن يأفل به نجم الكتاب كما كان يرى سهل بن هارون ، الافق في الحياة العامة الذي مني به الجاحظ في عصره كان مما نعاه ابن شهيد عليه في رسالته « الزوابع والتوابع » ، وما جعله يخطيء من يذهب إلى تقديم الجاحظ على سهل بن هرون ، وابن كان تحكيم التوفيق في الحياة في وزن الشخصيات وتقديرها ضلال وغبنا .

ولكن ما سر هذا الافق مع هذه الشهادة البعيدة والمجد الدائم ؟ رأى ابن شهيد من قبل أن حرمان الجاحظ من شرف المنزلة بشرف الصنعة مع تقديم ابن الزيات وأبراهيم بن العباس أما لأنه كان مقصراً في الكتابة وجميع أدواتها أو لأنه كان ساقطاً همة أو لأن دمامته وافتراض جحود عينيه قعد به عن الغايات المنشودة ، ورأى أن نقص أدوات الكتابة عند الجاحظ شيء قد يكون غريباً فذهب إلى أن أول أدوات الكتابة العقل وقد تجد عالماً غير عاقل .

أما أن الجاحظ ينقصه أدلة — أي كانت هذه الأدلة — من أدوات الكتابة فذلك ما ترده الحقيقة المقررة ، فعقل الجاحظ وفنه الأدبي وطبعه الموهوب أعظم من أن يتطرق إليه فيها شك وريب . وأما أن الجاحظ كان قريب الأمل غير بعيد الطموح ، لا يتطلع إلى مجد ينشده أو جاه سلطان يناله ، فذلك بعيد عن الجاحظ وحياته وروحه الوثاب الطموح . وأما أن دمامته الجاحظ كان لها أثر في هذا الافق

ذلك أحد ما نراه من أسبابه الكثيرة حتى انه ذكر للمتوكل لتأديب بعض ولده فلسا رأه واستبشر منظره صرفه وأمر له بعشرة آلاف درهم .

الحق أن الجاحظ كان عريبا في روحه ودمه وحياته ، وكان يتعصب للعرب في كل شيء حتى في الثقافة والأدب في عصر كان النفوذ والسلطان في الدولة فيه للعناصر الأجنبية لا سيما الفرس ، وكثيرا ما كان ينسى أولئك الثقافة والكتابات من العرب إلا من اتصل منهم بحبل وزير أو أمير ، والجاحظ مع صداقته الوثيقة لـ محمد بن عبد الملك الزيات الوزير م سنة ٢٣٣ هـ ، والذي أهدى له كتابه « الحيوان » وكانت عليه بخمسة آلاف دينار ، كان يتخلل هذه الصدقة الشك والجفاء ، ولم يستطع أو لم يتسع له ، أن يستفيد شيئاً من وراء هذه الصدقة ، وقتل محمد بن عبد الملك وجاء بعده عدوه اللدود أحمد ابن أبي دؤاد الذي سبق إليه الجاحظ مغلولاً لأنه كان من أصحاب محمد بن عبد الملك ، ثم فاك قيوده وطلب حديشه وبيانه وثوقاً منه بظرفه وأدبه لا بخلاصه ولا لاته .

ثم لا ننس أن مواهب الجاحظ مواهب عالم وأديب لا مواهب وجل من رجال المجتمع والسياسة والحياة العامة ، وقد رفعته مواهبه العقلية والعلمية والأدبية مكاناً علياً ما كان يتمنى أن ترفعه إليه السياسة مهما حلق في أجواءها ، وكان أخلاق الجاحظ للفكر والثقافة أعظم من أخلاقه للحياة نفسها ، وكان خوضه في معاجم الثقافة والعلم يشغله عن الخوض في ميدان السياسة والمجتمع ، وكانت لذته في الدراسة والبحث والتأليف أكثر من لذته في مجده السياسة وسلطانها ، فالجاحظ أولاً وقبل كل شيء هو رجل الثقافة والأدب ، وهو المعتزلي الذي تتلمذ على النظام ثم عاف تقليد غيره في العقيدة فكان صاحب مذهب ورئيس فرقة من فرق المعتزلين ، وهو المتكلم الساحر والكاتب البليغ والخطيب المفوه والعالم الفذ والمؤلف النابه وشيخ العربية

الذى وعى الثقافة العربية وما خالطها من الثقافات فى شتى علوم الدين والدنيا ، وهضمها وعاصرها زهاء قرن (١٥٠ - ٢٥٥ هـ) . وكان له فى صدر شبابه فخر التلمذة على شيوخها فى اللغة والأدب وفي علوم الدين والكلام وفي التفكير والمنطق كما كان له صداقه رجال الفكر والسياسة فى الدولة ، وقد استفاد من وراء هذا وذاته نصوحاً كثيراً فى عقليته وثقافته هياه لأن يكون محور الثقافة الإسلامية فى عصره لا بطلًا من أبطال السياسة والدولة والمجتمع .

ولا يضير الجاحظ أن يكون كما قال ببديع الزمان الهمذانى فيه من أحد شقى البلاغة يقطف وفي الآخر يقف<sup>(١)</sup> ، فقد يجيد الرجل فى باب من أبواب الأدب دون باب ، ولا يغض ذلك من احسانه فيما أحسن فيه ، ولكن البديع أراد الفخر بنفسه على حساب الجاحظ ، وليته وفف عند هذا الحد فلم يرم الجاحظ يائناً كلامه بعيد الاشارات قليل الاستعارات قريب العبارات وأنه منقاد لعریان الكلام يستعمله تفور من معتاصه يحمله ، وأقه ليس له لفظة مصنوعة أو كلمة غير مسموعة<sup>(٢)</sup> . وإنما أراد البديع أنه فوق الجاحظ أدباً وبياناً ، وهياهات !

وثقافة الجاحظ ثقافة واسعة منوعة تحيط بسائر ألوان الثقافات التى مازجت الثقافة الإسلامية فى عصره ، فهو عالم من علماء الدين ، ومتكلم من الطراز الأول للمتكلمين وعالم يحيط باللغة وبيانها وأدابها احاطة لا تقف عند غاية ، وقد خاض الجاحظ فى جداول الثقافات الأخرى التى سرت فى تيار الثقافة العربية منذ مشرق القرن الثاني الهجرى ، وعقلية الجاحظ البعيدة التفكير لا تشک أنها أفادت ذلك من أستاذه النظام ومن علوم الفلسفة والمنطق التى شاعت فى البيئة الإسلامية فى عصر الجاحظ . ولا شك أن عصر الجاحظ ، وعقليته وشغفه بالدراسة والبحث ، وعكوفه على القراءة ، ونشأته بالبصرة ،

(١) ص ٨٢ مفامات البديع – المقامة الجاحظية .

(٢) ص ٨٢ و ٨٣ المرجع .

وتلقى اللغة من الأعراب في المربد والعلماء في حلقات البصرة ومجامعها العلمية ، وتلمندوه على كثير من أساتذة الثقافة في شتى مناحيها كأبي يوسف القاضي والظامان والأصمى والأخفش وأبن الاعرابي وأبي عبيدة . وأبي زيد الاتصاري ، كان له أثره في ثقافة الجاحظ الواسعة الجوانب المتعددة الألوان .

وشخصية الجاحظ تطالعك في أدبه وكتبه من كل جانب وناحية ، وهي شخصية رجل الفكر الواائق بشخصيته وعقليته وثقافته ، المؤمن بها ، الحريص على كرامته ، المعتز بنفسه . يخاطب الوزراء والعلماء ويراسلمهم ، فلا ينفي شخصيته في شخصيلهم ، بل يراهم أخواه ، ويروى له عليهم حق الصدقة ودالة الآخرة ، ولا يجبن عن توجيه العتاب واللوم إليهم ، وأنت حين تقرأ في كتب الجاحظ ومؤلفاته تغيب في جو بعيد تطل عليك فيه شخصية الرجل ، بسعة ثقافتها وبعد مكانتها ، ويتوجّيّها الساحر القارئ وفكرة وشعوره حتى ليكاد ينسى أمامها نفسه ، ويشعر شعورا صادقا أنه قد قللك من جوه هو إلى جو آخر تشيع فيه روح قوية ساحرة تملك عليك عقلك وعاطفتك ، وتروعك بكثرة حفظها وروايتها ، كما تروعك بروعة فكرها وجلال بيانها ، وتتركك صريعًا في معارك فكرية ترى الجاحظ فارسها المعلم ، وترى قلمه البليغ عصا الساحر المتحدى تسترعى السمع والبصر ، وت بهت الفكر والعقل ، وقلبه العاطفة والشّعور .

والعجب أن سعة ثقافة الجاحظ وكثرة روايته في تأليفه جعلت كثيراً من لا يفهمون الجاحظ يرونـه كاتباً بلا شخصية له ، تطمس شخصيات من يروي لهم وينقل عنهم كل أثر لشخصيته ، فتقراً الجاحظ وأنت تقرأ لسواء وتبدي أمام عينك صور شتى لرجال لا ترى الجاحظ فيهم ولا تلمس آثاره بينهم .

ومن شأن ذلك أنـ الجاحظ رجل من الخاصة في فكره وفي كتابته وأسلوبه وفي بحثه وتأليفه ، فإذا فكر فيعقل الخاصة ، وإذا كتب

أو ألف فبأسليوبهم ولمن يفكر في مجال تفكيرهم ، وليس ذلك لأن الجاحظ « يستمسك بفائدته ويضمن بما عنده غيره على العلم وشحها بشمرة الفهم ولذلك كان كتاب « البيان » موقوفا على أهله ومن كرع في حوضه ، أما البجاهل والمبتدئ فلا نفع له من كتابه » كما يقول ابن شهيد ، إنما ذلك لأنه كما أرى لا يستطيع إلا أن يفكر تفكير الخاصة ، ويكتب بعقلهم وأسلوبهم ، ولأنه رجل يكتب لنفسه قبل كل شيء ويرضى شهوته في تدوين عناصر الثقافة الأدبية والعلمية على طريقة كتابة الموسوعات . كما يرى بعض الباحثين المعاصرين<sup>(١)</sup> ، وما دام الجاحظ كذلك فلن يستطيع أن يفهمه إلا رجل مثله في فكره واتجاهه وثقافته ، ولن يتسع لكتير أنه يفهموا الجاحظ وأن يؤمنوا بشخصيته في كتبه ومؤلفاته ما داموا لا يستطيعون مجاراته في فواحي ثقافته العقلية والأدبية . وحسب الجاحظ م جدا وخلود ذكر أنه يكون له كتاب مثل كتاب البيان والتبيين .

\* \* \*

## — ٣ —

ألف الجاحظ كتابه « الحيوان » وأهداء إلى صديقه محمد بن عبد الملك الزيارات ، فكافأه عليه بخمسة آلاف دينار . ثم ألف بعده كتاب « البيان » وأهداء إلى أحمد بن أبي دؤاد فأعطاه عليه خمسة آلاف دينار ، والجاحظ يشير في مواضع متعددة من البيان إلى كتاب الحيوان ، وكان لظهور « البيان والتبيين » ضجة كبيرة في الأدب والبيان حتى أنه حمل إلى الأندلس فيما حمل من نفائس المؤلفات .

وكتاب « البيان » ألفه الجاحظ على فمط طريف في التأليف ، من كثرة الرواية التي قصد الجاحظ من ورائها أن ينال كتابه الشهرة والاعجاب كما يقول الجاحظ نفسه في كتابه ، وينال كتابه الذكر

(١) ٤٩/٢ النثر الفنى .

والذموع ، ومن كثرة الاستطراد الذي يستدر به الجاحظ نشاط القارئ واعجابه كما يقول الجاحظ في تحليله له ، والجاحظ حين يعلل عدم ترتيبه للخطباء الذين ذكرهم في كتابه ترتيباً يتسمى مع التاريخ يعجزه عن تنسيق ذلك فما زلت ذلك يقابل بتحفظ كبير ، فالجاحظ لو أراد لما أعجزه إنما هو مذهبة في الاستطراد والاتصال .

ويبدو من أسلوب الكتاب أن الجاحظ كان يكتب أصوله — أو كثيراً منها — محاضرات يلقاها على تلاميذه وطلابه وقد يسبغ عليها أحياناً روح قوائم بين هذه المحاضرات وبين ما يجب لمن أهدى إليه كتابه من تقدير واجلال ، وأسلوب الكتاب الاستطرادي جعل الجاحظ يعدنا في كتابه بأنه سيذكر الشيء ثم لا يذكره ولا يفي بوعده ، وهذا الأسلوب الاستطرادي أيضاً جعل الجاحظ ينقد نفسه في ترتيب فصول كتابه وجعله يرسم منهجه في أجزاء كتابه في آخر الجزء الأول منه ، وجعله يضع في أماكن متعددة من كتابه عنوانين مختلفتين تقابل من القارئ بمزيد الابتسام ، فهو يعنوان فصولاً بباب البيان وأخرى يسميها بباب الصست وأخرى بباب اللحن أو بباب الزهد إلى آخر هذه الألقاب التي تعلم أن الجاحظ لم يرد شيئاً منها ولم يضعها إلا للتغريب بالقارئ واكتساب شساطته وامتيازاته ملكتاته .

وكتاب « البيان » يجمع بين دفتيره الكثير من بلاغة العرب وسحرهم في البيان كما يجمع آراء كثيرة في أصول النقد الأدبي وقوائمه البلاغة العربية ، وقد نهج فيه الجاحظ منهجه الساحر ، وكتبه بأسلوبه العميق المحكم ، ورسم فيه صوراً صادقة لروح الأدب والبلاغة إلى عهده ، والكتاب سجل للأدباء والشعراء والخطباء حتى عصر الجاحظ وهو ذو قيمة فذة في تاريخ الأدب والأدباء لا سيما المعاصرين للجاحظ ومن سبقوه بقليل ، وقد عنى فيه الجاحظ بتدوين المثل الساحرة من الأدب العربي : شعره وشعره ، وقاده الاستطراد إلى الالام بكثير من مسائل الأدب والنقد والبيان .

يبدأ الجاحظ كتابه بمقدمة يذكر فيها البيان وشرفه ويلم فيها بالكثير من عيوبه الفطرية وسوها في استطراد جميل ، تم يشرح البيان ويحلل عناصره ، ويذكر البلاغة ومذاهب رجال البيان فيها ، وبين الصلة بين البلاغة ومظهره ، ذاكرا بلاغة الخطيب وعناصرها وأدواتها ، ملما بالكثير من الخطباء ، داعيا إلى قوة الطبع وشرف المعنى وجمال الملفظ والى مراعاة شتى المقامات والأحوال ، بينما أثر هذه البلاغة في النفس والوجودان ، ويتكلم على الحديث المردد ومن عابه ومن مدحه ، وعلى الصمت : من أشاد به ومن ذمه داعيا البلاغة إلى أن لا يتمسك بمحكمة الصمت حتى لا يورثه ذلك العي والحضر ، ويدعو الأدباء الناشئين إلى أن يعرضوا انتاجهم الأدبي على أولى الذوق والبيان حتى يعرفوا قدر أنفسهم ومنزلتها في البيان ، كما يتتحدث عن السجع : مطبوعه ومتكلفه وعن منزلته الأدبية ، محللا عناصر الشعر نافيا أن يكونه ما في القرآن من كلمات موزونة شعرا ، ملما بطبقات الشعراء وألقابهم ، وينهى على التقريرين ، ويسرد أحاديث النوكي والحمقي سردا بلاغيا ، وبذلك ينتهي الجزء الأول من الكتاب الذي أودع فيه الجاحظ جل ما أورده من بلاغة البيان وعناصرها وألوانها ومذاهبتها وأسبابها .

أما الجزء الثاني فتحدث فيه عن الخطابة وأقسامها وأنواعها ، وألم فيه بسحر بلاغة رسول الله في أحاديثه وخطبه ، وبخطب كثير من جلة الصحابة والسلف الأولين ، وتتكلم عن الحواليات وطبقات الشعراء ومذاهب المطبعين وأصحاب الصنعة ، كما تكلم على اللحن واللحائن والنوكي والحمقي والمجانين .

وفي الجزء الثالث يرد على الشعوبية مطاعنها التي قلحت بها في العرب لا سيما ما نعوه عليهم منأخذ العصا والقوس عند الخطابة وفي موقف الكلام ، ورد الجاحظ على الشعوبية فيه كثير من حرارة الإيمان التي أذكت في دفاعه روح الجدل وقوة المناقشة وسعة التفكير . وينقل الجاحظ كثيرا من حكم السالك ومواعظهم ، وخطب الخوارج

وكلماتهم ، وسياسة بنى العباس ودهائهم ، ويتحدث عن رواية الأدب واتجاهات الرواية وطبقاتهم ، وعن كلام رسول الله وسحر ايجازه وبعده عن مذاهب العرب في شعرها ، وعن أمية رسول الله مع بلاغته وعن مجد الشعر وأثره ومكانته إلى غير ذلك من شتى الآراء ، ويختتم الجاحظ كتابه بهذه الكلمة الجامعة : « وهذا أبقاك آخر ما ألفناه من كتاب البيان والتبيين ونرجو أن تكون غير مقصرين فيما اخترناه من صنعته ، وأردناه من تأليفه ، فإن وقع على الحال التي أردناها والمنزلة التي أملنا بذلك بتوفيق الله ، وإن وقع بخلافها فما قصرنا في الاجتهاد ولكن حرمانا التوفيق والله أعلم » .

وبعد فكتاب البيان ثمرة من ثمرات الرجولة المكتملة التي أحاطت بالجاحظ بعد أن ودع شبابه واستقبل عهد المشيّب ، وهو لذلك آية من آيات الطبع المتسكن والذوق السليم والاحاطة التامة بالبيان وبلايته ، وليس ذلك بكثير على الجاحظ شيخ العربية الفذ وبطليها الكبير .

وأثر « البيان » وقيمه مما يسر على الباحث تفصيله ويفاؤه فيها حقه من التقدير والانصاف ودقة الحكم :

فكتاب البيان أصل من أصول الأدب وهو في أسلوبه وفي نهجه وفي روایاته وفي آرائه الأدبية خير معين لطلاب العربية والمتخصصين في أدابها .

وقيمة في البيان العربي خطيرة لما أودع فيه من شتى البحوث والأراء في البلاغة وعناصرها واتجاهاتها ومذاهبها وألوانها وغياراتها وأثرها سواء كانت هذه الآراء من جمع الجاحظ وروايته وقد وردت أم من ابتكاره ورأيه الشخصي واتجاهه الأدبي المستقل ، وفيما جمعه الجاحظ من ذلك الكثير مما لا يزال محل اعجاب الباحثين وتقديرهم ، وكفى أن تقرأ فيه : البلاغة كما تتحدث عنها صحيفة هندية مكتوبة ، أو كما رأها ابن المقفع أو كما تحدث عنها بشر بن المعتمر في صحيفة من تحببه

وتنميته الى غير ذلك من شتى الآراء التي كتبها الجاحظ مستقبلا  
باتسقير فيها .

وإذا كان للجاحظ فخر التلمذة والرواية س في كتابه — عن شيوخ  
العربيّة وأدبائها كالأسمعي وأبي عبيدة وأبن الأعرابي وأبن سلام  
وأبي العاصي ، وكابر ابراهيم بن السندي وعبد الكريم بن روح الغفارى  
ومحمد بن بشير الشاعر ، وكتشامة والنظام ، وسوى هؤلاء وهؤلاء ،  
فيجب أن لا ننسى أنه قد كان لعلماء الأدب والبيان الذين جاءوا بعد  
عصر الجاحظ هذا الفخر نفسه بالتسدّة عليه وعلى كتابه « البيان » .

فain قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ تبع في كتابه « الشعر والشعراء »  
الجاحظ في مذهبه الأدبي من ايات الطبع والرونق والماء والبعد عن  
التكلف والاستكراه والتعقيد .

ومؤلف فقد أشار في كتابه آثر الجاحظ ، وهو وإن كان قد  
« بيان » الجاحظ في أول كتابه إلا أنه قد تأثر به إلى حد كبير ، فكلامه  
على أنواع البيان ونظره إليه نظرة واسعة أعم من البيان بالعبارة هو  
صنيع الجاحظ في كتابه ، ويتكلم على اختيار موقع الكلام وأوقاته  
ومناسبيته للسامعين ومتابقة الكلام للمقام<sup>(١)</sup> وتلك آراء الجاحظ ،  
ويرى أن اللحن يستحسن من الجواري وأن من الصواب معرفة أوقات  
الكلام والسكوت وأقدار الألفاظ والمعنى بأذن يلبس المعنى ما يليق به  
من النون ، كما يرى أنه من أوصاف البلاغة أن يتساوى فيها المعنى  
والنون فلا يكون النون إلى القلب أسبق من المعنى ولا المعنى أسبق  
من النون ، وتلك كلها آراء الجاحظ ، إلى غير ذلك من كثير من مظاهر  
التأثر والاحتذاء .

وكذلك دعا الإمامى إلى المذهب الأدبي الذى دعا إليه الجاحظ  
في كتابه البيان .

---

(١) ٩٦ نقد النثر .

ودعوة أبي الحسن الجرجاني في وساطته إلى ترك التكليف والاسترسال مع الطبع<sup>(١)</sup> ، والى تقسيم الألفاظ على رتب المعانى هي دعوة الباحث في بيانه ، وإن كانت مظاهر التأثر بالباحث تبدو معدومة في الوساطة .

وأبو هلال العسكري في « الصناعتين » متأثر بالباحث وكثير الأفادة منه ومن كتابه « البيان » . وكتاب « الصناعتين » سير في سبيل الذى عبده الباحث واتمام لما بدأ به ، وكثير من آراء الباحث نجدها في الصناعتين وإن كان للصناعتين ميزة شرحها والتعليق عليها ، وقد ينقلها نفسها ، وقد يستدل بها ، وينقل وصية بشر بن المعتسر ويشرحها ، وعلى العموم فالباحث هو المرجع الأول لأبي هلال .

وكذلك ابن سنان الخفاجي ينقل في كتابه « سر الفصاحة » عن الباحث كثيرا .

وعبد القاهر الجرجاني شديد التأثر بالباحث وكتابيه « الحيوان » « والبيان » . يأخذ عنه كثيرا من آرائه بدون ذكر له ، وقليل ما يشير إليه ، فكلام عبد القاهر عن البيان يتجلى فيه روح الباحث ورأيه في أن فضيلة الكلام لنظمها لا لفظها ولا معناها هو روح كلام الباحث ، وعبد القاهر ورأيه في السجع متأثر بالباحث ، وبلاعة الألفاظ من أن تكون مألوفة ليست وحشية ولا سوقية دعا إليها الباحث قبل عبد القاهر ، وتعريف عبد القاهر للبلاغة هو روح الباحث في بيانه ، واشاره من الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسرع من لفظه إلى سمعك مما سبقه إليه الباحث وينقل عبد القاهر عن الباحث كثيرا ، إلى غير ذلك من مظاهر التأثر الكبير .

ولكتاب البيان كذلك أثره في النقد الأدبي فهو سجل حافل للأراء

---

(١) ٣٠ من كتاب الوساطة .

المختلفة في النقد مما لا يزال إلى الآن موضع البحث والاعجاب .  
والجاحظ الذي نقد مذاهب أصحاب الصنعة من الشعراء وأثر عليها  
مذهب المطبوعين كان يضع بذلك أساساً كبيراً لعلم النقد وتطوره  
الأدبي .  
وعلمنا الحديث يؤمن كل الإيمان برأي الجاحظ ويسير  
في تياره الفكري والأدبي كما يسير على صوئه في البيان العربي وبالغته .

\* \* \*

### - ٣ -

كان للعرب في حياتهم الأولى ذوق وفيهم طبع ، وكافوا بهذا  
الطبع وذلك الذوق وفي مثل بيئتهم البدوية في غنى عن الشرح والتحليل  
والتجويم والتعليق لأحكام النقد الأدبي ولأصول البيان العربي ومذاهبه  
واتجاهاته . كانوا يسمعون النص الأدبي فيوحى إليهم طبعهم بكل  
شيء ، ويرون من يسمع منهم ويأخذ عنهم في غنى بذوقه وطبعه  
عن كل شيء ، ولذلك بقيت أصول النقد والبيان بعيدة عن البحث  
والدراسة والتقرير .

وفي ظلال الحياة الإسلامية اختلطت العناصر وتمازجت الثقافات  
وتجاورت الطباع والأذواق ، قسرت العدوى في البيئة العربية الخالصة ،  
وظهرت في مظهر من الكنة المستهجنة ومن الخطأ المردود في استفهام  
بعض الكلمات العربية وتصريفها وفي اعرابها وأشكال الحرف الواجبة لها ،  
فسرت بين علماء الدين والعرب روح من العجد والاقدام والعزمية التي  
صهرت على تلافي آثار هذه العدوى حتى لا تسوس العربية في صنيعها  
وفي كتابها المقدس الحكيم ، وظهرت لذلك الدراسات التحويية ثم  
اللغوية بمظاهر جلاد لا وثاة فيه .  
بيد أن ذلك لم يكن رجال الأدب عن  
غياراتهم ، ولم يحل بينهم وبين اتجاهاتهم وطبائعهم ، فكثر النقد الأدبي  
ودخلته روح جديدة من البحث والتجويم والتعليق ، وتكونت من ذلك  
أصول أدبية موجزة لها قيمتها في الأدب والنقد والبيان .  
وبعد أن أشبع الفكر الإسلامي رغباته من البحث والدراسة

في تقويم اللسان العربي وتصحيح المكانت العربية في النطق واللهجة ، اتجه رجال العربية – مع مساعيهم للدراسات العربية واللغوية – إلى الدراسات الأدبية والبيانية حرصاً على ارضاء ملوكهم وأذواقهم وتمشياً مع التطور الفكري والتزف العقلي في دراسة العربية وأدابها ، ومسايرة لروح البحث المتجلية في الثقافات الأخرى التي امتزجت بالثقافة الإسلامية ، والتي كانت لها الأثر والخطر في اثارة مشكلات الأدب والبيان ، وفي بحث عناصر بلاغة الكلام ، وفي توجيهه أذهان الكتاب والأدباء إلى المجد المقبول من الأساليب وطرق الأداء وفي التفكير والمعنى ، وفي مراعاة شتى المقامات وسائل الأحوال التي يجب على الأديب والخطيب والكاتب والشاعر مراعاتها والالامام بها . وكانت عناصر الثقافة البيانية والأدبية اذ ذاك تتجلّى في طبقتين :

(أ) طبقة رواة الأدب العربي من البصريين والكتوبيين والبغداديين ، الذين كانوا يروونه اشباعاً لهم فطرتهم وأذواقهم الأدبية العربية الخالصة ، من أمثال : خلف والأصمى وأبي عبيدة وأبي زيد ويحيى بن نجيم وعمر وبن كركرة وابن سلام ، وأستاذهم أبو عمرو ابن العلاء أعلم الناس بالعرب والعربية<sup>(١)</sup> ومن عامة رواة الأدب والبيان الذين لا يقفون إلا على الألفاظ المتاخرة والمعانى المشتبحة ، وعن الألفاظ العذبة والمخارج السهلة والديباجة الكريمة ، وعلى الطبع الممکن والسبك الجيد ، وعلى كلّ كلام له ماء ورونق ، وعلى التي اذا صارت في الصدور عسرتها وفتحت للسؤال باب البلاغة – كما يقول الجاحظ – دون النحوين الذين ليس لهم غاية الا كلّ شعر فيه اعراب ، والأخباريين الذين لا يقفون إلا على كلّ شعر فيه الشاهد والمثل ، واللغويين الذين لا يروان الا كلّ شعر فيه غريب<sup>(٢)</sup> . بجوار هذه الطبقة الشعراة الذين طارت شهرتهم في آفاق الأدب العربي أمثال ابن هرمة وبشار صالح ابن عبد القدوس وأبي نواس وأبي العتاية والسيد الحميري

(١) ٢٠٦ / ١ البيان .

(٢) ٣ / ٢٤ البيان .

وأبان اللاحقى ومنصور النسى وسلم الخاسر وابن أبي عينة ويحيى ابن نوبل وخلف بن خليفة ومحمد بن بشير والعتابى وسلم وأبى تمام<sup>(١)</sup> ، وغيرهم من الخطباء ، ورجال الأدب والبيان ، من بيت بنى هاشم وبنى العباس ومن رجال الفرق الأدبية والسياسية والدينية لا سيما المعتزلة وفرق المتكلمين الذين رأهم الجاحظ فوق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير من البلغاء<sup>(٢)</sup> .

(ب) طبقة الكتاب الذين لم ير الجاحظ قوماً قط أ مثل طريقة في البلاغة منهم ، والذين التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً ومحسياً ولا ساقطاً سوقياً<sup>(٣)</sup> ورأى الجاحظ البصر بهذا الجوهر من الكلام فيهم أعم<sup>(٤)</sup> وحكم مذهبهم في نقد<sup>(٥)</sup> البيان ، وكذا جلهم من عناصر أجنبية من الفرس والروم والسريان والقبط من الذين فهموا لغاتهم وبلاغتهم ثم قرعوا البيان والبلاغة العربية وأدابها وأخذوا يحدثون في اللغة العربية مذاهب جديدة في الكتابة والأدب والبيان ويدعون إلى آراء خطيرة تمس الذوق الأدبي وترضى اتجاهات الحضارة والترف العقلى والاجتماعى الذى داخل البيئة العربية منذ بدء القرن الثانى ، كما أخذوا يلتفون مذاهبهم الأدبية العامة للاميين والشاعرين لهم من شدة الأدب كما ترى في محاضرة بشر بن المعتزى المعذلى م سنة ٢١٠ هـ في أصول البلاغة التي يقول الجاحظ عنها : إن بشراً من بابراهيم بن جبلة بن مخرمة وهو يعلم الفتياين الخطابة فوقف بشر ، فظن ابراهيم أنه اثنا وقف ليستفيد أو ليكون زجلاً من النظارة فقال بشر : أضرروا عمما قال صفحوا واطعوا عنه كشحاً ، ثم دفع اليهم صحيفه من تحريره وتنميته في أصول البلاغة وعناصر البيان<sup>(٦)</sup> ، ومن رجالات هذه الطبقة أبو العلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك

(١) ١/٥٤ (٢) ١/١٠٦ (٣) ١/١٠٥ (٤)

٢/٣٢٥ (٥) ١/٢٤٠ (٦) ١/١٠٤

وعبد الحميد الكاتب أو الأكبر كما يقول الجاحظ<sup>(١)</sup> ، وعبد الله ابن المقفع وسهل بن هارون والحسين بن سهل والفضل بن سهل ويحيى ابن خالد وجعفر بن يحيى وأيوب بن جعفر وأحسد بن يوسف ومحمد ابن عبد الملك الزيارات وعيسى بن مسعدة وسواهم من كتاب الدولة الذين صعدوا بذاتهم وبلامغتهم إلى أرقى المناصب في الخلافة الإسلامية ، وكان لهذه الطبقة أثرها في بحث عناصر البيان وبلاحة الكلام ورسم المذاهب الأدبية التي توأمت ذوق بيتهن وعصرهم مما نراه مبثوثا في كتاب البيان والتي لا تخرج عن أحكام الذوق الأدبي السليم ولا يتعد أصحابها فيها مذاهب العلماء في الشرح والتحليل .

وظهر الجاحظ والبلاغة العربية تفيس سحرا وقوة وروعة ، سواء في خطب الخطباء وشعر الشعراء ورسائل الكتاب ومحاضرات المحاضرين وجدل المجادلين . كما ظهر وعنصر البيان العربي تكاد تخطو في طفوتها نحو الغاية وتسير في هدى العلم والذوق إلى منزلتها من الوضوح والتمايز والاستقلال ، فدخل الجاحظ المعصبة وتوسط الميدان وسار أنبه أبطاله المعلمين . أما الجاحظ في بلاغة بيانه وجلاله أسلوبه وحلوه منطقه واستقلاله بمذهب خاص في الكتابة والبيان فهو في ذلك ليس له نظير ولا ينكر عليه أحد ، ويتحقق ما وسم بشيخ الكتاب . وأما الجاحظ في وضع أساس البيان وعنصر البلاغة العربية فهذا ما نريد أن نعرف أثره فيه .

خدم الجاحظ البيان العربي خدمة لا تقدر ، بالكتابية — في كتبه — في شتى بحوثه وجنسه مختلف الآراء والمذاهب في عناصره وألوانه ، ولم نعلم أن باحثاً أفرد البيان العربي بتأليف قبل الجاحظ ، كما كان كل ما هناك آراء مبثوثة متفرقة للكثير من رجال البيان والأدب ، وكانت خسارة البيان في عدم تدوينها تكاد تكون فادحة بالغة

ميتها ، وما نجد في الكتاب لسيويه ومجازات القرآن لأبي عبيدة والشعر والشعراء لابن سلام فانيا هو قليل من كثير اذا قيس بما جسده الجاحظ في كتبه ومؤلفاته ، نعم لا يمكن لأى باحث أن ينكح حققتين هامتين :

أولاًهما أن الجاحظ أظهر من أفراد البيان بعنوان العام بالتأليف في كتابه الكبير « البيان والتبيين » ، وثانيهما أن له فضل جمع مختلف الآراء والمذاهب فيه ، والجمع والاحصاء أول خطوات البحث والابتكار والتجديد ، ومنزلة العالم في الجمع لا يمكن الفصل منها أو الاستهانة بها ، وإذا قرأت كتب الجاحظ لا سيما « الحيوان » و « البيان » عرفت منزلة الجاحظ في هذا السبيل . ومن الغريب أن ترى شخصية الجاحظ واضحة فيما يجمعه وضوحاً فيها فيما يذكره من آراء ومذاهب يعكس كثيراً من العلماء والباحثين .

والجاحظ فوق أثره الكبير في جمع آراء رجال البيان والبلاغة في مذاهبهما وعناصرها في كتابه « البيان » على الخصوص ، له وراء ذلك فضل خاص وجهد مستقل فيه ، فقد استقل ببحوث جديدة صبغها بشخصيته واستمدتها من عقليته وثقافته وعرفت له وحده دون سواه من الباحثين في البيان العربي وقواعديه ، وقبل أن نفصل ذلك كله نتسائل : ما هو البيان الذي نريده ويعنيه الجاحظ في كتابه « البيان والتبيين » ؟

لا شك أن الجاحظ لم يعن بالبيان ذكر قواعد البلاغة العربية وأدائها في ألفاظها وأساليبها ومعانيها كما فهم مؤلفه نقد الشر ونقد على ضوءه الجاحظ في كتابه البيان حيث يقول : « أما بعد فانك ذكرت لي وقوفك على كتاب عمرو بن بحر الجاحظ الذي « سماه البيان والتبيين » وأنك إنما وجدته قد ذكر فيه أخباراً منتخلة وخطباً منتخبة ولم يأت فيه بوصف البيان ولا أتى على أقسامه في هذا اللسان »

وكان عندما وقفت عليه غير مستحق لهذا الاسم الذي نسب<sup>(١)</sup> اليه » .

ولا شك أن أبا هلال العسكري كان أدنى إلى الانصاف حينما نوه في ذنابه الصناعتين بكتاب « البيان » وذكر خطورته كمؤلف من مؤلفات البيان العربي ، وإن ذات أبحاثه في البيان موجزة مفرقة<sup>(٢)</sup> ، فهو بدون شك ومهما أردنا بكلمة البيان من معانٍ مؤلف من مؤلفات البيان ، ولا يضررنا بعد ذلك أن كانت بحوثه في البيان مجتملة أو مفصلة مجسوعة أو مفرقة ، ونحن على كل حال في الرأي مع أبي هلال .

ولا شك أيضاً أن ابن شهيد حين ذهب إلى أنه كتاب « البيان للباحث » لم يكشف فيه مؤلفه عن وجاهة تعليم البيان ليرى القارئ كيف يكون وضع الكلام وتوزيل البيان وكيف يكون التوصل إلى حسن الابتداء وتوصيل اللفظ بعد الاتهاء ، وأن الباحث استمسك بهاتهنه . وضمن بما عنده غيره على العلم وشححا بشمرة الفهم<sup>(٣)</sup> قد ظلم الباحث وكتابه وحكم عليه حكمه متأثراً باتجاهه هو في البيان الذي اتحى فيه ناحية تطبيقية حتى كان كما يقول يعلم الشحاذ الأساليب التي يستدر بها عطف الناس<sup>(٤)</sup> . فإن ابن شهيد حين أراد أن يكون كتاب « البيان » كتاباً يرسم فيه مؤلفه طرق الأداء ويعبد سبل التعبير عن مختلف الأغراض التي تؤثر في عقول الناس وعواطفهم ، قد ظلم المذاهب مرتين : ظلسه حين تناهى ما كتبه وما جمعه الباحث في رسم المذاهب الأدبية المختارة في الأداء والتعبير ، وظلمه مرة أخرى حين حكم فيه اتجاهه هو ونقده على ضوئه وقاده بمقاييسه .

وعلى كل فالباحث إنما أراد بالبيان ما كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته<sup>(٥)</sup> ، وأراد

(١) ص ١ نقد النشر . (٢) ٦ و ٧ الصناعتين .

(٣) الزوابع والتوابع ، والدخيرة .

(٤) الدخيرة . (٥) ١/٦٨ البيان .

ما أراد جعفر بن يحيى من البيان ، وهو أن يكون الاسم يحيط بمعناك  
ويجلب عن معناك وتخوجه من الشركة ولا تستعين عليه بالفكرة والذى  
لابد منه أن يكون سليما عن التكلف بعيدا من الصنعة بريئا من التعقيد  
غنيا عن التأويل<sup>(١)</sup> ، أراد به ساحر الأدب ورائعه من شر ونظم  
وأسجاع ورسائل وخطب ومقالات وأحاديث وحجاج ، وأراد به أمثل  
الأساليب وأقوم الألفاظ التي تقرب ما غمض من المعنى وتوضح  
ما خفى من الأفكار ، ذاكرا معها أصحابها من أولى اللسان والخطابة  
والبلاغة في المنشور والمنظوم ، ولذلك كان كتابه أخبارا منتحلة وخطيبا  
منتخبة كما يقول مؤلف نقد النشر ، والجاحظ لا يكتفى بذلك وحده  
بل يذكر المذاهب الأدبية العامة في عصره وقبل عصره في النقد والأدب  
والبيان كلما دعا إليها داع أو ألمت بها مناسبة ، ويذكر في سياق ذلك  
آراءه الأدبية التي يؤثرها ويدعمها فيها في شيء من الاجمال والايجاز  
وفي مواضع متفرقة من كتابه كما يقول أبو هلال .

\* \* \*

#### - ٤ -

ارتات بعض الباحثين المعاصرین في شخصية الجاحظ في كتابه  
البيان ، ورأى أنها تکاد تكون معدومة فيه<sup>(٢)</sup> . وهذا موضع مناقشة  
هذه الفكرة الجائرة .

ان من يمعن في كتاب «البيان» يؤمن معى ايمانا جازما بمدى  
ما في هذا الرأى من جور على الجاحظ وغيبة لكتابه ، فشخصية الجاحظ  
في كتابه البيان ليست معدومة ولا ضعيفة ، بل فراها قوية مهيمنة  
ونلمسها في ثناياه في مظاهر منوعة :

فهى فيما يذكره الجاحظ من أدب ورواية ، وفيما يسرده من آراء  
و رجال البيان العربي في البلاغة وعنصرها ومذاهبها ، ويكتفى لظهورها

---

(١) ٨٦ و ٨٧ البيان . (٢) ص ٧ مقدمة نقد النشر .

شيءاً ما ينذر بسبخ شخصية الجاحظ لهذه الروايات بصبغته ، وهضم  
ـ سماتها ليتسا راً خراجها في أسلوبه الساحر ، وفي استطراده الفاتن  
ـ الحسبيب . وهي مطلع نامة واحاطة كبيرة باللغة والأدب والبيان .

وهي مى تسليفه على هذه الروايات والأراء . وفي نقاده لها وحكمه  
ـ عليها . وإن نصحت من ذلك نقاده للأراء العامة في الأدب وما يتصل به .  
ـ ما فرط في تعليقه على رأى الأهتم في الأخفف بن قيس<sup>(١)</sup> ، وفي  
ـ موافته لرأى آياس في حمد اعجاب الرجل بقوله<sup>(٢)</sup> ، وفي تعليقه  
ـ على المكثفة الفاتلة : قيمة كل أمرىء ما يحسن<sup>(٣)</sup> ، وفي ثنائه على  
ـ ابن باينه بابن علی<sup>(٤)</sup> ، وفي نقاده لرأى في تعليم تهيب عمر في  
ـ حربة النكاح<sup>(٥)</sup> ، وفي مناقشته لكتلة عن ابن الزبير<sup>(٦)</sup> ، وفي نقاده  
ـ لمن يـ تتخصص المتعلمين ورعاة الفن<sup>(٧)</sup> ، وفي نقاده لرأى من يضع  
ـ العبرة بين الأمم العربية في الثقافة<sup>(٨)</sup> ، وفي نقاده رواية خطبة رويت  
ـ أحاديثه إلى آخر ما فيه من التعليق والنقد في هذا الباب . إنما نريد  
ـ نقاده لما يتصل بالبيان من آراء ومذاهب تمس صيم البلاغة  
ـ العربية ، ولا بأس أن نعد بعض هذه التعليق والنقد .

#### افتقد خلف الأحمر الجاحظ :

وبغض قريض القوم أولاد علة يكدر لسان الناطق المتحفظ

نعمان الجاحظ على هذا البيت تعليقاً جميلاً ، فالشاعر « اذا كان  
ـ مستكرها وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مما ثلا لبعض  
ـ كان، بينما من التنافر ما بين أولاد العلات ٠٠٠ وأجود الشعر ما رأيته  
ـ متلاحم الأجزاء سهل المخرج ، فيعلم بذلك أنه أفرغ افراغاً جيداً

١/٨٢ (٢)	١/٥٨ ، ٥٧ (١)
١/٧٤ (٤)	١/٧٣ (٣)
١/١٩٢ (٦)	١/٩٢ (٥)
١/١٤٣ (٨)	١/١٧٤ (٧)
	٢/٥٧ (٩)

وسبك سبكًا واحدًا ، فهو يجري على اللسان كما يجري على الأذهان<sup>(١)</sup> » وذلك تقرير لبلاغة الأنفاس والنظم ولتنافر الحروف والكلمات سبق إليه الجاحظ عبد القاهر وتسعيته والسكنى ومدرسته بقروان<sup>٠</sup>

ويرى بلينغ أن بلاغة الكلام في أن يسبق معناه لفظه ولنفعه معناه « فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك » والبيان ينتهي على هذا الرأي ويختبيء<sup>(٢)</sup> <sup>٠</sup>

ويرى ابن المقفع أنه يجب أن يكون في صدر كلامات دليل على حاجتك ، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته (٩١/١ بيان) ، فيشرح ذلك الجاحظ ويدلى برأيه فيه<sup>(٣)</sup> ، مقرراً بلاغة الاستهلاك تقريراً ليس بعده من غرابة<sup>٠</sup>

والجاحظ جد معجب ببلاغة الكتاب ، يتجلّى ذلك في نقاده المذهب بمقدمة في الكتابة والبيان<sup>(٤)</sup> ، وهو يرى أن حديث المؤرخ الفصحاء بالغ الغاية في الامتناع ، وليس أفقن للسان ولا أجود تقريراً للبيان<sup>(٥)</sup> منه ، كما يعجب ببلاغة المتكلمين والمنظاريين ويراهم ذوق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير من البلغاء<sup>(٦)</sup> <sup>٠</sup>

وذكر الجاحظ رأى إبراهيم بن محمد في البلاغة وأنه يمكنني من حظها ألا يؤتني السامع من سوء افهام الناطق ولا الناطق من سوء فهم السامع ، ثم أشاد به وأثنى عليه (٧٥/١) <sup>٠</sup>

واختلف علماء البيان في الخطابة وهل يستجاد فيها الإشارة والحركة ؟ فذهب النظام إلى استجادتها ، وجعلها رجل كأبي شمر

١/٩١ (٢)	١/٦٢ (١)
٢/٢٢٥ و ١/١٠٥ (٤)	١/٩٢ (٣)
١/١٠٦ (٦)	١/١١٠ (٥)

عيها في الخطيب ، والجاحظ يذكر ذلك ويميل إلى رأى أستاذه النظام محللاً رأى أبي شرس ويرجعه إلى صفاتـه الخلـقـية والنـفـسـية من الـوقـارـ والـترـمـتـ (٦٩ و ٧٧ و ٧٨ ١/ ) .

ويختلفون كذلك في شيء آخر يمس الخطيب والبلـيـغـ ، فـهـلـ السـمـتـ والـجـمـالـ منـ تـاسـمـ آلةـ الـبـلـيـغـ أوـ لـاـ ؟ـ يـورـدـ الجـاحـظـ ذـلـكـ وـيـذـكـرـ بـتـفـصـيـلـ رـأـىـ سـهـلـ بـنـ هـرـوـنـةـ فـيـ عـدـهـماـ مـنـ أـدـوـاتـ الـبـلـاغـةـ (١/٧٦ـ )ـ ،ـ وـلـاـ شـكـ أـنـ الجـاحـظـ كـانـ يـدـافـعـ عـنـ نـفـسـهـ بـسـاـ أـورـدـهـ وـفـصـلـهـ فـيـ ذـلـكـ الـمـوـضـوـعـ .ـ

وكثرة الكلام يراها بلـيـغـ كـايـاسـ خـيرـاـ وـبـلـاغـةـ ،ـ وـلـكـنـ الجـاحـظـ يـرـدـ عـلـيـهـ ،ـ لـأـنـ لـلـكـلامـ غـاـيـةـ ،ـ وـلـنـشـاطـ السـامـعـينـ نـهـاـيـةـ (١/٨٢ـ )ـ .ـ وـكـذـلـكـ اـعـادـةـ الـحـدـيـثـ مـنـ الـعـلـسـاءـ مـنـ ذـمـةـ وـمـنـهـمـ مـنـ حـسـدـهـ وـمـنـهـمـ مـنـ جـعـلـ لـحـسـدـهـ مـوـاضـعـ وـأـسـبـابـ ،ـ وـالـجـاحـظـ يـتـكـلـمـ فـيـ ذـلـكـ وـيـذـكـرـ بـرـأـيـهـ فـيـهـ وـيـجـعـلـهـ عـلـىـ قـدـرـ الـمـسـتـعـمـيـنـ لـهـ وـدـرـجـاتـهـ الـعـقـلـيـةـ ،ـ وـيـعـلـلـ سـرـ ماـ فـيـ الذـكـرـ الـتـكـيـمـ مـنـ اـعـادـةـ وـتـكـرـيـرـ (٨٤ـ وـ ٨٥ـ ١/ )ـ .ـ

والـجـاحـظـ يـرـوـيـ وـصـفـ ثـمـامـةـ بـنـ أـشـرـسـ لـبـلـاغـةـ جـعـفـرـ بـنـ يـحيـيـ (١/٨٥ـ )ـ ،ـ وـيـصـفـ هـوـ بـلـاغـةـ ثـمـامـةـ (١/٨٩ـ )ـ ،ـ وـيـصـفـ بـلـاغـةـ بـلـيـغـ يـحـذـرـ مـنـ سـحـرـ الـكـلـامـ وـأـثـرـهـ وـيـدـعـوـ إـلـىـ اـجـتـنـابـ السـوـقـىـ وـالـوـحـشـىـ وـالـىـ أـنـ لـاـ يـجـعـلـ الـأـدـيـبـ هـمـهـ فـيـ تـهـذـيـبـ الـأـلـفـاظـ وـشـغـلـهـ فـيـ التـخـلـصـ إـلـىـ غـرـائـبـ الـمـعـانـىـ (١٧٦ـ وـ ١٧٧ـ ١/ )ـ .ـ وـالـجـاحـظـ هـوـ نـفـسـ هـذـاـ الـبـلـيـغـ ،ـ وـكـثـيرـاـ مـاـ يـتـكـلـمـ فـيـخـرـجـ آرـاءـهـ فـيـ مـعـرـضـ الـرـوـاـيـةـ عـنـ سـوـاءـ لـغـرـضـ سـيـنـعـلـمـهـ يـعـدـ حـيـنـ ،ـ وـذـلـكـ كـلـهـ يـسـتـحـقـ الـدـرـاسـةـ وـالـأـمـانـ ،ـ الـأـنـهـ يـمـسـ عـنـاصـرـ الـبـيـانـ وـبـلـاغـتـهـ .ـ

وـالـخـطـبـةـ يـسـتـحـسـنـ أـنـ يـكـوـنـ فـيـهـاـ آـيـ منـ الـقـرـآنـ أـوـ بـيـتـ منـ الشـعـرـ أـمـ لـاـ ؟ـ يـذـكـرـ ذـلـكـ الـجـاحـظـ وـيـرـوـيـ مـذاـهـبـ الـبـلـغـاءـ فـيـهـ (١/٩٣ـ )ـ ،ـ وـيـذـكـرـ أـنـ مـنـهـاـ الـطـوـالـ وـمـنـهـاـ الـقصـارـ ،ـ وـأـنـ لـكـلـ مـوـاضـعـ تـلـيقـ بـهـ (٢/١٩ـ )ـ .ـ

ويرى العتايى أن كل من أفهمك حاجته فهو بلين ، فيذكر الجاحظ ذلك ويحلله (١٢١/٠٠) والصمت يحمده قوم ويدمه قوم (١٤٣ - ١٤٦ ، ١٨٣ ، ١٨٣/١) والجاحظ يقف من هؤلاء وهؤلاء موقف الناقد الحصيف ، فيناقش رأى من آثر الصمت (١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢٠٥ ج ١) ويدلى برأيه هو فى قوة وروعة ، داعيا الى الا يتمسك البلين بحكمة الصمت مادام يجد القوة والمقدرة والملكات البينانية المواتية (١٤٧/١) .

والشاعر أو البلين قد يستطيع فنا من فنون البيان ويجيد فيه دون فن آخر ، ورأى بعض الشعراء حين سئلوا عن عدم احسانهم فى بعض أنواع الشعر وفنونه أن ذلك ليس مرجعه قصورا فى ملكاتهم أو عجزا فى مقدراتهم الأدبية ، والجاحظ يناقشهم ويفيض معهم فى الجدال ذاهبا الى أن الرجل قد يكون له طبع فى فن من فنون الأدب دون فن وفي باب دون باب (١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥١ ج ١ ، ٢٥٩ ، ٢ ج ٢) .

وبلاعة المتقدرين من اللغويين وال نحويين يستسجمها الجاحظ وينتقدوا ويرى أن نهجهم فيما ليس من أخلاق الكتاب ولا آدابهم (٢٤٠/١) .

وللشاعريين رأى فى العرب وبيانهم ، والجاحظ لا يدعهم دون أن يحاسبهم ويناقشهم ويرد عليهم فى قوة وحرارة دفاع ، وفي كل ما أخذوه على العرب ، لا سيما ما يمس البيان والبلاغة بوجه خاص (١٥ و ٣/١٦) .

ويرى بعض الباحثين أن أدلة الكتابة وقريض الشعر كانت فى رسول الله (ص) معروفة ، فيناقش الجاحظ رأيهم ذاهبا الى أنها كانت فى رسول الله ثامة ، ولكن (ص) صرف تلك القوى الى ما هو أزكى بالنبوة ، وأراد أن لا يكون للشاعر متعلق عما دعا اليه ، وأنه (ص) لما طال هجرانه لقرض الشعر وروايته صار لسانه

لا ينطق به ، والعادة توأم الطبيعة (٣٣٠ و ٣٣١ / ٢٣١) ، ونحن نستجيد رأى الجاحظ كل الاستجادة ، وعلل الجاحظ أمية رسول الله وعدم قررضه الشعر في افاضة وقوه بيان (٢ / ٢٢٨) ، وأدلى برأيه في قوله (ص) : نحن معاشر الأنبياء بكاء (٣ / ٢٧٦) .

وأخيرا فهذه هي شخصية الجاحظ في بعض ما ناقش فيه آراء رجال البيان وهي لسرى شخصية قوية مهيمنة لا تدعك حتى تؤمن بالجاحظ وثقافته ومذهبه واتجاهه في الأدب والبيان .

للجاحظ فوق ذلك كله شخصية الباحث في أصول البيان العربي :

١ - فالجاحظ أظهر من تكلم في البيان و حاجته الى التمييز والسياسة والترتيب والرياضية والى تمام الآلة واحكام الصنعة ، والى سهولة المخرج وجهازه المنطق وتكميل الحروف واقامة الوزن وأن حاجة الكلام الى الحلاوة كحاجته الى العبرالة . وأن ذلك من أكبر ما تستعمال به القارب وتزيين به المعانى (١/٣٠) ولذلك فقد تحدث عن عيوب المنطق وآفات اللسان (٣١ و ٣٣ و ٤٤ و ٤٦ و ٥٨ و ٦٢ و ٦٦ و ٦٧ ج ١) ، وتتكلم على تناقض الحروف والألفاظ (٦٢ - ٦٤ ج ١) ونادي بضرورة تجنب البليغ ألفاظ المتكلمين (١٠٦ - ١٠٨ ج ١) وبترث الوحشى والسوقى (١١٠ ، ١٧٦ ج ١) وكراهة المهر والتكلف والتشعديد والتشعيير والاسهاب والفصول (٢١ و ١٤١ و ٢٣٩ ج ١) ، ونفي الكلام الملحوظ عن أن يكون من البلاغة (١٢١ - ١٢٤ ج ١) متهددا عن اللحن واللحائن (١٥٤ - ١٥٥ ج ٢) . وذكر البيان وأن مداره على الأفهام (١/٦٨) والوضوح مع شرف المعنى وبلافة اللفظ وصححة الطبع والبعد عن الاستكرار والتتكلف ومع قوة التأثير وسحر البيان (٧٣ و ٧٥ و ٨٩ ج ١) وأن يكون الكلام موزوناً أصييب به مقدار الحاجة (١٦١ و ١٦٢ ج ١) مع العارضة واللسن (١٣٠ ، ١٦٣ ج ١) ومع ترك الاسراف في الصنعة والنهذيب (١/١٧٦) ومع استعمال

المبسוט والمقصور في موضع البسط والقصر (١/٢٨١) ومع الطبع المتسكن والديباجة الكريمة والماء والرونق (٣ ج ٢٢٥ و ٢٤٤) ومتى شاكل اللفظ معناه وأعرب عن فحواه وكان لتلك الحال وفقاً، ولذلك القدر لفقاً، وخرج من سماحة الاستكراه وسلم من فساد التكلف والفضول والتعقيد، حجب إلى النفوس واتصل بالأذهان وهشت إليه الأسماع وخف على الألسن وشاع في الآفاق، وكثيراً ما يكرر الجاحظ اصطلاحات أدبية خاصة مثل (صناعة الكلام) (١ ج ٦٩ و ٢٠٠) وصناعة المنطق (١ ج ٢٤٢ و ٢٠٩ و ٦٧) وهو يعني بذلك هذا اللون الخاص من البيان البلاغي الذي يرسم مناهج الأداء.

وعنى الجاحظ أكثر ما عنى بالخطابة فأطال الكلام في أوصافها وعناصرها وأدواتها ومظاهرها وفي هيئة الخطيب وسمعته، وذكر عيوبها وآفاقها، ودعا الخطيب إلى مراعاة شتى المقامات والأحوال، وإلى أن يطيل حيث تجب الإطالة ويوجز حيث يجب الإيجاز، وذكر أكثر أعلامها ورجالها حتى عصره، كما تكلم على رسالة الخطيب وأثرها في نفسه، وأورد من الخطب القصار والطوال الكثير الرائع.

وتكلم على النشر والمحادثة والكتابة: ببلاغتها وعناصرها ومذاهب الكتاب الأدبية فيها، وعلى سحر الحديث المعاد، والسبع مطبوعة ومتكلفة وبلاعة المطبوع منه، وعلى اللحن وبده ظهوره والمعاني، وكثير من المثل في لحنهم، وذكر الحكم والمواعظ والزهد والدعوات السياسية والدينية وكثيراً من مثلها، وتكلم على رواية الأدب وطبقات الرواية من نحوين ولغوين واخباريين وأدباء واتجاهاتهم في الرواية.

كما ذكر الشعر وأثره وخطره وألوانه وطبقات الشعراء، وتحدث عن مذاهب المطبوعين وأصحاب الصنعة منهم، وعن الحوليات ورجالها، وذكر بعد كلام الله ورسوله عن الشعر، ومكانة الشعر والشعراء في الجاهلية وكيف غلبته الخطابة أخيراً بعد التكسب بالشعر وكثرة الشعراء، وختم على الأدباء الناشئين عرض ثمارتهم الأولى على أولى

العلم ورأى أن اجتماع الشعر والرجز والخطابة قليل ، وقلما ينبع الإنسان في أكثر من فن واحد منها ، وأن الشعر والغناء والنادر ما يستجاد أطراها دون أوساطها ، وتكلم على استواء الشاعرية واختلافها . إلى غير ذلك مما يتصل بضميم البيان ، ومما تراه متفرقًا في الأجزاء الثلاثة من كتاب البيان .

٢ - ودعوة الجاحظ في كتابه «البيان» - وفي مواضع متفرقة منه لاسيما الجزء الأول من كتابه الكبير - إلى مذهب أدبي جديد مستمد من عقليته وثقافته وبنيته : هي المظهر القوى من مظاهر شخصية الجاحظ الواضحة في كتابه البيان والتبيين . ويمكنا ارجاع هذا المذهب إلى عناصره الأولى من : سحر اللفظ وتلاؤم الحرف ، ووضوح ، المعنى وترك التكلف والتعقيد والأغراض والوحشية والسوقيّة ، ومراعاة المقام وأصابة الغاية ، مع الحدق والرفق والتخلص إلى حبات القلوب وأصابة عيون المعانى في سحر إيجاز ، ومع البعد عما يكره من مظاهر مذمومة في البيان مما يتعلق بخلق البلاغ وخلفه أو طبعه وزيه ، ومع الحرص على صبغ ذلك كله بصبغة الرجل وأسلوبه وظهور شخصيته وأثره فيه ، ومع مسيرة الأديب للحركة الفكرية العامة في بيئته ، ومع الحرص على إثارة فضائل السامعين والقراء والاحتياط عليه ، بالفكاهة الجميلة ، والاستطراد الساحر ، وبراعة الأسلوب وسحره وقوته ، والرواية الكثيرة للأعلام الأدب والبيان التي تلقى في روع السامع والقارئ روح الهيبة والإعجاب بهم والمؤلف ، ويناقشة الآراء التي تستحق المناقشة والنقد مما يجعل السامع والقارئ متطلعاً مساعداً للمؤلف في اتجاهاته الفكرية والأدبية ، إلى غير ذلك من عناصر هذا المذهب الأدبي التي ترجع إلى المعنى والأسلوب دون حرص على ترف البيان أو طلب لشتى ألوان البيديع إلا إذا طلبها الطبع واستدعها المقام ، ومن الجدير باللاحظة أن كثرة الرواية في كتاب الجاحظ التي رأها بعض الباحثين المعاصرين من أسباب ضعف شخصيته إنما هو غرض قصد إليه الجاحظ وأراده ، ليشعر القارئ بروحه ويؤمن

يما يوجهه المؤلف اليه من آراء وأفكار ، وليكتسب به رضاه وتقديره واعجابه . ولا أحيلك في فهم مذهب الجاحظ ذلك على صفحة من كتابه ، فاقرأ أي صفحة وعلى الأخص الجزء الأول من هذا الكتاب ، فستؤمن معنى بما ذكرت .

٣ - وقد ظهر الجاحظ في عصر شاع فيه اتجاهان أدبيان مختلفان : اتجاه يرمي إلى الظهور بمظهر البداونة التقليدي في الأداء والتعبير فيؤثر الغريب من الألفاظ والعنجهى من الأساليب متناسياً روح العصر وذوقه ، واتجاه آخر تأثر بالحياة السياسية والاجتماعية وبألوان الحضارة في العيش والتفكير ، فمال إلى رقة الأسلوب وسمهولته ، مع حرص على أرضاء الطبع والذوق ، وشاهد الجاحظ هذه التيارات الفكرية والأدبية المتنوعة وعاصرها ولكنه مال بطبعه وذوقه إلى الاتجاه الأخير ، وكتابه البيان كله دعوة إلى هذا الرأي ، فهو حيناً يشيد بأدب الكتاب ومذهبهم في البيان ( ١/١٥٠ ) ، وحينما يكرر الدعوة إلى الوضوح والإفهام ومسايرة الذوق والطبع ( ٧٣ ج ١ و ٢٠ ج ٢ و ٢٢٥ ج ٣ ) ، وحينما ينقد مذاهب الصنعة في الشعر ( ٥٤ ، ١٥٠ ج ١ و ٢١ و ٢٥ ، ٢٦ ج ٢ ) ، وحينما يدعو إلى ترك التكليف والتعقيد والتعير وايثار الأساليب السمحنة الكريمة ( ١١٠ ج ١ و ٢٠ ، ٢١ ج ٢ و ٢٢٤ ج ٣ ) .

٤ - وتكلم الجاحظ عرضاً على ألوان كثيرة من البيان ، وحال كثيراً من أساليبه البيانية :

ذكر البديع ، حينما ذكر بعض مثله وأمثاله ، ورأى أنه مقصور على العرب ، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ، وذكر كثيراً من الشعراء الذين أكثروا منه في شعرهم ، « ورأى أنه لم يكن في المولدين أصوات يديعاً من بشار وابن هرمة ( ٢٤٢ ج ٣ ، ٥٤ و ٥٥ ج ١ ) ٠٠ وتكلمت على ألوان من البيان من سجع ومزدوج وقصيد وأجازة ( ١٦ ج ٣ ) ، فاما السجع فقد تكلم عليه الجاحظ بتفصيل وذكر آراء رجال البيان فيه

وآخر المطبوع منه ( ١٩٤ و ١٩٥ ج ١ ) وأما المزدوج من الكلام فقد ذكر له مثلاً في باب صغير عقده له ( ٩٦ ج ٢ ) ومن مثله التي ذكرها الحديث : « اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب » ٠ وقول مالك ابن الأخطل في الشاعرين « الفرزدق وجريء » : جرير يعرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر ٠

وتكلم على الاستعارة وعرفها حين ساقه الكلام إلى ذكر مثل من مثلها ورآها تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه ( ١١٥ و ١١٦ ج ١ ) ، وبرجع بعض الأساليب إلى الاستعارة ( راجع ١/١٩٢ ) ٠ ٠ ٠ وذكر التفصيل والتقسيم حين مر بأسلوبين من أساليبيهما ( ١/١٧٠ ، ٩١ ، ٣/٩٢ ) ٠ ٠ ٠ وتكلم على الاستطراد وبلايته وأثره في التأليف والكتابه ( ١/١٣٨ ، ٣/١٠٥ ) ٠ ٠ ٠ وذكر كثيراً من مثل الكناية وحللها ( ١/١٨٠ ، ١/٣١ ، ٣ ج ٣ ) ، كما ذكر كثيراً من الأمثل التي ضرب بها العرب المثل ( ٨٦ ، ١٨٣ ج ١ ) ٠ ٠ ٠ وتكلم على جودة الابتداء ، وجودة القطع والقافية — أي حسن خاتمة الكلام والشعر — ( ٨٩ و ١٥٥ ج ١ ) ٠ ٠ ٠ وعقد الجاحظ بباب قال فيه : ويذكر الكلام الموزون ويسلحوان به ويفضلون اصابة المقدار ، وذكر كثيراً من مثله ، وهذا هو باب الاحتراض الذي ذكره البيانيون ٠ ٠ ٠ وحلل الجاحظ كثيراً من الأساليب البيانية البليغة ( راجع ١٦٣ ، ١٦٦ ج ١ و ٢٠١ ج ٢ ) تحليلاً بيانياً احتذى حذوه فيه العلماء وذكر مثلاً رائعة للتشبيه ( ٢/٢٢٩ ) وأشار إليه في الجزء الثالث ص ٢٤٣ ، وعقد الجاحظ فصلاً من فصول كتابه عنوانه بباب اللغز في الجواب ( ٢/٢١٦ ) ، والمذهب الكلامي نوع من البديع كان الجاحظ أول من لقبه<sup>(١)</sup> به ، والجاحظ جد خبير بمذهب الإيجاز وكثير الدعوة والإشارة إليه ( ٨١ ج ١ و ١٩٨ ج ٢ ) ، وأشار الجاحظ إلى أسلوب القلب ( ١٨٠ ج ١ ) ، وإلى سواه من الأساليب التي يعني فيها علماء البلاغة ٠

---

(١) راجع البديع لابن المعتز نشر محمد خفاجي ، ٢/٧٦ العمدة .

وبعد : فتلك آراء الجاحظ البيانية الخاصة به ، وهي وإن كانت دراسات موجزة مفرقة إلا أنها على كل حال ذات أثر كبير في خدمة البيان العربي ..

\* \* \*

### أول صحيفـة في البلاغـة لـبـشر بن المـعتمر عنـ الـبيان والتـبيـن للـجـاحـظ

من بـشر بـاـبرـاهـيم بـن جـبـلـة بـن مـخـرـمـة السـكـونـي الـخطـيب وـهـو يـعـلم الـفـتـيـان الـخـطـابـة فـوقـف بـشـر ، فـظنـ بـاـبرـاهـيم أـنـه اـتـمـا وـقـفـ لـيـسـتـفـيدـ أوـ لـيـكـونـ رـجـلـا منـ النـظـارـة ، فـقـالـ بـشـر ، اـضـرـبـوا عـمـا قـالـ صـفـحـا وـاطـوـرـوا عـنـه كـشـحـا .. ثـمـ دـفـعـ بـيـهـمـ سـحـيـفـةـ مـنـ تـحـبـيرـهـ وـتـنـمـيـقـهـ ، وـكـانـ أـوـلـ ذلكـ الـكـلامـ :

خـذـ مـنـ نـفـسـكـ سـاعـةـ نـشـاطـكـ وـفـرـاغـ بـالـكـ وـاجـبـتهاـ إـيـاكـ ، فـإـنـ قـلـيلـ تـلـكـ السـاعـةـ أـكـرمـ جـوـاهـرـ ، وـأـشـرـفـ حـسـبـاـ ، وـأـحـسـنـ فـيـ الـاسـمـاعـ . وـأـحـلـىـ فـيـ الصـدـورـ وـأـسـلـمـ مـنـ فـاحـشـ الـخـطـأـ ، وـأـجـلـ بـلـكـ لـكـلـ عـيـنـ وـغـرـةـ ، مـنـ لـفـظـ شـرـيفـ وـمـعـنـىـ بـدـيـعـ ..

وـأـعـلـمـ أـنـ ذـلـكـ أـجـدـىـ عـلـيـكـ مـاـ يـعـطـيـكـ يـوـمـكـ الـأـطـولـ بـالـكـدـ وـالـمـطاـوـلـةـ وـالـمـجاـهـدـةـ وـبـالـتـكـلـفـ وـالـمـعاـودـةـ . وـمـهـماـ أـخـطـاكـ أـمـ يـخـطـئـكـ أـنـ يـكـونـ مـقـبـولاـ قـصـداـ وـخـفـيـفاـ عـلـىـ الـلـسـانـ سـهـلاـ ، وـكـمـ خـرـجـ مـنـ يـنـبـوـعـهـ وـنـجـمـ مـنـ مـعـدـنـهـ .

وـإـيـاكـ وـالـتـوـعـرـ ، فـإـنـ التـوـعـرـ يـسـلـمـكـ إـلـيـ التـعـقـيـدـ ، وـالـتعـقـيـدـ سـتـهـلـكـ مـعـانـيـكـ وـيـشـينـ أـلـفـاظـكـ ، وـمـنـ أـرـاغـ مـعـنـىـ كـرـيـمـاـ فـلـيـتـمـسـ لـهـ لـفـظـاـ كـرـيـمـاـ ، فـإـنـ حـقـ الـمـعـنـىـ الشـرـيفـ ، الـلـفـظـ الشـرـيفـ ، وـمـنـ حـقـهـمـاـ أـنـ تـصـوـنـهـمـاـ عـمـاـ يـنـسـدـهـمـاـ وـيـهـجـنـهـمـاـ ، وـعـدـاـ تـعـودـ مـنـ أـجـلـهـ إـلـيـ أـنـ تـكـوـنـ أـسـوـأـ حـالـاـ مـنـكـ قـبـلـ أـنـ تـلـتـمـسـ اـظـهـارـهـمـاـ وـتـرـهـنـ نـفـسـكـ بـمـلـاـسـتـهـمـاـ وـقـضـاءـ حـقـهـمـاـ .

وكن هى ثلاط منازل أ فان أولى الثالث : أن يكون لفظك رشيقا  
عذبا وفخما سهلا ، ويكون معناك ظاهرا مكتشوفا وقريبا معروفا ،  
ما عند الخاصة ان كنت لل خاصة قصدت ، واما عند العامة ان كنت  
لل العامة أردت ، والمعنى ليس يشرف آن يكون من معانى الخاصة ،  
وكذلك ليس يتضمن بأن يكون من معانى العامة ، وانما مدار الشرف  
على الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من ،  
المقال . وكذلك اللفظ العامي والخاصي ، فان أمكنك آن تبلغ من بيان  
لسانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك آن تفهم العامة  
معانى الخاصة وتكتسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدهماء  
ولا تجفو عن الأ��اء ، فأنت البليغ التام .

فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ، ولا تسمح لك  
عند أول نظرك وفي أول تكليفك ، وتتجدد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصر  
إلى قرارها وإلى حقها من أماكنها المقسمة لها ، والقافية لم تحل في  
مركزها وفي نصابها ولم تتصل بشكلها ، وكانت قلقة في مكانها نافرة من  
موقعها ، فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنزول في غير أوطانها ،  
فإنك اذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون ، ولم تتكلف اختيار الكلام  
المنشور ، لم يعيك بتترك ذلك أحد ، وإن أنت تكلفتها ولم تكن حاذقا  
مطبوعا ولا محكمها لساقك بصيرا بما عليك أو مالك ، عاينك من أنت أقل  
عيها منه ، ورأى من هو دونك أنه فوقك . . . فان ابتنئت بأن تتعاطي  
الصنعة وتتكلف القول ولم تسمح لك الطياع في أول وهلة وتعصي  
عليك بعد اجالة الفكرة فلا تعجل ولا تضجر ودع بياض يومك أو سواد  
ليلك وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك ، فانك لا تعدم الإجابة والموافقة  
ابن كافت هناك طبيعة أو جريت من الصناعة على عرق .

فإن تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ومن غير  
طوال اهمال ، فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة إلى أشهى  
الصناعات إليك وأخفها عليك ، فانك لم تشتهه ولم تนาزع اليه إلا وبينكما

نسب ، والشيء لا يحن الا الى ما يشاكله ، وان كانت المشاكلة قد تكون في طبقات الأنفس لا تجود بمسكنتها ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة كما تجود مع المحبة والشهوة ، فكذا هذا . قال بشر : فلما قرئت على ابراهيم قال لي ، أنا أحوج الى هذا من هؤلاء الفتىان .

\* \* \*

### مؤلفات متأخرة في البلاغة

١ - من شروح تلخيص المفتاح للخطيب : شرح للخلخالي م ٧٤٥ هـ ، وشرح للزوذنی م ٧٩٢ ، شرح لابن عريشاء م ٩٤٥ ، وقد شرح العباسي أبيات التلخيص في كتابه « معاهد التنصيص » ونظمه السيوطي في كتابه « عقود العجمان » . وقد شرح جمال الدين محمد بن محمد الأقرائی م ٨٠٠ هـ كتاب الإيضاح للخطيب القزوینی في كتاب أسماه « إيضاح الإيضاح » ( ٢ و ٤٥٩ ) بلاغة - دار الكتب المصرية - مخطوطات .

٢ - وعلى المطول حواش كثيرة : منها حاشية السيد م ٨١٦ ، وحاشية الفرنی م ٨٨٦ ، وحاشية ملا خسرو م ٨٨٥ ، وحاشية السيرامي المصري م ٨٣٣ وحاشية الحفید م ٩٠٦ هـ ، وحاشية الشيرازی م ٩٩٤ هـ ، وعز الدين بن جماعة م ٨١٩ ، والبساطی م ٨٤٢ هـ ، والسموقدی م ٨٨٠ هـ ، وعبد الحکیم السیلاکوتی م ١٦٠١ هـ .

٣ - ومن الكتب المتأخرة في البلاغة : الجوهر المكنون لعبد الرحمن الأخضری وقد شرحه ابن يعقوب ، والشيخ أحمد الدمشقی م ١١٩٢ هـ ، ومنها : تحفة الأعوaz في علاقات المجاز للسجاعی م ١١٩٧ ، وتحفة الأخوان في علم البيان للدردیر م ١٢٠١ هـ ، والرسالة البيانية للصیبان م ١٢٠٦ هـ ، والتجربة للبنان م ١٢١١ هـ ، وحسن الصنیع للشيخ البصیونی م ١٣١٣ هـ ، وزهر الريبع للحملاوی م ١٣٥٢ هـ ،

والبلاغة الواضحة للجارم المتوفى في ٨ فبراير ١٩٤٩ ، وكتاب «فن القول» للأستاذ أمين الخولي . وهناك مذكرات قيمة مطبوعة في بحوث البلاغة للأستاذ سليمان فوار ، والأستاذ حامد غونى .. وللشيخ محمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء كتاب قيم في البلاغة سينشره عما قريب ، وله محاضراته البلاغية التي كان يلقاها في قسم الأستاذية بكلية اللغة العربية ، والتي أفاد منها جمهور كبير من العلماء .

\* \* \*

## تطبيقات

— ١ —

عين الأسلوب الخبرية والاشائية فيما يأتى :

١ — « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربہ ، والمؤمنون كل آمن  
بالله وملائكته وكتب ورسله » .

٢ — « يمحق الله الربا ويربي الصدقات ، والله لا يحب كل  
كفار أثيم » .

٣ — « يايهما الذين آمنوا ، أطیعوا الله وأطیعوا الرسول وأولى  
الأمر منکم » .

٤ — قال صلی الله علیه وسلم : « استعنوا على قضاء حوائجکم  
بالكتمان ، فإنه كل ذي نعمة محسود » .

٥ — ومن وصية عبد الملك بن مروان لأولاده : يا بني ، كنوا  
أذاكם ، وابذلوا معروفكم ، واعفوا اذا قدرتم ، ولا تبخلو اذا سئلتم ،  
ولا تلخقو اذا سألكتم ، فان من ضيق ضيق الله عليه ، ومن أعطى  
أخلف الله له . . . . .

٦ — قال أبو العلاء المعري :

فما يفيضك الا المأثم الحلف  
لا تحلفن على صدق ولا كذب

٧

— وقال :

واما سبقت فعن قليل تسحق  
لا تفرحن بما بلغت من العلا  
وليحذر الداعوى للبيب فانها  
للفضل مهلكة وخطب موبق

٨ — وقال أبو العناية :

بكثت على الشباب بدموع عيني فلم يعن البكاء ولا التحبيب  
ألا ليت الشباب يعود يوما فأخبره بما فعل الشيب

٩ — وقال :

يا صاحب الدنيا الحب لها أفت الذي لا ينقضي تعبه

١٠ — وقال :

ما أحسن الدنيا واقبالها  
من لم يتواس الناس من فضلها  
إذا أطاع الله من فالهمها  
عرض للادخار اقبالها

١١ — وقال الشاعر :

أراك تؤمل حسن الثناء ولم يرزق الله ذلك البخسلا  
وكيف يسود أخوه فطنة يمن كثيرا ويعطي قليلا

١٢ — وقال سعيد بن حميد :

وأراك تتكلف بالعتاب وودنا صاف عليه من الوفاء دليل  
ولعمل أيام الحياة قصيرة فعلام يكثر عتبنا ويطول

\* \* \*

بين أساليب الخبر وأدوات التوكيد في الأمثلة الآتية :

١ — « يأيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأثني ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خير » ٠

٢ — « وفي السماء رزقكم وما توعدون ٠ فورب السماء والأرض أنه لحق مثل ما أنتم تنتظرون » ٠

٣ — وقال صلى الله عليه وسلم : « شر الناس الذين يكرمون من اتقاء المستحبهم » ٠

٤ — وقال على كرم الله وجهه : « مارست كل شيء فغلبته ، ومارسني الفقر فغلبني ، إن سترته أهلكنى ، وإن أذنته فضحتى » ٠

٥ — وقال النبي عليه السلام يصف الأنصار : « انكم لتقلون عند الطمع ، وتكترون عند الفزع » ٠

٦ — وقال بشار بن برد :

خليلى إن المال ليس بنافع اذا لم ينل منه أخي وصديق

٧ — وقال أبو العتاهية :

ان البخيل وان آفاد غنى  
تشري عليه مخايل الفقر  
ما فاتنى خير امرىء وضعت  
عنى يداه مؤونة الشكر

٨ — وقال آخر :

وللحلم خير فاعلمن مغبة  
من الجهل الا أن تشمss من ظلم

٩ — وقال حسان بن ثابت :

لا بارك الله بعد العرض في المال  
ولست للعرض ان أودي بمحتال

أصون عرضي بما لي لا أدنسه  
أحتال للمال أن أودي فاكتبه

١٠ — وقال المقنع الكندي يعاتب قومه ، ويصف وفاءه لهم :

وبين بيبي عمى لمختلف جدا  
وأنهم هروا غبي هويت لهم رشدا  
زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا  
رئيس القول من يحمل العقدا  
وأن قبل مالي لم أكلفهم رفدا  
وما شيمه لى غيرها تشبه العبدا

وان الذى بيبي وبين بيبي أبي  
فان أكلوا لحمى وفتر لحومهم  
والآن زجرروا طيرا بمنس تمر بي  
ولا أحمل العقد القديم عليهم وليس  
لهم جل مالي ان تتتابع لى غنى  
وانى لعبد الضيف ما دام ذاولا

١١ — وقال رجل من فزارحة ينضر بشرف خصاله وجوده :

له بالخصال الصالحات وصول  
اذا لم تزن حسن الجسم عقول  
عارفة حتى يقال طويل  
تموت اذا لم تحييهن أصول  
فحلو ، وأما وجهه فجميل

الا يكن عظمى طويلا فانى  
ولا خير في حسن الجسم وطولها  
اذا كنت في القوم الطوال على تهم  
وكم قد رأينا من فروع كثيرة  
ولم أر كالمعروف ، أما مذاقه

١٢ — وقال سعيد بن سلم الباهلى : ملحنى أغراىي فأبلغ ،  
فقسال :

ألا قل لساري الليل لا تخشن ضلة سعيد بن سلم نور كل بلاد

لنا سيد أربى على كل سيد جواد حشا فى وجه كل جواد

قال سعيد : فتأخرت عنه قليلا ، فهجانى ، فأبلغ ، فقال :

كل أخي مدح ثواب علمته وليس لدح الباهى ثواب  
مدحت سعيدا والمديع مهزة فكان كصفوانه عليه تراب

وفي هذا الشعر اشارة الى قول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا  
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن  
بالله واليوم الآخر . فمثلك كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه  
صلدا » .

١٣ - وقال الشماخ يمدح عراة بن أوس الأنصارى :

رأيت عراة الأوسى يسمو الى العلیماء منقطع القرین  
اذا ما رایة رفعت لمجد تقهاها عراة باليمين

١٤ - وقال بشار بن برد في العتاب :

اذا ما رایة رفعت لمجد تقهاها عراة باليمين  
فعش واحدا أو صل أخاك فانه  
اذا أفت لهم شرب مرارا على القذى  
مقارف ذنب مرة ومجانيه ظئت، وأى الناس تصفو مشاربه

١٥ - وقال ابراهيم الصولى يعاتب محمد بن عبد الملك الزيارات  
وقد تغير عليه بعد ما صار وزيرا :

وكنت أخي بالختاء الزمان  
فلما نبا صرت حربا عوانا  
وكنت أذم اليك الزمان  
فأصبحت فيك أذم الزمان

وكنت أعدك للنائبات فأصبحت أطلب منك الأمان

١٦ - ومن الهجو قول جرير يهجو تيما :

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستذونون وهم شهود  
وانك لو رأيت عبيد تيم وتيما قلت أيام العبيد

١٧ - وقال الحسين بن مطير يرثي معن بن زائدة :

سقست الغواصي مربعا ثم مربعا  
الما على معن وقولا لقبره  
من الأرض خطت للسماحة مضجعا  
فيما قبر معن أنت أول حفرة  
وقد كان منه البر والبحر مترعا  
ويا قبر معن كيف واريت جوده  
ولو كان حيا ضفت حتى تصدعا  
بلى قد وسعت الجود والجود ميت  
كما كان بعد السيل مجراه مرتعا  
فتني عيش في معروفة بعد موته

١٨ - ولقطري بن الصباء في الحماسة يخاطب نفسه :

من الأبطال ويحك لم تراعي  
أقول لها وقد طارت شعاعا  
على الأجل الذي لك لم تطاعي  
فأناك لو سألت بقاء يوم  
فما نيل الخلود بمستطاع  
قصيرا في مجال الموت صبرا  
إذا ما عد من سقط المتع  
وما للمرء خير في حياة

١٩ - وقال الشاعر :

فحلوا ، وأما وجده فجميل  
ولم أر كالمحروف أما مذاقه

٢٠ — وقال صردر :

Kendall العبيد لأربابها  
 ف أجمل زى لجتابها  
 Kendall الرجال الأطماء لها  
 وأعلم أن ثواب العفوا  
 أى للإيسها .

٢١ — وقال آخر :

لصرك ما يدرى امرؤ كيف يتقي  
 اذا هو لم يجعل له الله واقيا

٢٢ — وقال سعيد بن حميد فى العتاب :

والدهر يعدل تارة ويميل  
 يوماً ستتصدع بيتنا وتحول  
 ولعنة سبقة لتبكرين بحسرة  
 ولثمن سبقة ولا سبقة ليمضين  
 ولويذهبن بهاء كل مروعة  
 أقمل عتابك فالبقاء قليل

\* \* \*

عِينَ الْأَغْرَاضِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنَ الْخَبَرِ فِي الْأَمْثَلَةِ الْأَتِيَّةِ :

١ — قال تعالى : « لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَمَا يَبْدُوا  
مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تَخْفُوهُ يَحْاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَيَعِذُّ  
مِنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

٢ — وقال تعالى : « عَبِسَ وَتَوَلَّ ، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْسَى ، وَمَا يَدْرِيكُ  
لِعْلَهُ يَرْكَى ، أَوْ يَذَكِّرُ فَتَنَفَّعُهُ الذَّكْرُ ، أَمَا مَنْ اسْتَغْنَى فَأَقْتَلَتْ لَهُ تَصْدِيَ ،  
وَمَا عَلَيْكَ أَلَا يَرْكَى ، وَأَمَا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ، وَهُوَ يَخْشَى ، فَأَنْتَ عَنْهُ  
غَلَبْتَهُ » .

٣ — قال صلى الله عليه وسلم : « عَدْلٌ سَاعَةٌ فِي حُكْمَوْتِهِ خَيْرٌ مِّنْ  
عِبَادَةِ سَتِينِ سَنَةً » .

٤ — وقال : « أَنْ أَشَدُ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَشْرَكَهُ اللَّهُ  
فِي حُكْمِهِ ، فَأَدْخِلْ عَلَيْهِ الْجَهَنَّمَ فِي عَدْلِهِ » .

٥ — ومن خطبة له عليه السلام بمكة حين دعاه قومه الى الاسلام :  
أَنَ الرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وَاللَّهُ لَوْ كَذَبَ النَّاسَ مَا كَذَبْتُكُمْ ، وَلَوْ غَرَّتْ  
بِالنَّاسِ مَا غَرَّتْكُمْ ، وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ  
خَاصَّةً ، وَإِلَى النَّاسِ كَافِةً .

٦ — قال الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ :

جارِ الزَّمَانِ فَلَا جَوَادٌ يَرْتَجِي  
لِلنَّائِبَاتِ وَلَا صَدِيقٌ يَشْفَقُ  
عَمَدًا فَأَوْلَى بِالْوَدَادِ الْأَحْمَقِ  
وَإِذَا الْحَلِيمُ رَمَيْ بِسِرِّ صَدِيقِهِ

٧ — وقال المعرى :

عزمت سجايا الدهر ، أما شروره فتقىد ، وأما خيره فهو عود

٨ — وقال :

رأيت سكوتى متجرأ فلزمته اذا لم يفدى ربحا فلست بخاسرا

٩ — قال ابن حيوس مادحا :

وأحيتم من أم معروفك قصدا  
فذل وقد كان الجراح له وكذا  
بأذى لها لا يض منهن ما اسودا

بني صالح أقصدتم من ربمكم  
وذلتكم صعب الزمان لأهله  
مناقب لو أن الليالي توشحت

١٠ — وقال أبو فراس :

كثير العدا فيها قليل المسابع  
وقلدت أهلى غير هذى القلائد

صبرت على الأدواء صبر ابن حرمة  
منعت حمى قومي وسدت عشيرتي

١١ — وقال يخاطب سيف الدولة :

رفعت بها قدرى وأكتربت حسى  
وانك للنجم الذى بك أهتمى

وكم لك عندي من أيد وأنعم  
وإنك للمولى الذى بك أقتدى

١٢ — وقال :

لنا الصدر دون العلمين أو القبر  
ومن يخطب الحسناء لم يغلاها المهر

ونحن أناس لا توسط بيننا  
تهون علينا في المعالى نفوسنا

١٣ — وقال ابن الرومي في رجل اسمه عيسى :

يقتصر عيسى على نفسه وليس بيلاق ولا خسالد  
ولو يستطيع لتقتسيمه تنفس من منخر واحد

١٤ — وقال أبو العلاء :

بلوت أمور الناس من محمد آدم  
إذا كان هذا الترب يجمع بيننا فلهم أر إلا هالك  
فأهل الرزايا مثل أهل الملائكة

١٥ — وقال أعرابي يرثى ولده :

بني لئن خنت جفون بمائها  
دفنت بكفى بعض نفسى فأصبحت  
لقد قرحت منى عليك جفون  
وللنفس منها دافن ودفين

١٦ — قال زهير في قوم هرم بن سنان :

القوم أبوهم سنان حين تسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا  
لو كان يقطد فوق الشمس من كرم قعدوا  
قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

\* \* \*

عين المسند والمسند اليه ، وبين الأساليب الخبرية والانسانية ،  
واذكر أغراض الخبر فيما يأتي :

١ - قل تعالى : « يا ايها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات  
ما كسبتم ، وما أخرجنا لكم من الأرض ، ولا تيمموا الخبث منه  
تنفقون ، ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه ، واعلموا أن الله غنى  
حميد \* الشيطان يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء ، والله يعدهم مغفرة  
منه وفضلا ، والله واسع عليم \* يُؤتى الحكمة من يشاء . ومن يُؤتى  
الحكمة فقد أُوتى خيراً كثيراً » .

٢ - قال عليه السلام : « من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى  
حظه من الخير كله ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من  
الخير كله » .

٣ - وقال : « لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم ، فاداً علن  
أنه قد علم فقد جهل » .

٤ - ومن خطبة لخالد بن عبد الله القسري : « فافسوا في  
المكارم ، وسارعوا الى المغافم ، واشتروا الحمد بالجود .. واعلموا  
أن حوائج الناس اليكم ، نعمة من الله عليكم ، فلا تملوا النعم  
فتحولوها نقمـاً » .

٥ - ومن رسالة ابن زيدون : « قد يغض بالماء شاربه ،  
ويقتل الدواء المستشفى به ، ويؤتى الحذر من مأمهـه ، وتكون منية  
المنمني في أمنيته .. وعلمك محيط بأذن المعروف ثمرة النعمة ،  
والشفاعة زكاة المروءة ، وفضل الجاه تعود به صدقة :

وإذا امرؤ أمسدى إليك صنيعة من جاهه فكأنها من ماله

٦ - قال أبو العناية :

إذا ما مضى القرن الذى أنت منهم  
وخلفت فى قرن فأنت غريب  
إلى منهمل من ورده لقريب

٧ - وقال أبو العلاء :

احذر سليلك فالناس التى خرجت  
من زندها إن أصابت عود فاخترقا

٨ - وقال الأخطل :

وإن امرأ لا ينشى عن غواية  
إذا ما اشتتها نفسه لجهول

٩ - وقال حسان بن ثابت :

وإن امرأ يمسى ويصبح سالما  
من الناس إلا ما جنى لسعيد

١٠ - وقال المتنبى :

تلذ له المروءة وهي تؤذى  
ومن يعشق يلذ له الغرام

١١ - وقال الحسين بن مطير :

أحب مكارم الأخلاق جهدي  
وأصفح عن سباب الناس حلما  
ومن هاب الرجال تهيبوه  
وأكره أن أغيب وأن أهابا  
وشر الناس من يهوى السبابا  
ومن حقر الرجال فان يهابا

١٢ - قال رجل من طيء :

ومن يفتقر في قومه يحمد الغنى  
وان كان فيهم واسط العم مخولا  
ومن يفتقر في قومه يحمد الغنى  
وان كان أسرى من رجال وأحولا

١٣ - الشاعر :

قد كان يشفى مثله فيما مضى  
ان الطيب يموت بالداء الذي

١٤ - قال عروة بن الورد .

رأيت الناس شرهم الفقير  
حليته وينهره الصغير  
يكاد بفؤاد صاحبه يطير  
ولكن للغنى رب غفور  
ذرئني للغنى أسعى فاني  
يساعدك القريب وترد عليه  
وتلقى ذا الغنى ولده جلال  
قليل ذنبه والذنب جنم

١٥ - وقال قيس بن عاصم المنقري في قومه :

خطباء حرين يقول قاتلهم  
يغض الوجوه مقصع السن  
لا يطعنون لعيوب جارهم  
وهم لحفظ جواره فطن

١٦ - وقال وعلة بن الحارث :

قومى همو قتلوا - أميم - أخي  
فإذا رميتك يصيني سهمي

١٧ - وقال المتبني :

ذل من يغبط الذليل بعيش  
رب عيش أخف منه الحمام



بِحَمْدِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ تُمْ طَبِيعُ الْجَزْءُ الْأَوَّلُ  
وَبِاذْنِ اللَّهِ يُلِيهِ الْجَزْءُ الثَّانِي

فهرست الجزء الأول

لِسْنَة

---

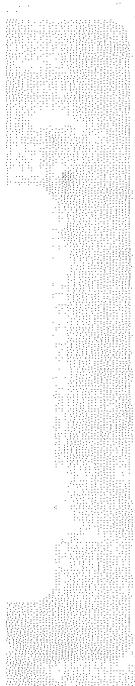
رقم الاليداع بدار الكتب المصرية ١٩٩٣/٣٦٤٥

---

**دار التوفيقية الخوفجية**

للمطباعه والطبع الرأى  
المؤذن: ٣ مهيندانه المؤصله  
بيروت - جامع الرشيد





**To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)**